

کاری از مرکز بررسی های اسلامی

[http://iscq.ir/fa\\_default.asp](http://iscq.ir/fa_default.asp)

[/http://www.khosroshahi.ir](http://www.khosroshahi.ir)

باب الننف

## والأخبار

### سياسة إنجلترا في الشرق

هل على ما في البيت فهلوع لإغلاق الباب، فانخلع المصراع وانقض الجدار من ورائه. هذا شأن دولة بريطانيا في الهند، وقناة السويس، قصارى بغيتها أن تكون في أمن على هذا الباب وكان سهلا عليها أن تخلص النية، في مسالمة أرباب الولاية عليه، فيقونه بأرواحهم وأموالهم، ثم هي تفوز بفوائده إلى الأبد.

إلا أن جيشان الأوهام، وموحشات الأحلام، دفعتها لمباشرة حمايته بنفسها، فإذا الأمر أصعب من أن ينال، وأساس البيت أوهى من أن يدوم.

أرادت دولة إنجلترا بعد تبوئها أرض مصر، أن تدخلها تحت حمايتها، وأن تبدل العساكر الوطنية بإنجليزية، وأن تقيم في السودان سلطنة مستقلة، وحاولت في ذلك إرضاء المصريين بأنه من الضرورات لتنظيم أحوالهم إقرار الراحة بينهم وتسكين روع العثمانيين بحفظ الحق وتخفيف الوزر، وكان لكل أن يستبشر بهذه الخدمة الجليلة إن تمت، ولو لا ما لدولة إنجلترا من تقسيم الممالك التيمورية في الهند، وإقامتها لكل قسم حامية من قبلها، وكان هذا أكبر هذا أكبر الأسباب وأصغرها لاستيلائها على الأقطار الهندية، وإنا لنأسف على التفاوت بين الزمانين، والتباين بين المكانين، فلا الإحسان الإنجليزي يمكن تميمه، ولا العثمانيون والمصريون يستبشرون بنوله، وخطر الأمرين غير يسير.

ظهرت دعوى المهدوية في السودان واشتد أزر القائم بها بمسارعة الإنجليز إلى التداخل في مصر بحجة حفظ باب الهند، وعظم خطب الداعي بعدما أراق دماء غزيرة ودبت روح دعوته إلى سواحل البحر الأحمر، وحدود مصر الطبيعية وأمالت القلوب إليه نفرتها من السلطة الإنجليزية.

يقرب من الظن أن نفثاته ما زجت أفئدة العرب في فيافي طرابلس، أو قاربت، وأن هذه النيران التي يشعلها بالبكاء على الدين والنواح على امتهانه، لا تلبث أن تنقض شرارة منها على جزيرة العرب، وفيها يصعد عويل الدين ونحيبه إلى عنان السماء، وعند ذلك يمسى باب الهند بين السنة النيران من جهتين بل من ثلاث جهات، أيبعد عند العقل وبريطانيا لاهية بإنقاذ الباب أن تتقد النيران في البيت؟! إن الخطر اليوم أشد مما اهتمت بدفعه سابقًا، ماذا أخذت من الوسائل لدفع هذه الغائلة؟

أرسلت چوردون باشا إلى السودان لتفريق كلمة المحاربيين ورقية محمد أحمد الحمداني، السودانيون لم تلتئم جراحهم من ظلم چوردون أيام كان حاكما مستبدًا عليهم، وفي علمهم أنه أعدى

أعداء الديانة الإسلامية فقد طلب وهو فيهم قسماً من السويس لنشر المذهب البروتستانتي بين مسلميهم، فهل تمكنه الفصاحة الإنجليزية أن يمحص صدور العرب من الضغينة الدينية والدينيوية، بعدما رسخت أعوامًا ويمحوها في بضعة أيام، وهل يسهل عليه إرضاء محمد أحمد، بعد ما قام بدعوة عظيمة كهذه بمنحه لقب أمير كوردفان، أو هل يقنع صاحب هذه الدعوى بمثل هذا اللقب بعدما تسنى له من الفتوحات واستولى على تلك البلاد بدون إذن چوردون. قد يظن هذه الظنون من لا وقوف له على حقيقة دعوى المهديوية وموقعها من قلوب المسلمين، ويكفى لكشف بعض ما في الغيب ما اتفقت عليه الجرائد الإنجليزية والفرنسية وأثبتته المخابرات الرسمية من إخفاق چوردون في سعيه كما تراه في غير هذا المقام.

سأقت خمسة آلاف وعلى بعض الروايات أربعة آلاف جندي تحت قيادته الجنرال چراهام إلى سواحل البحر الأحمر لاسترجاع شرف بيكر باشا وثار ضباطه من الإنجليز (أما هكس باشا وضباط جيشه فلبعدهم عن البحر لا شرف لهم ولا تار).

وغلب هذا الجيش المدرب الكامل العدة الشاكي السلاح من أجود طرز ثلاثة آلاف من عراه العرب السودانيين (بمعنى أنه قتل منهم ثمانمائة بدوي) والقبائل على عصبيتها لم تحن بعد. هل بهذا تدفع الغوائل؟! أظن ذو عقل أن فاتحًا فتك بعشرة آلاف جندي مرة وألفين وخمسمائة مرة أخرى جميعها تحت إمرة مشاهير من جيش إنجلترا يخور عزمه لانهازم شردمة من المنتسبين إليه، وهل يوتر هذا وهنا في اعتقاد المدعنين لدعوته؟! سبحان الله! كان لغلبة هذا الجيش رجة في إنجلترا وخيل لحكومتها أنه نجاح في العمل وربما نشأ هذا الخيال من التهئات التي وردت إليها من الدول وسفرائها مما لم ينله نابليون الأول وغلبيوم الألمانى.

أقول وحق ما أقول إن الضيرم شديد فإن ترك امتد وأخاف الدانية والقاصية وليس في إمكان چوردون ولا أحذق سياسى في إنجلترا أن يخمد لبه والمناوشات البريطانية تحضره فتزيده اشتعالا، وإنما يتيسر إطفائه لأولى العزم من العثمانيين والمصريين لكونهم على شاكلة صاحب الدعاوى وييدهم عنانها.

كان من حذق الإنجليز لو اكتفوا في حفظ باب الهند بعضد العثمانيين وخضوع المصريين مع القوة البريطانية والتفتوا إلى ترميم سياج الهند من الجهة الشمالية. ماذا يفيدهم سد الباب إذا وهى الأساس فتداعت الجدران وخر السقف. إن قبائل التركمان في (مرو) مع شرس طباعهم لحقوا بدولة الروس اختيارًا بعدما كانوا مستقلين في أمورهم لا يدينون لسلطة أجنبية عنهم، فأى مانع يمنع تركمان سرخس وهم سنيون من الاقتداء بهم تخلصًا من حكومة فارس المخالفة لهم في المذهب فإن تم هذا فتح للروس طريق فراه إلى قايين إلى سجستان وأى قوة تصدها عن طمعها، وإن حلت في سجستان أو فراه فأية عقبه بينها وبين الهند؟

إن قبائل أزبك من سكان (ميمنة) و(أندخو) و(شيورغان) و(سربول) وسائر بلاد بلخ إلى (وبلميان) في ضجر من الحكومة الأفغانية. أفلا يتبع هؤلاء أثر أبناء أعمامهم التركمان، فإن غفلوا فتحت لهم روسيا بابًا من الملاطفة وذهبت بهم في طرق من سياسة اللين لتشويقهم إلى الدخول في حمايتها والتخلص من نير الأفغانيين وليس في قوة حكومة الأفغان كبجهم إن أرادوا لضعفها فيهم.

إن قبائل هزازة من الشيعة الساكنين في الجبال الممتدة من هراء إلى كابول ينتحلون الأسباب للخروج على حكومة الأفغان نفرة من سلطة السنين، وقد كانوا في الحرب الأخيرة بين الإنجليز والأفغان متفقين مع الإنجليز، فهم بعدما يرون جيرانهم انحازوا إلى الروس، أفلا ينزعون إلى مجاراتهم خصوصًا إذا لمعت لهم بوارق الوعود الروسية. هذا كله يكون، فتشرف روسيا بعد على الميدان المتسع الممتد من هراء إلى قندهار إلى غزنة بل إلى كابول من جهات كثيرة فهل بعد هذا يبقى للهند سياج؟ وهل يمكن أن يقام في وجه روسيا مانع من المسير إليه؟ وهل ينفع عند ذلك الوقوف على نافذتي (قناة السويس)؟

أليس يسهل على الروس عند إشرافهم على تلك المواقع الإيقاع بين قبائل الأفغان وبين المرشحين للإمارة ويتخذون منهم أحزابًا كما فعلوا بخوانين القرم؟

تقربت دولة روسيا إلى ألمانيا والنمسا في هذه الأيام وانعقدت بينهم معاهدة على حفظ السلم في أوروبا إلى زمن غير قصير، ولم يكن هذا التقرب مبنيًا على ما يخيله السياسيون في كل دولة على حسب مصالحهم وإنما رأت روسيا أن الوقت وقت العمل في آسيا فطلبت الراحة من جهة حدودها الأوروبية لتتفرغ لإجراء مقاصدها في أطراف الهند وأن الفزع من هذا الانتقال الفجائي قد ظهر أثره في جميع الجرائد الإنجليزية.

ليت الإنجليز صرفوا قوتهم ووجهوا عزيמתهم لدفع ما يلزم بهم من الخطر القريب ولم يقفوا في شرك المسألة المصرية. فإن ما كانوا يخافونه من مصر كان وهما صرفًا، فلما طرقتها أو قدوا فتنه ما كانت تخطر ببال أحد، ثم هم في عجز عن علاجها وإنما نظن كما يزعم الوزراء العثمانيون أن الإنجليز ليس في إمكانهم أن يكسروا سورتها بأنفسهم ولا بد لهم من يوم يلجأون فيه إلى ذوى العزيمة من العثمانيين والمصريين، وإلى الله عاقبة الأمور.

\*\*\*

### مصر

كانت حكومة هذه البلاد في الربع الأول من القرن الماضي (الهجرى) تعد من نوع حكومة الأشراف، ويحسبها المؤرخون في تلك الأوقات بدرجة لا تعرف هيئتها ولا يصل بحث الباحث إلى كنهها وإذا عبروا عنها بالتقريب قالوا: طرز قديم كان معروفًا في أغلب أنحاء المسكونة.

ثم أعجب الدهر فيها بغرائبه بعدما فوضت أمورها لمحمد على باشا، فلم يمض قليل من الزمن حتى دخلت في طور جديد من أطوار المدنية وظهر فيها شكل بسيط من الحكومة النظامية وتقدمت فيه على جميع الممالك الشرقية بلا استثناء، وعد هذا التقدم السريع من عجائب الأمور<sup>(١)</sup>.

هل كان في حسابان أحد أن يستلم زمام الحكومة في مصر رجل من بعض قرى الروملي لم يتربح في دروس العلم ولم يجبل في مصانع السياسة، إلا أن طبيعته الفطرية كانت فائضة بحب الحضارة، وبث العلوم، وتأسيس قواعد العمران، مع تدفق همته لبلوغ الغاية مما يميل إليه؟!!

تقدمت بعد ذلك فيها الزراعة تقدماً غريباً، واتسعت دائرة التجارة، وعمرت معاهد العلم، وانتشرت في أرجائها مبادئ المعارف الصحيحة، وتقاربت أنحاءها، واتصلت أطرافها، بما أنشئ فيها من سكك الحديد وخطوط التلغراف، وتعارفت أهاليها، واثلتف الجنوبي بالشمالى، والشرقى بالغربى، وقوى فيهم معنى الأخوة الوطنية، بعد أن كانوا لبعد الشقة بين بلدانهم كأنهم أبناء أقطار مختلفة، وتواصلوا في المعاملات، وتشاركوا في المنافع، واعتدلت المشارب المذهبية، حتى كان لهم زمن أحسن فيه كل واحد بنسبته من الآخر، وارتفعت بذلك أصواتهم، بعدما جالت فيه أفكارهم.

تفجرت من أرض مصر ينابيع الثروة، وعمدت بقائنها وطفحت ففاض خيرها على ما يجاورها من الأقطار الشرقية، بل وصل مدنيها إلى أراضي البلاد الغربية، وتوارد إليها الغرباء، وقصاد الكسب، من كل مكان وما خاب لها قاصد، ولا أخفق فيها سعى ساع، فأثرى في مغانيها الفقراء، وعز بها الأذلاء، وصارت قبله لآمال كثير من الغربيين، ومحط رحال الراجين من الشرقيين، وكل وافد إليها يجد أهلاً خيراً من أهله، وسكناً خيراً من سكنه، وتكاثرت فيها العناصر الغربية، حتى كان الداخل إليها يخيل له أنه تحت برج بابل يوم تلبلت الألسن.

وساد بها الأمن وعمت الراحة، وضارعت في كل أحوالها نوع ما عليه الممالك الأوروبية العظيمة، وكان المتأمل في سيرها هذا يحكم حكماً ربما لم يكن بعيداً من الواقع، أن عاصمتها لا بد أن تصير في وقت قريب أو كرسى مدنية لأعظم الممالك الشرقية، بل كان ذلك أمراً مقررًا في أنفس جيرانها من سكان البلدان المتاخمة لها وهو أملهم الكبير، كلما ألم خطب أو عرض خطر، غير أن الأيام كأنها حسدتها على ما منحته فعثر العاقل، وفرط المالك وأعثر المعجب، وتهور الغبى، وخار الأفين، فتقرب البعيد، وبعد القريب، ونزل بمصر ما لم يكن له أثر إلا حواشى طوامير الأوهام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١. ترى ماذا كان يقول الأفغانى لو بعث من قبره ليتحدث عن المآسى التى خلفها خلفاء محمد على باشا وما كان من مهازل بلاط

ألحمت إدارة الحكومة بما ليس من نسيج سداها، وانتفضت منها أصول على وجه غير مألوف، ففتحت للدسائس أبواب وأنساب، بين طبقات الناس، دهاء سياسة، وطلاب غايات، فتفرق اتصال، وتقطعت أوصال، فضعفت السلطة الوازعة، ونبذت الطاعة، والتهبت نيران الفتن.

قضاء حل بتلك البلاد، فاحتاجت في إعادة شأنها الأول إلى قويم، وعزم ثابت، ووازع قوى، تدين لسطوته النفوس، وإن من ذوى الحقوق فيها من يجمع هذه الأوصاف، وله من القلوب المكانة العليا، وكان يسهل عليه القيام بما يعهد إليه، لكن تحكم طمع وأخطأ ظن، فتخلفت النتيجة، واشتدت الحاجة.

أسفقت دولة الإنجليز على طريق الهند كما يقال، أو ظنت أن آن التقدم بعض خطوات قد آن، فرأت أن إعادة الأمن وتثبيت الراحة في مصر من فرائض ذمتها، فكان من التحريق والتدمير والقتل والشنق والحبس والإبعاد والتغريم وما شاكل ذلك مما لا حاجة لبيان، وعم بعض أنواع الهون، حتى لم يبق ممن يعرف اسمه أحد إلا مسه ضرره، ما خلا أشخاصاً قلائل وهذه المرهبات على ما بها من القوة لم تبلغ الغرض من تأمين طريق الهند لإشرافه على الخطر من وجه آخر، ولم تأت بما كان يؤمل منها لنظام البلاد.

أليست المالية هي مرمى أنظار دول أوروبا، وما وضع نظام في البلاد ولا أحدث تغيير بمشورتهم إلا لوقاية الخزينه من العجز عن أداء ما يتعلق بها من الحقوق الأوروبية، اليوم رزئت بالنقص في الإيراد، وحملت من تعويضات متالف الحرب أربعة ملايين من الجنيهات، ورميت بنفقات جيش الحلول، وحرب السودان، ومصاريق إخلائه، وما يضاف إلى كل هذا مما يظهره السمتقبل، فاختلفت الموازين، وبطل قانون الجبايات وأى مصيبة على المالية أعظم من نوازلها الحاضرة؟!

عقد العزم على إلغاء الجيش الوطنى، وهو قوة البلاد وبه فخارها، وكأنه لم توجد وسيلة لتنظيم جنود مصر، وقصر الجهد عن مجاراة محمد على باشا، وإبراهيم باشا، اللذين دوخا كثيراً من الأقطار بجنود مصرية.

إن كان كل ما تقدم من الشدائد والخطوب وزيادة النفقات وإلغاء العساكر الوطنية إنما يتخذ سبيلاً لراحة الأهالى، وتحسين أحوالها فنعمت الوسائل إذا أدت إلى غاياتها، لكن أين السبيل من المقصد وأين هذه المعدات من تلك الغايات؟

وا أسفاً على حالة الأهالى بعد هذا، حكم من لا دافع لحكمه بطرد آلاف من الوطنيين الموظفين فى دوائر الحكومة، وما منهم أحد إلا ويتبعه عائلة وأولاد ولا قوت لهم إلا من مرتب عائلهم، وما مرن على عمل للكسب سوى ما نشأ فيه من خدمة الحكومة، ألم يمس هؤلاء ضر الفقر؟! ألم بعضهم ناب الجوع؟! ألم يهتك مستورهم؟! ألم يضق ذرعهم؟! ألم يصبحوا كساءً بسراويل الكأبة، عراء من أكسية المسرة؟! إن لم يكن كل هذا فقد كان جله. وإن صدى أنينهم يتلى فى صفحات الجرائد

الوطنية العربية والإفريقية وسيتمتع السابقين منهم اللاحقون. حتى لا يجد وطنى فى البلاد من المهن إلا ما لا يليق بالإنجليزية تعاطيه من سفاسف الأمور كما هو فى البلاد الهندية.

اضطرب ميزان السلطة العامة لتعكس قواها المختلفة فاشتبه الأمر على العمال، وظنوا أن لا تبعه عليهم فيما يعملون فانطلق ما غل من أيديهم. وحكموا أهواءهم فى أداء وظائفهم، فخبطوا وخلطوا، أفعمت السجون بأعيان الرعية، ورفعت أذنان الكراييج لتشريح أبدانهم واستعملت آلات التعذيب وامتدت مخالب الجور لتجريدتهم من بقايا أموالهم، وثمرات كسبهم، وحدث نوع من الحكم المطلق عزيز المثال، بُعث عليهم عذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم، ولبسوا شيعًا وأذيق بعضهم بأس بعض وما الله بغافل عما يعمل الظالمون.

غلقت أبواب العمل من وجوه الرسمية فى الإدارات، وتعطلت أشغال المحاكم وشخصت الأبصار لعاقبة هذا التنازع بين القوى الحاكمة فاتسع نطاق الفوضى وارتفع حجاب المنعة. فإذا الفلاح لا يبالي بعمدته والعمدة لا يبالي بمأمور مركزه، والمأمور لا يحترم مديره. وسرى التهاون إلى الدوائر العليا، وعاد الأمر لقوة الساعد وكثرة الأعوان فعاتت اللصوص، وكثر قطع الطرق فى كل ناحية.

وارتفعت الأصوات بالشكوى منهم فى عموم الجرائد الوطنية، فوقفت حركة الأعمال العمومية وبدت للناس شئون عدلت بهم عن ضرورات معاشهم، وامتنع المدينون من أداء ما عليهم لدائنيهم من التجار والربويين؛ فقبض المقرضون أيديهم واحتكروا نقودهم لفقد ثقتهم وإشفاقهم من الضياع على رءوس أموالهم وإن أصيبوا بالحرمان من الربح وابتلوا بالخسارة فى رأس المال من قبيل آخر. واشتدت الحاجة بالفلاحين إلى ما يعوض عليهم من ماشية، فالحرثة بعدما اغتالها التيفوس وما يجددون أو يصلحون به آلاتهم الزراعية، ويستعينون به على نجاحها حسب العادة التى ألفوها، فعميت عليهم من السبل، وضافت بهم المسالك، ولم يجدوا لسد حاجاتهم سبيلا؛ ففسدت الزراعة وانتقصت ثمراتها، وانحطت أسعار الحاصلات لارتباك الأحوال إلى حد ما كان يسمع إلا فى القصص وروايات القدماء قبل محمد على باشا. ومطالب الحكومة فى ضرائبها ورسومها على حالها الأول مع الإغلاظ فى اقتضائها، فعم العسر وأحاط الضنك، وتقوضت آلاف من البيوت التجارية، وأتربت أيدي ملايين من عمال الصناعة، وأعدم المزارعون قاطبة إلا نزر يسير من حفظة الكنوز أو المستأثرين بأموال الكافة نهبًا وسلبًا، باع الفلاح أثاث بيته بل وما أبقاه التيفوس من عاملة أرضه، بعدما ذهبت الحاجة بحلى حرمه وبناته ليؤدى ما عليه لحكومته، ول ينل من نضارة العيش ما يقوم بحفظ حياته، وعاد إلى الفطرة الأولى يقتات بأقوات البهائم ويسرح مسارح الحيوانات إلا قليلاً منهم الله يعلمهم.

وزاد الويل بمحق الحرية الشخصية، والأخذ بالشبه، وإن ضعفت، واتباع بواطل التهم وإن بعدت، أو استحالت، حتى أخذ الفرع من القلوب مأخذه، وبلغ منها مبلغه، فلا ترى مارا بطريق إلا وهو

يستلقت خلفه لينظر هل تعلق بأثوابه شرطى يقوده إلى السجن، أو يقتضى منه فداءً، وكل معروف الاسم من المصريين ينتظر فى كل خطوة عشره، وفى كل نهضة سقطة، وله من كل شاخص دهشة ومن كل طارق لبابه غشيه. أى شقاء ينتظره الحى فى حياته أشنع من هذا؟!

هذا ما تنشق له المرائر من أحوال سكان القطر المصرى. هذا بعض ما يضيق به الصدر، وتنقبض له الأنفس، مما رزئوا به بعدما تكفل أحباؤهم الأولون بالدفاع عنهم وتخليصهم من الفوضى السابغة، هذه طلائع الإصلاح المبشر به من زمان بعيد على السنة رسله. أصبح الأهالى حيارى فى أموالهم، تائبين عن رشادهم، لا يعلمون ماذا يحل بهم، يذكرون من أحوالهم السابقة ما كانت الدول الأوروبية تسميه ضيقاً وعناءً وتمنيهم بالإنقاذ منه فيحنون إليه ويودون لو رجعوا إليه، ويحسبونه غاية سعادتهم بعد هذه الحالة التى هم فيها.

أبعد هذا يصح لمصرى أن يظن أن تلك الرزايا التى حلت ببلاده من نحو عشرين شهراً كانت مقدمة لأصلاحها وتنظيم شئونها؟ نعم يمكن أن يخطر بالبال أنها تمهيد لعلم صناعى فى الأراضى المصرية كتنظيم طرقها، وإقامة جسورها، وتكثير جداولها، وتقوية مواد الخصب فيها، حتى تعود بعد مدة جنه من جنات الدنيا، أو روضة من رياض الآخرة، أما الأهالى فليسوا بموضع النظر فإنهم إن هلكوا ورث الأرض بعدهم قوم آخرون.

فإن لم يكن هذا فليكن تمام الإصلاح الذى يمثله الخاطر، فى وقتنا الحاضر، ولا يكفى للبداء فيه سنون معدودة على قياس الإصلاح المنتظر فى بلاد بنجاب (من الممالك الهندية) فإن الدولة التى تولت إصلاح الشئون المصرية فى هذه الأيام، دخلت بلاد بنجاب بهذه الحجة، واستولت عليها من مدة اربعين سنة، ولم تزل إلى الآن حكومتها عسكرية ولم يشرع فيها بتنظيم مدنى، فليُنظر إخواننا المصريون فإننا معهم من المنتظرين.

\*\*\*

### أعجوبة

ظهر لمراسل التايمس بالإسكندرية فى هذه الأيام ما كان ظاهراً عند الكافة عامتهم وخاصتهم، ولم يخف على غبى ولا ذكى ولا أعمى ولا بصير، بل لم يحصل فيه أدنى شبهة فى زمن من الأزمان الماضية، فأبرق إلى جريدة التايمس يثبت فيه ما يأتى: إنه يوجد بين طبقات الأهالى جمهور كثير ينفر من سلطة الإنجليز (وخجل أن يقول جميع الأهالى). كذلك وأنهم لا يسرون بإرسال العساكر إلى توكار، بل بلغ الأسف منهم غايته عندما سمعوا بانتصار چراهام على العربان.

ويقرب من هذه الأعجوبة ما أجاب به جرانفيل موزورس باشا عندما بين له لزوم التداخل العثمانى فى حوادث السودان، حيث قال إن العساكر التركيه تلاقى من معارضة المصريين مثل ما تلاقى العساكر الإنجليزية. فاعتبروا يا أولى الأبصار.



\*\*\*

## غريبة

روت جريده التان، عن الجرائد الإنجليزية أن الخديو الحالى عقد عزمه على الاستعفاء من منصبه إلا أن حرمه (زوجته) عارضته فيما عزم عليه كل المعارضة وعندما أشار إليها بما فى نيته تناولت مقرضاً وجزت شعرها علامة على الحداد وأقسمت أن لا تلبس الجوارب والأحذية حتى توقن بعدوله عن مقصده هذا، وهى من ذلك الوقت تمشى حافية وتنتظر آخر عزيمة من زوجها الخديو. ولعل هذا من مبالغات الجرائد الإنجليزية أو يكون منشؤه إلحاح السير پارين عليه بطلب حمايه إنجلترا، كما رواه كثير من الجرائد، أو إجباره على التنازل، كما روته جرائد أخرى.

\*\*\*

## جوردون باشا

إن چوردون باشا بعدما نصب نفسه للمدافعة عن حرية السودانين زماناً طويلا وكثر ما توسل بذلك لعودته حاكماً للسودان نال فى هذا الحوادث بغيته، وأرسل من قبل دولته لعمل سودانى فوصل الخرطوم وافتتح أعماله بمخالفة مشربه، فأعلن إباحة بيع الرقيق وإلغاء معاهدة سنتى ١٨٧٧ - ١٨٧٩ ثم تعدى على حقوق السلطان بدعاوى مختلفة، منها أنه جاء نائباً عنه، وتضاربت أقواله فى مأموريته، فادعى أنه حاكم عام على الأفطار السودانية بأمر دولته والحكومة المصرية، مع تصريحه بأن الحكومة المصرية لا دخل لها من الآن فى إدارة السودان رأساً واعترافه بإمارة الشيخ محمد أحمد على كوردفان، هذه كل وسائله لامتلاك قلوب السودانين، ولم يلبث أن ظهر ضعف سياسته عند جميعهم لعلمهم السابق بأطواره، فكان ما أجمعت عليه الجرائد الإنجليزية والفرنسية من عدم نجاحه فى مأموريته، فإن الأخبار الخصوصية الواردة من الخرطوم متفقه فى أن ما أشيع من البهجة بقدم چوردون محى أثره وتحول إلى اضطراب وقلق وتشويش فى الأفكار، وأن القبائل فيما وراء الخرطوم تسخر بمنشوره وتهزأ بوعدده ووعيدة، وهذا الضرب من السياسة ربما يستغربه من لا يعرف حال چوردون، أما المصريون جميعاً والسودانيون خصوصاً فلا يعجبون منه لوقوفهم على أحواله من قبل، وإنما العجيب من كون الحكومة الإنجليزية ذهلت عن أن ثورة دينية لا يمكن إطفائها بيد من يخالف الثائرين دينا وشكلا ولغة وإن كان عاقلا سياسيا.

يثبت هذا الذى قلناه ما ورد إلى «الدلى نيوز» من أن الجنرال چوردون بعث برقية أثبت فيها أنه عاجز عن مساعدة الحامية المصرية فى السودان ما لم يكن تحت إمرته جيوش على النيل الأبيض والنيل الأزرق، وما جاء من مكالته لمراسل التايمس حيث صرح له أنه لم يعد فى إمكانه أن يفعل أزيد مما فعل (وما فعل شيئاً) لتقرير الراحة بين السكان، وأن العزم على إخلاء السودان فتح للشيخ محمد أحمد سيلا لإثارة القبائل بين بربر والخرطوم، وفى أثناء المحادثة أظهر احتياجه لفرقتين من العساكر ترسل إليه من جيش الجنرال چراهام. ومما قاله: إنه من الضرورى تعيين زبير باشا خلفاً له

فى الخرطوم ويفوض إليه إعادة الراحة ومقاومة الثائرين، وهذا من عجيب تدبيره فإن هذا الباشا إن لم يكن معتقداً بصاحب دعوى المهديوية، فعنده أعظم باعث للاتفاق معه، فإنه لم ينس ما حل بأولاده وأقاربه من القتل صبراً، وما سلب من أمواله نهباً وغصباً، فكيف يميل لمساعدة الحكومة المصرية على إخضاع الثائرين عليها؟!

\*\*\*

### چراهام وعثمان دجمة

بعث الجنرال چراهام قائد جيش الإنجليز فى جهة سواكن، بمنشورات إلى رؤساء القبائل يعدهم ويمنيهم، ويهددهم ويتوعدهم لينفصلوا عن عثمان دجمة، وإلى عثمان يرعد له ويبرق، ويرغى ويزيد، ويطلب منه التسليم، فورد الجواب من عثمان برفض الطلب والاستعداد للحرب، وردت الرسائل من واحد وعشرين شيخاً من مشايخ القبائل ناطقةً بأنه لا واسطة بين الإنجليز ومساعدتهم، وبين القبائل السودانية إلا السيف، ثم قالوا إن كل من لا يصدق بدعوى المهدي فإنه سيكون لا محالة فريسةً للموت وطعمةً للهلاك.

فاضطر الجنرال چراهام لإعادة التهديد مرةً أخرى على النحو الأول ويغلب على الظن أن الجواب يكون الجواب.

وجاء فى جرائد الإنجليز أن الشيخ المرغنى (وهو شيخ طريقة من المسلمين) بعث إلى عثمان دجمة رقيماً يستدعيه للطاعة، ويحذره من مقاومة العساكر الإنجليزية، فأجابه عثمان دجمة بأن فى عزمه شرب دماء الإنجليز وكل من يساعدهم فإنه يحارب بسيف الإسلام. وفى ختام جوابه نصح للمرغنى وطلب منه أن يقوم بإرشاد الإنجليز إلى ترك الحرب ووضع السلاح وهو أولى له من نصح مشايخ القبائل العربية الإسلامية.

\*\*\*

### المسألة المصرية

إن المسألة المصرية صبغت فى إنجلترا عدة صبغات من يوم نشأتها، وكلما عرضت على العقول فى لون خيل لها أنه أجود ما فى الدن، حتى إذا مضى عليه زمان خفى وأعقبه لون جديد، وهى فى انتقالاتها هذه لا تزداد إلا أشكالا، ولا تزيد إنجلترا فى إنهاؤها إلا ارتباكاً.

كان بود مستر جلاستون أن ينهج فى سياسته منهج سلفائه من الإنجليز، يحبو إلى مقصده بالأناة والتؤدة، ويلتوى فى مسيره إلى معاطف متخالفة، ويرى أن سلوك الجادة مما لا تقتضيه الحكمة، ولا يسوغه الحدق، حتى يبلغ الغاية ويقطع الخلال (الطريق بين الرمال) ولا يظهر له أثر يقتفى، أو كان كما يزعمون أو كما يدعى، ونادى به على عهد بيكونسفيلد من أنه لا يميل إلى الفتوحات، وهمه البعد بإنجلترا عن المدخلات فى الأمور الأجنبية بالقوة الحربية، إلا أن الحوادث المصرية ألجأته إلى

العدول عن مشربه، والتطور بغير طوره، فتضاربت آراؤه وتردد في أعماله، وسار سيره المتخبط، ونشأ من طلعه في السياسة توعر السبل على حكومته في بلوغ ما تريد، وحدث عنه النزاع بينه وبين بقيه الوزراء فيما يجب اتباعه من بعد، وهو الآن في حيره بين التمسك بمذهبه السياسى، والاستقاله من المنصب، وبين الانفلات منه والتعرض للوم العلاء والسقوط من منزلته في قلوب أحزابه، وهذه الحيره مهدت لمعارضيه من الحزب المحافظ طريقاً للسعى في إسقاطه من مكانته السياسيه وإهباطه من كرسى الوزارة.

الذى أباح لمستتر جلاستون أن يركب غير طريقه، ويتداخل في مصر بقوة السلاح ما زعمه من احتياج تلك البلاد إلى إقرار الراحة، وتخليصها من خلل الفوضى، ومن مصلحة إنجلترا أن تتولى إغاثتها مما وقعت فيه، فمد يده لوضع قواعد العدالة، وتخليص الحكومة من الضعف وإعادة الأمن إلى البلاد، وكان يظن أن هذا المطلوب يتم بهدم طوابى الإسكندريه، والحلول في ثكن القاهره، فيكون قد كسب أجراً أو نال ملكاً جديداً أو حفظ مصلحة مهمة، بأعمال خفيه، ونفقات قليلة وكلمات غير طويله، ولكن مع الأسف لم يساعده التوفيق على نوال البغيه.

تتابعت الفتن وعلا لياقتها حتى لذعه فنبهه لما لم يخطر له على بال، فاضطر لسوق العساكر، ومداومه الحروب، ومع هذا لم تؤيد الحكومة التي انتصر لها ولم يكف محمد أحمد عن دعوته ولم يهن عزم عثمان دجمه بهذه الصدمات المتتاليه، وأجمعت الجرائد على أنه نادى بالحرب الدينيه وهو يجمع متفرقه العرب ليزيدها إلى قبيله، ويهاجم الإنجليز مره ثالثه، وأكد رواه الأخبار أن محمد أحمد أنبأ من قبل أنه سيهزم مرتين قبل تمام ظفره بالإنجليز، فكانت هذه الهزومات مما يقوى الاعتقاد به ويجمع الكلمه عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فهذه المصاعب شوشت أفكار البرلمان، وحركت الخواطر على الوزارة الجلاستونيه، وتخوف رئيس الوزارة من عواقب المداولات في المسائل المصريه، فتأخر عن حضور الجلسات من مداه أيام، وقام وزير الحريه مقامه في التعبير عن أفكار الوزارة، وفهم من بعض خطاباتة أن من نيه الحكومة أن تحفظ الثغور المصريه بعساكرها، وأن تحل في شرق السودان، وأن تتولى إدارة الحكومة المصريه كما تراه في غير هذا المحل، فقامت الحججه بكلامه هذا في حزب المحافظين، ووبخوا الحكومة على ضعفها السابق والتجائها للعدول عن سياستها في هذه الأوقات ولم يكن من رأى جلاستون أن تصرح الحكومة بمقاصدها، وتظهر مشرعها بوجه جلى، ووقع الخلاف بينه وبين وزير الحريه، وكثير من أعضاء الوزارة، على جمله مواضيع في المسأله المصريه، وزاد الخلاف شده ميل جلاستون لمرضاه الأيرلنديين وتجافى بقيه الوزراء عن رغبته، وثبت الرئيس في آرائه وهو يفضل الاستعفاء على التساهل في شىء منها، ومن هذا غلب على الظن أنه سيحصل انقلاب في الوزارة أو فض

البرلمان، وأكدت قرب ذلك جريدة التايمس وجريدة الديلى نيوز وهى نصف رسميه وجاءت الأخبار الأخيرة متفقه على أن وزارة جلاستون فى خطر.

فإذا انقلبت الوزارة الإنجليزية، وخلفتها أخرى من أى حزب كان، فما عساها تفعل لحل المسألة المصرية والتخلص من الورطة، أقبل الصيف وصعب على عساكر الإنجليز أن تأتي بحركات عسكرية فى أطراف السودان الشرقية مدة أشهر ويتعذر حفظ المواصله بين سواكن وبربر والخرطوم فإن طلبوا عساكر هندية كما أنبأت به البرقيه انكشف للهنديين بتكرر طلب العساكر من الهند ضعف القوة البريطانية، واجتراءوا على حاميه الهند وهناك الهول الأكبر. فى هذه المده وهى غير قصيرة يتيسر لمحمد أحمد ودعاته أن يجمعوا قواهم وينالوا من المنعه ما يتعسر على عساكر الهند مقاومته بل هم الآن على القرب مما نقول، ففى الأخبار الصحيحه أن حاله النيل الأعلى لا ترضى الحكومه الإنجليزية، والبلاد المجاوره للخرطوم فى ثوران شديد وقد انقطع الأمل من فتح الطريق بين بربر وعاصمه نوبيا، ومحمد أحمد مهتم من نحو شهر بجمع قوة عظيمه يساعده على تنظيمها ضباط من أركان الحرب فيهم اثنا عشر أوروبا وستون ضابطاً مصرياً نجوا من عساكر هكس، ذكرت جميع ذلك جريدة الديلى نيوز واعترف مستشار خارجيه إنجلترا أن المواصله بين شندى والخرطوم منقطعه، ولم يصله خبر عن چوردون من حادى عشر هذا الشهر فإذا ترك هذا الخطب الجلل للقوة الإنجليزية فلا نظنه إلا يصدع جدار الهند كما بينا فى العدد الماضى ويذهب بكل ما يعبر عنه بالمصالح الأوروبية فى مصر (وليكن كذلك).

ولا نظن أن دول أوروبا تسمح بضياح مصالحها فى الأقطار المصرية خصوصاً بعض الدول التى كانت تسابق إنجلترا فى وداى النيل وانحط مقامها فيه بالتداخل الإنجليزي الذى ليست له حدود معروفه، ولا غايات معلومه، والى هذا تشير جريدة التان الفرنسية الوزاريه حيث تقول: إن إنجلترا لا يمكنها أن تضع مصر تحت حمايتها حتى تناقش الحساب بين أيدى أوروبا، وتنوّه به جريدة سان بترسبورج حيث تقول: إن روسيا ليس فى عزمها أن تفتح بعلم فى مصر فإن إنجلترا اعترفت فى جميع الأوقات بأن المسائل المصرية لها هيئه دوليه وبناء على هذا لا يمكن القطع فى شىء منها إلا باتفاق أوروبا، هذا إذا تمكنت إنجلترا أن تأخذ على نفسها إطفاء الفتن وإجهاض الثورات، واستطاعت القيام بما تكتب على ذاتها، ففى نهايته تطلب عند أوروبا بما تقتضيه مصلحه كل دوله منها، فإن عجزت كما هو الغالب على الظن أو طال عليها الزمان، وهى بين ظفر وانهازم ولا تتجاوز فى حركاتها العسكريه شواطىء البحر، فلا ريب أن القلق يستفز الدول لطلب وسائل أخرى سوى ما تهيهه دوله إنجلترا، وإنا نرى وسيحكم الزمان لنا إن شاء الله أن حفظ حقوق الأوروبيين، وضبط البلاد المصرية وإخماد نيران الفتنة فيها لا يتم إلا على أيدى أهلها ويفعل الله ما يشاء.

### الإنجليز فى السودان

إن البرقيات التي وردت من سواكن جميعها متفقاً على أن العساكر الإنجليزية هاجمت معسكر عثمان دجمه في ثمانية منقسمه إلى مربعين وبعد أن فارقت زفربا غارت عليها العرب بعدد وافر مع بسالة الأيس ودخلت في المربع الأول وهو المقدمة وكانت فيه مذبحة هائلة، وتقهقرت العساكر الإنجليزية وتركت مدافعها بعد ما قتل منها جم غفير بأسنة العرب وحرابهم، إلا أن فرقه من مشاء البحرية جاءت من القلب وسدت الخلل الذي وقع في صفوف العساكر من هجمات العرب ودفعت قوة المهاجم، ولم تكد المربعات الإنجليزية تلثم وتعود إلى الانتقام حتى هاجمتها جيوش عثمان مرة أخرى ببأس شديد وانقضت عليها من الجناحين والتحمت مقتلة عنيفة وترامى العرب على الموت واستهانوا بالحياة مفضلين الشهادة على التقهقر والتسليم.

وتضافرت الأخبار على أن العرب أظهروا من البسالة والشجاعة ما لا يوصف، حتى قال الرواة إن ما شاهدوه منهم يعدّ من غرائب الأعمال البشرية، إلا أن الروايات اختلفت في عدد من قتل منهم ومن عساكر الإنجليز، فبعضها أوصل قتلى العرب إلى ثلاثة آلاف وبعضها إلى أقل، ثم جاءت الأخبار الرسمية (وما أدراك ما الأخبار الرسمية) وما تبالغ في قتل أعدائها مصرحة بأنها ألفان، أما قتلى الإنجليز فقد بالغوا في قتلها حتى أوصلوها إلى مائتين أو ثلاثمائة بعدما اعترفوا بأن العرب فتكوا فيهم فتكاً ذريعاً.

و على أي حال قد انتهت الواقعة بانسحاب العرب إلى جبالهم ورجعت العسكر الإنجليزية بغاية السرعة إلى سواكن وتركت المواقع التي استولت عليها وتوافد إليها العرب مع قائدهم عثمان واجتمعت له في الموقع الذي هو جم فيه قوة حملته على الشموخ بأنفه والنداء باستعداده لمهاجمة العساكر الإنجليزية وأنه لا يقبل التسليم، إنا لنعجب كما يعجب سائر الجرائد الأوروبية من هذه الرجعة العريية بعد الطنطنة بالنصر والظفر والإعلان بأن العساكر الإنجليزية نالت من الشرف أعلى ما يناله جيش في قتال، فإن سرعة الرجوع شاهد بين على أن هذا الجيش المنظم يقتدر على حفظ مركزه في ساحة الحرب وأنه خشى التلف لو بقي فيه فعاد راجعاً إلى شواطئ البحر. فكان المقتلة لم تكن إلا كره أعقبتها قوة حتى عدتها بعض الجرائد هزيمة وحسبتها من الخطأ العظيم لأنها تجرىء العرب على البقاء في الطريق الذي يصل سواكن ببربر وقطع الطريق على سالكيه، وإنا لا نوافقهم على ذلك لكننا نعدها عجزاً ظاهراً عن مقاومة العربان في جبالهم.

وما أشبه فعلة الإنجليز هذه بفعلتهم من نحو عشرين سنة عندما كان يحارب في حدود الهند سرايا الأمير عبد الله الوهابي وخوندسوات، فإنه بعدما انهزم في جبال (سوات وبنير) شر هزيمة وترك مدافعه وذخائره رجع ثانية ودخل قرية صغيرة من قرى تلك الجبال.

وفاجأها ليلاً على غفلة وأحرقها فقتل أهلها جميعاً وانقلب راجعاً إلى بلاده في الهند من ليلته، وأعلن بأنه قتل وسلب ونهب وظفر وانتصر، فليعتبر المعترفون.

وكان الجنرال چراهام بعمله هذا لم يرد إطفاء الفتنة في الأراضي المصرية، وإنما قصد ردّ شرف العساكر الإنجليزية والأخذ بثأر بعض من قتل نها سابقًا وإقامة البرهان لأوروبا على أن العساكر الإنجليزية يقدرّون على محاربة العربان ويستطيعون الهجوم عليهم، نعم إنه لم يغفل التدبير بالكلية فإن الجرائد أخبرت أنه وضع رأس عثمان دجمه في المساومة وجعل لمن يأتي به ألف ليرا إنجليزية، ونعم ما دبر ولكن يخاف أن عثمان عندما يبلغه الخبر يضع رأس الجنرال في المزايدة ويجعل لمن يأتي به مائة قنطار من سن الفيل ويكون الخطر على الجنرال أعظم!!

ثم إن الجرائد الإنجليزية على عاداتها من ترويج سياسة حكومتها في الحروب أشاعت أن الجنرال چراهام بعد رجوعه إلى سواكن دعا بعض رؤساء القبائل وذكرهم في إقرار الراحة بين سكان البلاد السودانية ورجب إليهم أن يتعهدوا به، فأجاب بأنه غير ممكن لهم إلا بمساعدة العساكر الإنجليزية وأنهم استصوبوا ما نشره الجنرال من تعيين الجعالة على جز رأس عثمان بمبلغ ألف ليرا إنجليزية، وهذا مما لا نظنه بالعرب لمخالفته طباعهم وبنوا أخلاقهم على الخضوع للأجنبي عنهم وما عهد ذلك فيهم من يوم نشأتهم العربية إلى اليوم. وبعد إنهاء الكلام معهم أخذ في ذم عثمان على ما روته تلك الجرائد حيث لم يظفر به بأنه كذاب وخائن لبلاده وأبناء جلدته فإنه الذي عرضهم لسفك الدم وإتلاف الأرواح.

وقد ذكرنا هذا بقصة أحد القواد الأفغانيين حيث عرض نفسه لخدمة الإنجليز في الحرب الأفغانية الأخيرة فأمدوه بمبالغ وافرة لأعانتته على العمل فأخذ ما أخذ ونثره في قومه وهياهم به للكر على الإنجليز والنكاية بهم ونال منهم ما نال. وبعدهما ذاقوا منه الوبال أخذوا في نشر المنشورات وتحرير الإعلانات بأن هذا الرجل قليل الوفاء خائن العهود لا يثبت على قوله ولا يفى بوعده، مع أن الوفاء هو أداء حق الوطن والمدافعة عنه والقيام بذمامه وكل عهد يخالفه فالذمة تنكره والصدق يأباه كائنًا ما كان

هذه أسطورة أمر الجنرال چراهام، وأما الجنرال چوردون فقد أخبرت بعض الجرائد الإنجليزية أنه في خطر وأنه يوجد قلق عظيم في مصر من جهته، ويثبت هذا الخبر امتناع وزير الحربية في إنجلترا من عرض المخابرات التي جرت بينه وبين الجنرال خوفًا من تأثيرها في الأذهان.

وروت جريدة الديلى نيوز بناء على تلغراف ورد إليها أن زبير باشا صرّح باستعداده لأن يخلف چوردون باشا في السودان وهو يظن أنه لا يمكن إعادة الأمن إلى تلك البلاد إلا بطرق سلمية ولا يستطيع أن يبدى فكره في شأن المهدي قبل أن يخبره وهو في ريب من اعتقاد السودانيين بنبوته (كذا) ومما قال: إن تجارة الرقيق يمكن إلغاؤها بالتدرّج عندما يشرع سكان السودان في معرفه فوائدها وتمدن ومنافعه ثم كذب ما أشيع عنه من البغض للجنرال چوردون.

نعم إن زبير باشا لا يبغض الجنرال فى هذه الأوقات ما دام فى القاهرة أما إذا وصل إلى السودان فيمكن أن تعود إليه الضغينة التى مزجت قلبه سنين عديدة.

\*\*\*

### صدى دعوة السودان

وردت برقية من تاشكند إلى جريدة الساندر الإنجليزية مفادها أنه حصل اضطراب عظيم فى أفكار المسلمين سكنه بخارى عندما سمعوا بانتصار أعراب السودان وظفرهم الأول، وظهر فيهم داع جديد يحث على الحرب ومقاتلة الذين ينتهبون الأراضي الإسلامية لتوسيع ممالكهم ويهدد صاحب السلطة العامة بين المسلمين بخلعه من مغرسة إذا لم ينشر اللواء الأخضر (المغالبة ومصادمة المتعدى عليهم). هذا برهان جلى على ما أنذر به سابقاً من أن دعوى المهودية فى السودان لهذه الأوقات التى صدم المسلمين فيها أشباه الحوادث الماضية فى القرن الخامس والسادس من الهجرة ستدعو إلى حركة عامة يصيح فيها الشرقى الغربى ويصعب على الإنجليز وهو فى مجراها أن يتنكب عنها دون أن تعرفه هزة من مفزعاتها خصوصاً والمظاهرة الدينية فى البلاد المحكومة بسلطة أقوى وأظهر.

إن بلاد بخارى بينها وبين السودان مسافات متطاولة وأبعاد متناثية ويظن الناظر فى لوح الجغرافيا أن المواصلات بينها منقطعة، ومع ذلك سرى التنافس بين القطرين فى الغيرة بغاية السرعة فما ظنك ببلاد هى أقرب إلى مبعث الدعوى وأدنى منها منالاً؟! يغلب على الظن أن الروح هبطت إليها ولكن تتحرك بحركة العقل وتنمو على القوانين الطبيعية والشرائع السياسية والاعتقادية، فلا يشعر الأقوياء إلا وقد بات بحلاقمهم المستضعفون، والأرض أرض الله يورثها من يشاء من عباده الصالحين.

إذا سهلت الحوادث ظهور الكوامن و مهدت بروز المغيبات ماذا يمكن أن يؤخذ به من الوسائل لوقاية العدد القليل من غيلة الجمهور الأغلب الذى لا يقاوم و ما أمكنت مقاومته فى الأزمان الخالية؟! نظن أن لا وسيلة لهذا إلا بتسليم الأمر لأربابه و الدخول إليه من بابه، و تركه للمسلمين يرضى بعضهم بعضاً و يدافع بأسهم بأس بعض. فإن كان هذا هو نهاية السير، فمن الخطأ السياسى أن لا يبدأ به قبل اشتداد الكرب، و عظيم الخطب، و الله الهادى إلى طريق الرشاد.

### اضطراب سياسة الإنجليز فى مصر

تشاكرت أفكار السياسيين من الإنجليز فى لوم الحكومة على سياستها المصرية، قال اللورد سالسبرى فى بعض الاجتماعات العظيمة: إن الحكومة الإنجليزية بالتواء سياستها و تذبذبها وضعت من شرف إنجلترا و خففت اسمها، و عرضت أجل مصالح الإمبراطورية (الهند) للخطر. ثم تكلم فى منشور چوردون باشا المبيح لبيع الرقيق فقال: ليس من الممكن لمسيو جلاستون أن يبيح تجارة الرقيق على حفاى النيل و هو يحظرها على سواحل البحر الأحمر (و الأولى أن يبيحها فى جمعية البقاع لاستحالة منعها مطلقاً). و ذكرت جريدة (البال مال جازيت) أن مستشار جميعه منع الرق فى



لندن أرسل إلى اللورد جرانفيل خطاباً بالنيابة عن أعضاء الجمعية يلقي عليه التبعة في تسمية زبير باشا والياً على السودان الشرقية، و أن الجمعية اتفقت آراؤها على أن مساعدة الحكومة الإنجليزية لرجل كزبير باشا تكسيها عاراً و حطه في نظر أوروبا.

و قالت جريدة الديلي نيوز: الصحيح أن الارتباك الواقع في مالية مصر أقلق وزارة إنجلترا و بعثها على البحث في إيجاد وسيلة لإدخال النقود إلى مصر، فإنها في غاية الحاجة إليها. و يؤكد أن الحكومة الإنجليزية ستعرض أفكارها على البر لمان في هذا الشأن، و في الظن أن ما تعرضه عليه يكون متعلقاً بضمانه القرض المصري (دخول مصر في حماية إنجلترا رسمياً) إلا أن عدداً عديداً من الأحرار في البر لمان صرحوا بعدم قبولهم أى فكر يعرض عليهم في هذه المسألة. و مع هذا فقد كذبت هذه الجريدة ما أشيع في الدوائر المالية من أن في عزم الحكومة الإنجليزية أن تعد قرضاً للبلاد المصرية مبلغه ثمانية ملايين بفائدة ثلاثة و نصف في المائة.

### برلمان إنجلترا

انعقدت له جلسة من أيام لم يحضرها المستر جلاستون لأنه كان مريضاً (أو ممرضاً لخوفه من عاقبة المداولة فيها) فتاب عنه في الكلام هر تنكتون وزير الحربية و ابتداءً يطلب نقوداً لنفقات حلول الجيش الإنجليزي في الأقطار المصرية و بين الدواعى إلى ما طلب، فعارضه المسيو لاوشير (و هو من الحزب الحر الذى يأبى أن تدخل إنجلترا في أى حرب كانت) و طلب تنقيص المبلغ الذى طلبه وزير الحربية ثم دارت المباحثة في المسألة المصرية و حمى و طيس الجدل فيها و تكلم الخطباء عن ماضيها و حاضرها و مستقبلها و بينوا الأغلاط التى ارتكبتها الحكومة في سياستها و ماذا يجب الآن إعداده من وسائل الخلاص و قال اللورد نورثكوت (و هو رئيس حزب المعارضين لسياسة الحكومة): إن خطاب وزير الحربية دل على تغيير عظيم فى أفكار الوزارة، فقد علمنا من كلامه أنها جارت الرأى العمومى فى البلاد و أذعنت لمقتضيات الحوادث و عدلت عن السياسة المرتجة المتزعزعة و اعترفت بما تعهدت به و قبلت أن تقوم بوفائه بعد أن كانت تحاول التملص منه، و فهم منه أيضاً أن بلاد السودان إذا تركت لصغار السلاطين القدماء الذين يحاولون استعادة ممالكهم ليقيموا فيها إمارات صغيرة فإن الخرطوم تكون مستثناة لأهميتها فى راحة البلاد المصرية، إن البحر الأحمر لما كان تابعاً لقنال السويس و مرتبطاً بطريق الهند، فمصلح إنجلترا تقضى بأن تكون الثغور المصرية (من الإسكندرية إلى ماوراء عدن فتدخل رشيد ودمياط و بور سعيد و سواكن و مصوع) بيد الإنجليز مادام المصريون عاجزين عن الدفاع عنها. و وضح فى خطابه (وزير الحربية) أن أفكار الوزارة فى هذه الأوقات متجهة لأن تحمل عساكرها فى مسافات طويلة من السودان الشرقى لعلمها بلزوم اتصال شواطئ البحر الأحمر بالمزاكر التى تبقى فى السودان و أن توصل

سواكن بيربر بخرطوم، و هذا الرأى الذى أبداه وزير الحربيه يستدعى الحلول فى مصر إلى مدة أطول من المده التى صرّح بها سابقاً.

كانوا بدأوا فى استدعاء قسم من العساكر و صمموا على استدعاء قسم آخر منها، لكنهم الآن لا يريدون إلا تقرير حكومه أهليه (كذا) قادره أن تقوم بنفسها و تأتى أعمالا مفيدة لبلادها و بعدما كانوا يستعملون الألفاظ المبهمة فى شأنهم مع مصر، صرحوا بالحاله التى يجب أن تكون عليها مصر حتى تتركها إنجلترا و شأنها و يريد وزير الحربيه بحكومه ثابتة قادره ما تكون موضع الثقة لرعاياها و الأوروبيين المستوطنين فى البلاد و محل من النقود التى تحمل إليها (ديناً و قرضاً).

قالت: جريده الثان بعد ذكرها هذه المباحثه: إن الوزاره الإنجليزيه حادت عن منهجها الأول و صرحت بقبول التبعه فى مداخلتها التى كانت تؤمل التخلص منها متى أرادت، إلا أنها الآن حملت حملاً ثقيلًا على ماليتها و سياستها الخارجيه. إنها لم تصرح بكلمه حمايه حتى اليوم ولكنها المراد من عبارتها، و تزعم أنها منساقه إليها قهراً لغرض أن تمنح مصر إداره قويمه و جهاديه منظمه و قضاء عادلا و هذه الحماية ما لم تناقش فى الحساب بين يدى أوروبا، و إنا لنأسف على فقد اللورد بيكونسفيلد، و نتمنى لو كان حيا حتى يذكر المسيو جلادستون بخطبه المشتعله غيظاً، المفعمه لومًا و تقريرا على من يميل لسياسه الحروب و الفتوحات.

قالت صحيفه الديلى نيوز و هى شبه رسميه: إن الوزاره الحاليه (الإنجليزيه) فى خطر و إنه فى يوم الخميس الماضى كان الكلام دائراً فى مجلس البرلمان على تغيير وزارى و على حل المجلس و أنه لا يمنع من ذلك رفض اللائحه التى قدمها لا پوشير فى لوم الحكومه. ثم قالت: إن البلاد (الإنجليزيه) لا بد لها أن تنهيا لإبداء أفكارها فى شأن الوزاره و تصرفها داخل البلاد و خارجها. و يقال فى الدوائر السياسيه: إن تأخر مستر جلادستون عن الحضور فى جلسات المجلس يومى السبت و الأحد لم يكن ناشئاً عن انحراف الصحه و انما كان هذا تعطلا و مراوغه ليس إلا<sup>(٢)</sup>.

### الباب العالى

إن كان البرهان يدفع غاره أو يهزم عسكرياً أو يفتح بلاداً فهذا أقوى ما يكون من البرهان على أوضح حق يوجد.

كتب مراسل الثان فى الأستانه كتاباً مفصلاً عن أفكار أعظم العثمانيين فى المسأله المصريه و ما للباب العالى من الحقوق. فما أثبتته أن العثمانيين فى ضجر من إجحاف إنجلترا و جورها عن العدل فى معامله السلطان و عدم الاكتراث بما له من الحق الثابت و تصرفها فى مصر بدون مراعاة رضاه، و أن بعض الرجال العظام بين له حيف إنجلترا و تعديها على المعاهدات الدوليه و الفرمات الشاهانيه

٢. ادعاء المرض أو التمارض الدبلوماسى أصبح معروفاً فى مصر.. فلتبحث بريطانيا عن سلاح آخر!!

و أثبتته بأدلة منها ما أجابت به إنجلترا عن بلاغ الباب العالي إلى الدول من نحو سنتين في بداية الارتباكات المصرية، حيث قالت إنها ترغب حفظ الحالة المقررة في مصر (الاستاتو كو)<sup>(3)</sup> على مقتضى فرمانات السلطانية و العهود الدولية و أنه لا يسوغ التغيير فيها بوجه ما إلا باتفاق الدول. و منها نص فرمان الصادر بتولية توفيق باشا، فإنه صريح في أن مصر بحدودها الطبيعية و ملحقاتها تعدّ من الأملاك العثمانية و أنه لا يسمح للخديو أن يتنازل عن قطعة أرض منها صغرت أو كبرت لأجنبي كائناً من كان لأي سبب و لا بأى وجه، و لا يسوغ له أن يتخلى عن شى من الامتيازات الممنوحة لمصر مهما كانت الأسباب و الحوادث و لا يجوز له عقد شرط أو عهد إلا بعد عرضه على الدولة و رضاها و يحظر عليه تجديد قرض مالى إلا فيما يتعلق بتسوية المسائل المالية التى كانت لذاك العهد.

و منها أن قنال السويس لم يفتح إلا بعد استئذان الباب العالي، فكيف ساغ لإنجلترا الآن أن تتولى فصل السودان عن مصر و أن تتداول فى فتح قنال آخر و أن تتدبر فى قرض جديد تحمله على عواتق الحكومة المصرية و أن تتناول حماية الثغور بعساكرها بدون الاتفاق مع الباب العالي و لا مشاوره الدول العظيمة؟!

و أنا فى حيرة مما أراد هذا العظيم من إقامة الحجج هل أراد إظهار ما كان خافياً على دول أوروبا و هم يعلمونه حق العلم أو بيان أن إنجلترا أخطأت فى فهم هذه فرمانات و تلك المعاهدات أو حاول إقناعها بالدليل و البرهان؟! ولكننا نعلم أن حكومة بريطانيا لا تفزع من الاحتجاج و لا ترهب الجدل فإنها تمرنت على ذلك من أزمان طويلة مع الملوك و الأمراء الشرقيين و أمكنها فى أحوال كثيرة أن تجيب عما يرد عليها من الاعتراضات و إن بلغت مقدماتها من الظهور حدّ البدهة. و لو لا هذا لما احتدت جريدة التايمس عندما بلغها نبأ مؤداه أن جرانفيل طلب من السلطان أن يرسل حاميه تركيه إلى سواكن و بالغت فى إنكار ذلك بقولها إنه مما لا يخطر بالبال، ثم تعللت بما لا يذهب على فطنه أحد حيث قالت إن إنجلترا لا تريد أن تحامى عن حقوق السلطان بعد ما صارت بضعفه نسيا منسيا.

### أيرلندا

فى كل يوم يقيم الإنجليزى برهاناً منطقياً و دليلاً جدلياً على أنه ما ذهب إلى مصر إلا بقصد إقرار الراحة و وضع قواعد العدالة، ولكنه كلما رتب مقدماته لإقناع السذج بقضاياه المشهورة عارضه الأيرلنديون ببراهين عملية تنقض ترتيبه و تبطل نتيجته، فإنه لا يمضى وقت من الأوقات إلا و لهم فيه عمل لكسر شوكة الحكومة الإنجليزية فى أيرلندا، يضعون الديناميت لتدمير الأبنية و هدم الجسور

و تعطيل السكك الحديدية و يفتكون برجال الحكومة و يتضجرون من ظلمها و يطلبون كل وسيلة للتملص من سلطتها و هم فى سيرهم لا يهنون و لا يفترون.

هيئت وليمة للمستتر پارنل رئيس حزب الأيرلنديين حضرها جم غفير منهم احتفالا بعيد سان پتريس و فيهم كثير من أعضاء البر لمان، فألقى عليهم خطابا أظهر فيه مسرته من تقدم الحركة الجنسية فى أيرلندا و أوصى الأيرلنديين أن لا يعتمدوا على حزب من الأحزاب الإنجليزية، و إنما يكون اعتمادهم على نشاطهم و اجتهادهم، ثم قال إن له فى المستقبل أملا حسنا و ختم كلامه بقوله إن اليوم الذى يجتمع فيه الأيرلنديون على اختلاف أحزابهم فى بسيطة أرضهم هو قريب و سيكونون عما قليل تحت حكم بر لمان أيرلندى و فى ذلك الوقت لا قبله ترسل أيرلندا إلى إنجلترا رسالة سليمة. و عند رفع كنوس الشراب أبى الحاضرون ذكر الملكة و إنما رفع پارنل أول كأس و نادى باسم الأمة الأيرلندية و طلب من الحاضرين ذلك.

هكذا يطلب الأنجليز ضم أراض إلى أملاكهم فتنفصل عنهم أراض أخرى و إلى الله علم العاقبة.

### الفرنسيون فى التونكين

مضت عدة أشهر و الفرنسيون ينتظرون ما تؤدى إليه حركات عساكرهم فى بلاد تونكين، و كادوا يرتابون من حسن العاقبة حتى وردت البرقية إلى وزير الحربية فى باريس من القائد العام بأن العساكر الفرنسية دخلت باكنين من طريق يوصل إلى لا نسون و أن الصينيين انهزموا إلى نواحي نكين حيث اشتدت عليهم المهاجمات الفرنسية من جهتى الشمال والشرق و خسروا خسائر جسيمة و لم يجرح من الفرنسيين سوى سبعين رجلا، و حاز العساكر الفرنسية كميات وافرة من الذخائر و بطارية من مدافع الكروب وجدوها فى قلعة باكنين، يظن كثير من رجال السياسة الفرنسية أن فرنسا قد أتمت عملها بالاستيلاء على هذا الموقع المهم.

و أكد هذا الظن ما ورد بالبرقية من بكين إلى جريدة الستاندرد أن ملكة الصين عندما بلغها استيلاء الفرنسيين على باكنين عقدت مجلسا حربيا لدراسة الموقف فى الأمور الصينية الحاضرة، فقرر الأعضاء و بينهم الأمير كونج على أنه يلزم الاتفاق مع الحكومة الفرنسية بطرق ودية. و فى حسابنا أن مثل هذه الفتوحات لا تسلى أحزان الفرنسيين و لا تعزيهم على ما خسروه فى مصر، و أن ذاك الضماد لا يقطب هذه الجراح.

### منشورات

روت جريدة التان عن جريدة سان بترسبورج أن إمبراطور روسيا أظهر رغبته فى السفر إلى برلين فى الصيف القادم مع الإمبراطورة و لم يعلم تاريخ توجهه بالتحديد إلى الآن و يظن أن سفره هذا يكون قبل سفر إمبراطور ألمانيا (أمس) حسب عادته.

و تعد هذه الزيارات من مؤكدات المواصلات بين دولتي الروس و ألمانيا و هو مما يوسع لروسيا ميدان الجولان في آسيا كما بينا سابقاً.

وردت إلى الديلى نيوز برقية من القاهرة مفادها أن قبيلة تراشى فى بربر انضمت إلى قبائل كوردفان المعتقدين بمحمد أحمد .. و هذا مما يقنع الناظرين فى الحركات السودانية بأن هذه المبالغات التى يذيعها الإنجليز فى انتصارهم لم تؤثر شيئاً فى نفوس القبائل و لم توهن اعتقادهم بذلك المدعى السودانى. و يقيم دليلاً على ما قلناه من أن هذه النيران الملتهبة لا يطفئها إلا رجل من عظماء المسلمين.

نشرت فى عدة مدن من أيرلندا إعلانات ثورية وجدها أعوان الشرطة ملصقة على جدران الشوارع و الأماكن العمومية مكتوب فيها هذه الكلمات: (حرب أهلية فى شهر مارس سنة ١٨٨٤)، و هو الشهر الحادى فتناول الشرطيون تمزيقها بغاية السرعة. و كان الأيرلنديون من قبل وضعوا الديناميت فى محطات السكك الحديدية من جملة جهات و هذه الاضطراب الداخلى الشديد ثلثة الأثافى للمسألة المصرية و دخول مرو فى حوزة الروس، و هذه الثلثة، إن لم يكن لها رابعة، فهى كافية للمتبصر فى تقدير الارتباك الذى ألم بالحكومة الإنجليزية فى هذه الأيام.

\*\*\*

إنا لله و إنا إليه راجعون و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم، ورد تلغراف من القاهرة أن جريدة الستاندرد نشرت ما يفيد أن السجون ضاقت بالمسجونين حتى اضطرت الحكومة (المصرية أو الإنجليزية) إلى إطلاق ألف و مائتى منهم من أرباب الجنايات الخفيفة، و سبب هذه البلية عدم قدرة المجالس على محاكمة جميع المتهمين، لهذا تذوب المقل بكاء و تفتت الأكباد حزناً.

\*\*\*

ورد من سواكن إلى الستاندرد:

أن المنشور الذى نشره هفت الأيرال الثانى بتعيين جعالة لمن يأتى برأس عثمان دجمة وصل إلى مشايخ عرب ثمانية فأحرقوه علامة على رفضه و عدم قبوله.

برلين فى ١٨ مارس:

أن جريدة البوست و هى جريدة لها علاقات مع السفارات فى برلين، من فكرها أن استعفاء توفيق باشا و هو قريب الوقوع يفتح للدول الأوروبية باباً لإعادة المراقبة المشتركة فى مصر؛ لأن إنجلترا لم تنجح كل النجاح فى مأموريتها لإقرار الراحة فى تلك البلاد.

\*\*\*

باريس فى ٢٧ مارس:

اشتدت خطوب المسائل المصرية و اشتبهت مناهجها و عظمت أخطارها و التبتت وجوهها على ذوى الشئون و أرباب المصالح فيها حتى على السياسيين من رجال حكومة إنجلترا. كل يتصور غاية و يطلب حظا يناله منها و قد شد رحاله للوصول إليه ولكن ضل أعلام الجادة و تاه فى مجاهيل، و ليل المشكلات مظلم و ديجورها مدلهم، و تعاكست مذاهب السالكين هذا يشرق و الآخر يغرب و كل فى وحشة يطلب المعين و يخاف العادى و كلما فرح لنبا رعى بسهمه من الجزع لا يدري أصاب خصمًا أو قتل منجداً.

إن دولة عظيمة كان لها من القوة ما اعترف به دول العالم أجمع، و لها من الحقوق فى مصر ما لا ينازعها فيه أحد، ترى رجالها اليوم يهتزون لدهشة الرعود الإنجليزية، و إن كان سحابها جهامًا، و يفزعون من هزيم تلك الأصوات فيحارون ماذا يفعلون، و ربما يأتون ما لا يريدون.

ادعت دولة واسعة المطامع أنها نائبة عنهم فى إصلاح الأقطار المصرية و إنقاذها من الاختلال، فتبوأتها بقواها العسكرية و أخذت بزمام الأحكام فيها، تعزل و تولى، و تعطى و تمنع، و تعاهد و تنقص، و تنقض من أطرافها ما أرادت، و تحل بعساكرها من بقاعها ماشاءت و أصحاب الملك الشرعى شاخصه أبصارهم، مشرئبة رقابهم، يبصرون ما لا يسر لهم خاطرًا، و لا يشرح لهم صدرًا، مع خفقان فى القلب و اضطراب فى الفؤاد، و التهاب فى الأحشاء، فزعًا من سوء العقاب، يحسون بما تقتضيه مواقع الأقطار، و النسب بين بلد و ما يجاوره من البلدان، و ما يلزم لحمايتها من وسائل الدفاع، فيحكمون بأنه إن دامت الحال على ما يرون، أصبحت الأقطار السورية و الحجازية و اليمنية، على خطر عظيم فى زمن قريب أو بعيد، و أن تاريخ مصر من عهد الفراعنة إلى الآن، ينادى عليهم نداء الناصح، بل ينفث فيهم نفثات الحق، بل يزعجهم إزعاج الحاكم القاهر بأن المحافظة على مصر، من أهم واجباتهم إن لم يكن لذاتها، فلما يتسلط عليه موقعها من الأقطار.

أما ولاء الأمر من المصريين و أولو الراى فيهم فقد غشيم من هذه الدهاء ما أذهلهم، عن علم حاضرهم، و الفكر فى مستقبلهم، طلبوا لهم عونًا قويا، و ركنوا إليه فى دفع ما ظنوه غائلة، و توهموه نازلة، فاستبد بالأمر عليهم، و سلبهم ما طلبوا المحافظة عليه و هم بين نوم تطيب لهم أوائله، بما يلين لجنوبهم من الوعود الإنجليزية، و بين أحلام مدهشة و خيالات مزعجة، تمثل لهم ما سيصب عليهم من حميم العذاب، و ما يؤخذون به من عذاب الهوان، و أن قليلا مما يشهدونه حاضر العنوان، على كثير مما يراه بعضهم بعيدًا و نراه و العاقلون منهم قريبًا.

أما الإنجليز، فليسوا فى حل مما كسبوا و لم يهنأ لهم ما طمعوا، بل دافعتهم الحوادث و طاردتهم إلى مشكلات لم تكن فى حسابهم، و هم الآن بين أمور ثلاثة لا يتيسر واحداها إلا بما ينفى الآخر و هم يريدونها مجتمعة و لن يقدروا عليه إلا بقدر يأتيهم بما يخرق العادة و يفوق الإمكان، إنهاء مسألة محمد أحمد، و الوفاء بعهودهم لأوروبا، و ما يضمرونه لأنفسهم فى مصر، ثم هم يتشبثون لكل منها

بوسيلة تضارب ما يتمسكون به فى الأخرى تارة يظهر عزمهم على مبارحة مصر جنوباً إلى الوفاء بالعهد، لكن يتبعون ما يقولون فى ذلك بأن أجل الجلاء غير محدود و تارة تنادى بأن ذمة إنجلترا توجب عليها أن تدخل مصر تحت حمايتها و تتولى إدارتها بصفة سيد حاكم لا مستشار ناصح، و يشير بل يصرح وزير حربيتهم بأن الضرورة تلجئهم إلى مثل هذا العمل و يعبر عنه أحياناً باسم الحماية و أخرى بما لا اسم له سواها، و طوراً يلقبون محمد أحمد أمير كوردفان و يطلبون من الخديو كما روته جريده (ميموريال ديبلوماسيك) أن يكتب لهم صكاً بأنه يفوض الأمر لهم فى شأن المدعى، يتفقون معه كما يريدون و أنه يسمح لهم بإحلال عساكرهم فى سواحل البحر الأحمر و أنه لا يتولى ولاية الخرطوم بعد چوردون إلا شيخ يضمن لهم حسن الاتفاق مع محمد أحمد، فلا الوفاء يروق لهم لمناقضته للغرض و لا الحماية تسهل عليهم لأن دول أوروبا بالمرصاد. و بين هذا يأخذ محمد أحمد ما يهيئه له الإمكان من القوة و يثبت دعوته إلى سائر الأقطار و يجيش الجيوش و يزحف إلى الخرطوم، و هو اليوم يحاصرها و على شرف افتتاحها و مع حرص الحكومة الإنجليزية على كتم الأخبار و تلطيف الإشاعات من جهة الخرطوم و مصر السلفى (إلى الإسكندرية) و أن الحكومة الإنجليزية فى مخابراتها مع الجنرال چوردون إنما تعتمد على الصدفة فى وجود من يقطع البرارى إلى عاصمة نوبيا و كورسكو حتى يوصل الخبر إليه و أنه لا علم للحكومة بشىء من أحوال النيل إلا على من خامس عشر الشهر، و لا تدرى ماذا حلّ بچوردون، و أثبتت جريده التايمس أن الجنرال فى خطر عظيم، و زاد الهول عليهم أن عثمان دجمة لم يتزعزع عزمه بما أصابه فى الهزيمتين بل لم يزل خصماً قويا للحكومة الإنجليزية، و يدل على ذلك أن الجنرال چراهام يتأهب لمنزلته كما ذكرته جريده التان و فى أهم الجرائد الفرنسية أن وقوع الخرطوم فى قبضة محمد أحمد يكون له رجء هائلة و أثر عظيم فى تغيير الأحوال الحاضرة فى البلاد الشرقية.

نعم إذا حل محمد أحمد فى الخرطوم سهل عليه جمع كلمة القبائل النازلة ما بين الخرطوم و أسوان و تتصل أطراف جيشه ببلاد مصر العليا و لا يعدمون من العرب فى جهات الصعيد بل و فى الدلتا من يلتحق بهم و تكون الطامة الكبرى، يغلب على ظننا أن هذه النار ليست مما يطفئه رذاذ السياسة الإنجليزية، و لا مما تخمده حركات عساكرها البطيئة، خصوصاً و قد وقع الخلاف بين حكومة بريطانيا و بين قواد جيشها فى سواحل البحر الأحمر، فمن رأى الحكومة أن تداوم الحرب و تسرع فى إنهاؤها و من رأى الأدميرال هفت توقيف الحرب إلى شهر أكتوبر (بعد ستة أشهر) لئلا تهلك العساكر من الحر، و أن فى ستة أشهر لسعة لما لا يهيجس الآن فى خاطر أحد. فلو و كل الأمر فى تسكين الثورة و حسم الفتن إلى القوة الإنجليزية وبروقها الخلب لم نكد نفكر فيما يكون منها حتى تلتهب النيران فى أنحاء أخرى و يصعب على أرباب الشأن فيما بعد ذلك تداركها و ليس

لكشف هذه الخطوب إلا عزائم المسلمين، يلقي إليهم زمام العمل فيها خالصاً من المداخلات الأجنبية التي توغر الصدور و تثير الأحقاد.

و أحست الجرائد الفرنسية بما فى نية إنجلترا أن تفعله من التصرف فى الأراضى المصرية و منها جريدة (الريبليك فرانسيز) و جريدة (الديبا) و غيرهما، فطلبت من الحكومة الفرنسية أن تحل بعساكرها فى جزيرة ديسى المتسلطة على سواحل البحر الأحمر مما يلى مصوع محتجة على ذلك بقولها إن صح ما ادعاه وزير حربىة إنجلترا من كون شطوط البحر الأحمر تعد من طريق الهند فلنا أن نقول إنها أيضاً طريق تونكين و كوشنشين و مدغشقر، بل إن الحلول فى تلك الجزيرة من أهم الضروريات لمراقبة منع التجارة فى العبيد كما تقضى به المعاهدة بيننا و بين إنجلترا.

هذا بعض ما أنتجته سياسة جلاستون فى مصر و ربما يسكن روع أمته و يخفف انزعاجها من هذه المباراة الجديدة بينها و بين فرنسا على سواحل البحر الأحمر بتذكار ما أعقبته المباراة بين الأمتين فى الهند من أزمان ماضية، ولكن شتان بين الزمانين فتلك أوقات كانت سياسة إنجلترا خافية على أهالى الهند و كانوا ينخدعون لها، أما اليوم فلم يبق فيها خفاء على أحد من سكان الممالك الشرقية، و لعل الغيب يوفينا عن قريب بما يكون لفرنسا مع إنجلترا فى هذه المسائل. و إلى الله المصير.

### الشيخ الميرغنى

وردت برقية من سواكن فى ٢١ مارس مفادها أن الشيخ الميرغنى و معه شيخ آخر يقال إنه من مكة المكرمة ذهبوا فى ذلك اليوم إلى المعسكر الإنجليزي ليحضر خضوع كثير من مشايخ القبائل الذين جنحوا إلى السلم مع الإنجليز. و فى حين آخر أن هذا الميرغنى صاحب فرقة إنجليزية تسير إلى بيرهندوك ليكون على يديه طاعة بعض القبائل فى تلك النواحي، و يقال إن إحداها لم تزل مترددة فى قبول الطاعة و عدمه.

هذا مما يعجب منه أن شيخاً يظهر بين المسلمين بمظهر العلم و الإرشاد ثم يقود جيشاً إنجليزيا لإذلال أبناء ملته، و إخوان دينه و جنسه، و هو يعلم أن شرفه شرفهم، و سيادته بسيادتهم، و لولاهم ما نال الإكرام و الإجلال، و ما أغدقت عليه النعمة، و توفرت لديه دواعى الترف و النعيم، و تمتع بكامل لذاته و شهواته، كيف يسوغ له أن يقدم جيوش الإنجليز، قبل الوقوف على مقاصدهم، و ماذا يريدون من تذليل جيش العرب و إخضاعهم، هل يصح له أن يأتى مثل هذا و هو يعلم ما يحذره الشرع و ما يبيحه اغتراراً ببعض الأوهام التى لا أساس لها.

و كتب إلينا من مصر و الحجاز أن جماعة من العلماء فى القطرين حكموا بمروقه و قالوا إن هذا من أعظم الزلات التى لم يرتكب نظيرها فى الإسلام، على أنه ليس من العلماء و لا من العارفين



بطرق الإرشاد، و إنما نال الاعتقاد عند بعض السودانيين وراثته عن أبيه، و أنه لم يتميز عن العامة الأميمين فى شىء، و إن كان هذا لا يدفع العجب من فعله<sup>(٤)</sup>.

### الخرطوم

فى الجرائد الفرنسية نقلا عن الإنجليزية أن أشياح محمد أحمد كانوا فى مساء الثالث عشر من شهر مارس ثلاثة آلاف على القرب من الخرطوم، و فى صباح الرابع عشر و صلوا إلى ستة آلاف، و هو يدل عن أن الجنرال چوردون عنده شىء من قوة الدفاع حيث لم تقدم تلك القوة على مهاجمة المدينة، لكن ماذا يجبى من طوعه أن يفعل مع هذه الآلاف المؤلفه التى تتضاعف يوما بعد يوم و هم يحدقون بمحل إقامته من جميع الجوانب، و مما يدل على أنه فى أصعب المضايق بل على شفير الخطر اتفاق الجرائد الإنجليزية على دعوة حكومتها لإنقاذه بغاية السرعة.

و فى أخبار الخامس عشر من الشهر أن فرقا من الثائرين متحصنون على شواطئ النيل بمقربة من حلفا، على مسافة بضعة أميال من شمال الخرطوم، و أنهم أطلقوا النيران على مركب كانت تسير فى النيل حاملة ثلاثمائة رجل استقدمهم الجنرال چوردون و قتلوا منهم نحو مائة إلا أنه تيسر للجنرال استخلاص باقيهم، و استبشرت التاييس بهذا الظفر الذى تسنى للجنرال بتخليص بقية القادمين إليه و إن أظهرت غاية الكدر من كونه فى خطر عظيم، و نائرة السودان تحيط بجميع أطرافه و تستحث حكومتها على إنقاذه ما استطاعت (والله يعلم كم بين ذاك الاستبشار و هذا الإنذار و هما فى فصل واحد).

و فى برقية إلى الديلى نيوز أن طرق الخرطوم منقطعة، و أن القبائل المدعنة لمحمد أحمد محدقة بجميع جهاتها، و أن ثلاثة من تلك القبائل وافر العدد و على مقدمتها جم غفير من المشايخ و الدراويش يزحفون قصد الاستيلاء عليها، و يظن عموم الناس أن لا سبيل لمدافعتهم عنها أو تخليصها منهم إلا بإنجاد عساكر إنجليزية، و قال مراسل التاييس فى ٢١ من الشهر: إن من الواجب على الحكومة الإنجليزية إغاثة الجنرال چوردون، فإنها قد ألقته فى فم الأسد و سيكون فريسة المنية إن لم ترسل العساكر إليه بغاية السرعة.

و جاءت الأخبار مؤكدة أن حصن كسلا تحت محاصرة الثائرين، و أن القبائل فى جنوب بربر جميعها فى هيجان و ثورة شديدة.

---

٤. هذا النص كما ورد فى الأصل و يبدو أن ما كتبه السيد جمال الدين الأفغانى، و هو فى عنفه، يمثل صورة من صور الرأى العام حينذاك. و مما لا شك فيه أنه قد بنى حكمه هذا مما تجمع لديه من معلومات، و لا يخفى أنه كان موجودا فى باريس عام ١٨٨٤ م. فإذا قدرنا الظروف التى كانت تحيط بالموقف، و بعد الشقة، و استحالة الوصول إلى مصادر ثقة يعول عليها لما يجعل الأخذ بهذا الرأى فى موضع الحذر و الحيطه. و لا ننسى أن الخلافات الطائفية كانت على أشدها فى شرق السودان فى ذلك الوقت ...

و هذا كله يؤيد ما قلناه مراراً من أن هذا المدعى يخشى من قوة بأسه و سريان دعوته إلى جهات بعيدة، فإنه إذا استقر قدمه في الخرطوم لم نلبث أن نسمع بظهور دعواه في أسوان.

### تحكم اللورد دوفرين

نهجت دولة الإنجليز في معاملتها للدولة العثمانية منهجاً جديداً بعد حرب الروس، تأخذها بالتهديد و التهويل في كل ما تروم قضاءه من أغراضها في الممالك العثمانية، و لا تراعى فيما تفعل قانوناً دولياً، و لا عهداً سياسياً، و تتحكم بجبروتها في تحديد المواعيد و تعيين الأوقات، و أعظم ما يكون من مرهباتها الوعيد بتغيير قلبها عن وداد تلك الدولة أو اشمئزاز نفسها منها و لا تفرق في نهجها هذا بين صغار المسائل و كبارها.

و من ذلك ما روته جميع الجرائد من اشتداد اللورد دوفرين سفير إنجلترا في الأستانة على سعيد باشا الصدر الأعظم و إغلاظه له في القول عند التكلم في شأن شركة عثمانية تحت رعاية دولة لو بهرام أغا، منحها الباب العالي امتيازاً بتسيير سفن النقل على شطوط البحر الأبيض، و كان هذا العمل في يد شركة إنجليزية (لم تأخذ به امتيازاً). فامتعض اللورد دوفرين و طلب من الباب العالي استرداد منحته فلم يجب طلبه فذهب يوم الخميس الماضي إلى الصدر الأعظم و خشن له المقال و نسب إلى الباب العالي تعمد المراوغة، و لما تنصل له الصدر بأن هذا ليس من خصائصه بل يتعلق بوزير الخارجية، قال إنه لا يخبر فيه وزارة الخارجية (و إن كان خصائصها) و أنه يلقي التبعة على الصدر الأعظم إذا تأخر الجواب بقبول حجته و أن لا بد من تعويض لمن أصابته خسارة بسبب هذا الامتياز من الإنجليز، مع تحرير اعتذار رسمي و عزل والي إزمير فإذا بلغ أمرنا إلى الخضوع بكل تهديد و الانقياد بأي إرهاب، و صارت مسائلنا الداخلية تحت اختيار من يستطيع أن يلقي التبعة، و يبالغ في الخشونة، فإننا لله و إنا إليه راجعون، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

### مقاصد إنجليزية في مصر

في كل يوم تلح جريدة التايمس على حكومة إنجلترا بوجوب طرد العساكر المصرية الوطنية، زاعمة أنه يحل من الأهالي محل القبول، و يسرون عنه غاية السرور، و تشير على الحكومة أيضاً أن تجهر بحمايتها لمصر و تظهر للدول أنها تتحمل كل تبعه تحصل من مداخلتها في تلك البلاد، و أن ذلك من مقتضى الحزم فإن الإرادة المصرية و فروعها في حاجة إلى إصلاح حقيقي و لن يقوم به إلا رجال الإنجليز.

و هذا من تلك الجريدة و غيرها سوق للحكومة إلى إظهار ما تكنه من السلطة على البلاد المصرية، و ضمها إلى ممالكها الشرقية، و ما كان ذلك خافياً على أحد و إن كان بعض المصريين غالطوا فيه أنفسهم عن علم أو جهل، والله أعلم.

ما تطلبه الجرائد من طرد العساكر الوطنية إنما هو مقدمة التملك و رسوخ القدم، ثم هى تمويه فى تحسين ذلك بدعواها أن أهالى مصر يفرحون منه مع أن أول ثورة عسكرية سر بها المصريون على عهد وزارة و لسون إنما كان منشؤها العزم على تقليل عدد العساكر و إقفال المدرسة العسكرية، فالمصريون و هم المسلمون لا تعقل مسرتهم من طرد حاميتهم الوطنية بل ينزعجون منه غاية الانزعاج.

### حجة نوبار باشا

فى برقية من القاهرة بتاريخ ٢٢ مارس أن نوبار باشا أقام الحجة على المستر كليفورد لويد (وكيل الداخلية المصرية) و رفع حجته إلى الماچور بارنج.

\* \* \*

هذا الذى بقى لأولى الأمر من الشرقيين الحجج و البراهين و يقنعون بأن برهانهم سالم المقدمات صحيح النتيجة عند العقل، إلا أن بعضهم يقيم حجته على بعض الدول عند بعض آخر منها و بعضهم يقيمها عند أوليائه من الأجانب و هو منهم و فيهم، ان هذا لشيء عجاب.

### عثمان دجمة<sup>(٥)</sup>

فى البرقيات الأخيرة أن فرقة إنجليزية ستفارق هندوك و تتوجه إلى نواحي ثمانية (محل المعركة الماضية) لتعسكر فى تلك الجهات، أظنون أن إقامتهم بها يكفى لخضوع القبائل. غير أن عثمان وعد قومه بأنه سيأتيه أمر إلهى بعد ستة أيام ليبيد بقوته عساكر الإنجليز، و أشيع أن محمد أحمد سيبعث إليه بمدد.

### معاملة محمد أحمد للرسل المسيحيين

جاء إلى الخرطوم ضابط مصرى كان فى عبيد، و أخبر أن رسل الكاثوليك فى تلك المدينة تحت كنف محمد أحمد على حرية تامة تجرى عليهم الأرزاق من طرفه للواحد منهم فى كل شهر خمس تليرات (ريالات) و نصف، و أن كنيستهم مفتحة الأبواب و إن كانت المدارس معطلة للضرورة. هذا العمل منه يرشد إلى أن له دهاء و ذكاء و خبرة بما يجب الأخذ به فى معاملة أرباب المذاهب و الأديان المخالفة لدينه و مذهبه، و هذا يزيدنا خوفًا من استفحال أمره و انتشار دعوته.

### أخبار أخيرة

\* كتب مراسل الديلى نيوز المرافق للجيش الإنجليزى فى سواحل البحر الأحمر أن الجيوش الإنجليزية تقاسى مصاعب و مشاق شديدة فى قطع الطريق إلى حيث تلتقى مع جيوش عثمان دجمة

٥. و صحة هذا الاسم كما ينطق به أهله عثمان دقنه - دجنه - و هو من قبيلة الدجناب غرب السودان.

للتحتم معها فى القتال مره ثالثه، فإن الحر شديد و المسالك و عره و المياہ مضره بالصحه، مع قلتها و لم يجوزوا إلى أول مرحله إلا و قد أجهدهم التعب، و استولى عليهم الوهن، فأعجزوا أربعمائتہ منهم عن المسير.

قالت جريده الثان: إن هذا الهجوم لم تتبين غايته، و لما سئل عنه مستشار خارجيه إنجلترا فى البر لمان لبس فى الجواب و راوغ فى بيان الحقيقه، كأنه يريد التملص مما عساه أن يرد عليه من بعد و إخفاء المقصد، حتى إذا لم ينجوا فيه ستروا ما يلحقهم من حجل الإخفاق فى السعى. و موهوا على ما يمسه من الشين، و يغلب على الظن أن القصد منه فتح الطريق بين بربر و سواكن لتتمكن حكومه الإنجليز من مخابره الجنرال چوردون من جهه سواكن (حيث تعثرت عليها من طريق الخرطوم بعد محاصرتها بجيوش محمد أحمد من أطرافها المتصله بالنيل).

و يقول مراسل الديلى نيوز إن الشده لو دامت بالعساكر الإنجليزيه على حالتها الحاضره، فلا بد أن تصير غنيمه بارده لعثمان دجمه و فريسه ناجزه لأشباعه.

و فى جريده التايمس أن القلق فى لندن شديد، و الاضطراب بالغ فيها حده، و عموم الناس يتطلعون إلى أخبار المصريه دقيقه بعد دقيقه، و أتبع ذلك تلك الجريده بقولها: لم يتسير لحكومه إنجلترا فتح طريق بربر بهذا الزحف الجديد، ضعف الأمل من فتح هذا الطريق فى وقت آخر، و عز على إنجلترا إجراء فرضته على نفسها فى الأقطار المصريه، و قل الرجاء فى تسويه المسأله السودانيه بطريقه محموده.

عزمت حكومه روسيا بعد حلولها فى مرو على أن تجعل وراء بحر الخزر من البلاد الداخلة تحت سلطتها حكومه خاصه بها، لها مركز معين وقاعده ترد إليها أحكام تلك النواحي، حتى تسهل المواصله بينها و بين مرو، و هذه حركه جديده لدوله روسيا فى أطراف آسيا، و هى و إن كانت لا تسر المحبين لإنجلترا ولكنها لا تحزن أعداءها.

### نصيحه

أشد ما كانت هيبة الإنجليز و ملكتها على الشرقيين قبل تكتيب الكتائب و عقد الألويه و سوق العساكر لمقاتله عثمان دجمه على أميال من سواحل البحر الأحمر، و كان يخيل للسودانيين بل يلبس اعتقادهم أن القوه الإنجليزيه مما فوق الطبيعه و عن مثلها تصدر خوارق العادات، و كان من ظنون الشرقيين فى أقطار آخر أن غرائب القدره البريطانيه بلغت مقالع السحر، تدهش الأبواب و تحير العقول، و إذا خلج فى صدور أمه من الأمم صغيره أو كبيره لبعدها عن مركزها أن تغالبها على حق، أو تناوئها فى مرغوب، انشقت الأرض و انفطرت السماء، عن كماء من الإنجليز يصبون عليها أصوات العذاب، و يذيقونها أليم الوبال، و يخلبون الأرواح من الأجساد، فيغلبون و لا يغلبون،

خصوصاً إن كان مغالوبهم لا يحملون من السلاح إلا نوعاً من الصنع القديم، مما كان يستعمله أبناء نوح بعضهم في مدافعة بعض.

إلا أن هذه الدولة العظيمة ألجأتها حوادث السودان أن تسوق جيشاً للإيقاع ببعض العرب في نواحي سواكن، فتحركت الجيوش المنظمة للملاقاة عثمان و رجاله، و بنى القواد في الزحف قلاعاً «مربعات» من العساكر الباسلة. مدرعة بلوامع من حراب البنادق «السنج» مسيجة بالآلات الجديدة، من صنع (رمتون و هنرى مارتين)، على أجود طراز يكون منه، و حصنها بأبراج من المدافع لا تدانيها من سكان تلك القفار قوة، و لا تسمو إليها منهم قدرة، لكن قوة اليقين أو تحكم الجهل دفع على الصفوف الإنجليزية جماعة من عراء العرب و حفاتهم، فهدموا قلاعها و نقضوا بنيانها، و قوضوا أبراجها، و بعد تدافع و تضام و تقدم و تأخر، في موقعتين عظيمتين، كرّ الإنجليز إلى سواكن «ساحل البحر» و أخلوا ساحات القتال، و تقهقر العرب إلى الجبال و عج الإنجليز: غلبنا و انتقمنا.

ماذا أثرت هذه الغلبة العجيبة في نفوس السودانيين، ثبتت أقدامهم و قوت جأشهم، و جمعت كلمتهم، و ذهبت بما كان يخامر قلوبهم من الهيبة و الرعب، فجمعوا قواهم و استعدوا للقتال مرة ثالثة، فحرموا لسوء البخت أو حسن الحظ من ملاقاتهم خصومهم، لأن شدة الحر كانت من أعدائهم أو نصرائهم، حيث ألجأت العساكر الإنجليزية للجاء عن تلك الديار، فأسرعت إلى البحر لا يستقر لها قدم إلا في مصر أو إنجلترا و ما أثارته هذه الغلبة في قلوب السودانيين من ثائرة التهور دعاهم لتضييق الحصر على الخرطوم، لما علموا أن ليس في قدرتهم أن يفتنوا أثر الإنجليز في البحر، و لا يستطيعون الإيغال في طلبهم و هم على غوارب الموج، و لما اشتد الضيق بمن في الخرطوم نهض الجنرال چوردون بشجاعته الأبطال لرفع الحصار فلم تكن إلا كربة تددت فيها جيوشه و أعقبته فرّة إلى داخل المدينة لينتظر ما يأتي به القضاء.

ولكن ليستر وجه الهزيمة رمى ضابطين عظيمين من ضباط المصريين بالخيانة، و أمر أن يضربا بالرصاص فضربا و ماتا، و هما حسن باشا و سعيد باشا «في أخبار البرقيات» أما هذا الغلب في السواحل على هذه الصورة البديعة، و ما حل بچوردون فقد أسقط من شأن إنجلترا و قوتها في أقطار السودان عموماً، و جعل كلمتها هي السفلى و بعث السودانيين على الاعتقاد بأنه إحدى كرامات محمد أحمد، لا حول و لا قوة إلا بالله.

خطب يعقب خطباً، و كرب يحدث كرباً، هذه الصدمات المتتالية كشفت بعض الستار، و شف بها الحجاب و أحدثت هزة في قلوب الهنديين، فكشر النوابون و الرجوات عن أنيابهم، و مدوا سواعدهم ينظرون إلى ما تطول و يراجع كل واحد نفسه و يمنيها بقرب الخلاص من ضيق الاستعباد، و يلمح الفرص من خلال هذه الحوادث، انتشرت أخبار المصائب التي حلت بالجيوش الإنجليزية من مصيبة هكس إلى ما بعدها في جميع أرجاء الهند، و ترى الناس زرافات و فرادى

يتناجون في هذه المسألة و يرجعوا على أنفسهم باللائمة فيما فرطوا من قبل و هم على ربوة الأمل، يستطلعون سوانح الفرص خصوصاً المسلمين فيهم، كما أنبأتنا به الرسائل الواردة إلينا من أقطار مختلفه من البلاد الهندية، و نظن أن الدولة الإنجليزية و عماد قوتها الإيهام و التغيرير يصعب عليها بعد الآن أن تعيد منزلتها الأولى في نفوس الشرقيين، خصوصاً إذا أفضت حوادث الخرطوم إلى قتل چوردون أو أسره و افتتاح تلك المدينة و هي عاصمه السودان.

يزيد الطين بله أن يشتد العثمانيون و يأخذوا بالحزم و قوة العزم في صيانة حقوقهم بأى وسيلة كانت، و ربما نراه واقعاً فإن العقلاء منهم لا يغفلون عن حاجة الإنجليز لمسالمتهم لأن الإنجليز يحكمون على خمسين مليوناً من المسلمين جميعهم يعترفون بحقوق السلطان و يجيبون داعيه إذا دعا، و هم له أطوع من الترك أنفسهم، و الحذاق من العثمانيين و إن كانوا يرون أن إنجلترا لا تعامل الدولة إلا بالتهديد و الإرهاب، و جعلت هذا طريقاً لنيل أغراضها منها، إلا أنهم يعلمون أن من المحال على إنجلترا أن تشهر على الدولة حرباً فإن سياسى بريطانيا و هم أشد الناس خبرة بدقائق الأمور فضلا عن جلائلها، لا يخفى عليهم ما تكنه قلوب الهنديين من محبة صاحب السلطة الإسلامية، بل هم على يقين بأنهم لو جهروا بالحرب للعثمانيين لتقوّضت سلطتهم في الهند لأول وهلة، لا على المسلمين خاصة ولكن يتبعهم الوثنيون و هذا ظاهر عند كل إنجليزى و إن خفى على بعض العثمانيين ورام ستره عن باقيهم.

الاعتقاد بمحمد أحمد أخذ سيلا في قلوب الهنديين حتى كتب إلينا أحد أصدقائنا في لا هور أن محمد أحمد لو كان دجالاً لأوجبت علينا الضرورة أن نعتقه مهدياً و أن لا نفرط في شىء مما يؤيده.

بعد هذا كيف يمكن للإنجليز دفع غائلة محمد أحمد، حر السودان منع و سيمنع من جولان العساكر فيه، و طلب العساكر من كور كووسيك بعد شيوع هذا الدعوة في الهند مما لا تجوزه الحكمة، و لا تظن أن إنجلترا تثير حرباً صليبية بحكومة الحبش على مسلمى السودان، لأنه يفسد عليها أمر الهند و يخالف أحكام المدينة الحاضرة.

فما هي آخر الحيل؟ أيكفى بحفظ القنال مع ترك الفتنة يسرى لهيبتها إلى مصر العليا بل السلفى؟ إنى أخشى كما يخشى العقلاء من شيوع هذه الدعوى، و كثرة المعتقدين بها أن يلم منها ضرر بدولة إنجلترا و بكل من له حق في مصر، فعلى الإنجليز كما نصحنا مراراً أن يصونوا بلادهم، و يحفظوا طريق الهند بتفويض الأمر للعثمانيين، و أولى العزم من المصريين قبل فوات الوقت، و إلى الله ترجع الأمور.

#### الدولة العثمانية

قالت جريدة (الميموريال دبلوماسيك) إنه لم يؤخذ عن الباب العالي خبر إلى الآن عن المنشور الذى عزم على إرساله للمصريين، إلا أنه محرر تام و فيه أن الدول ستدعى إلى المداولة التى قطعها إطلاق المدافع على الإسكندرية «المؤتمر» ولن يعدل الباب العالي عن نشره إلا إذا قبلت إنجلترا أن تكون مخابرتها معه فى تسوية المسائل السودانية المصرية بطريقة جديده «لا هزلية». و لم نردد يقيناً بما ذكرته هذه الجريدة فى أن الدولة العثمانية لا تتساهل فى حقوقها على مصر و أنها تبذل ما فى وسعها للمدافعة عنها، و كانت لنا ثقة تامه بعزائم العثمانيين و أنهم لا بد أن يقدموا لصون بلادهم المصرية من استبداد غيرهم فيها.

و لهذا تجزم بأنه لا يروق للدولة العثمانية ما ذكرته جريدة «الدلى تلغراف» من أن المستر جلاستون سيهجر عن قريب بحماية حكومته للأقطار المصرية، و أنه سيخبر الدول فى تحديد أمد الحماية و لا يكون أقل من خمس سنوات، و فى أمله أن الدول لا تمنعه فيما يريد الاتفاق معها عليه فى هذا الشأن، بل تعتبره حقاً قانونياً أوجه بذل الأموال الإنجليزية و إراقة الدماء البريطانية.

و فصلت هذا الخبر بعض الجرائد الفرنسية و بوبته و أشارت إلى ما أجابت به بعض الدول. فليس مما يخطر ببالنا أن الدولة العثمانية توافق على ما تطلب إنجلترا لو فرضنا أن الدول سمحت للإنجليز بحمايتهم لمصر مدة محدودة أو غير محدودة، فإن الحوادث لا تؤمن و تقلبات الأيام لا ثقة بها، فيمكن فى خمس سنوات بل فى أقل منها أن تتبدل القواعد السياسية، بل ينقلب وجه السياسة انقلاباً لا يعرف، و السياسيون لهم فى كل حادث علة لمحو المعاهدات و تأويل الوثائق.

### إنجلترا فى سواحل البحر الأحمر

وقع ما أنبات به الجرائد الإنجليزية من بضعة أيام، فإن الجيوش البريطانية زحفت لملاقاة عثمان دجمة بعد أن قاست أليم العذاب من وهج الحر و لهيب الشمس، و أصيب منها عدد وافر بالوهن و الضعف، حتى عجزوا عن مداومة السير، و صابر بقية العسكر فى زحفه و انتظموا على أشكال مربعات تشاكل ما انتظموا عليه فى الموقعة الماضية، إلا أنهم لا يتلاقوا مع خصمهم، و أفاد التقرير الإنجليزي أن السبب فى عدم الالتحام أنه وصلت العساكر إلى قرية ثمانية و لم تجد عنها مدافعاً فأحرقتها، و رجعت إلى سواكن و لا يخفى أن جميع أخبارهم قبل هذا الزحف كانت متفقة على أن عثمان يبعد عن ثمانية بتسعة أميال، و أن مسيرهم هذا كان لملاقاته حيث يعتصم فلم يكن هناك داع لحرق قرية ثمانية ولا الإخبار بأنه لم يوجد مدافع عنها إلا ما تعود عليه الإنجليز فى حروبهم إذا لم يصادفوا ظفراً يحرقون و يخربون و إن لم يكن من يصيبونه بأعمالهم محارباً لهم حتى يقولوا ظفرنا و أحرقنا و أتلغنا، و ورد إلى الجرائد الفرنسية أن تقهقر عثمان إنما كان ليحشرهم بين شعاب الجبال ثم يغير عليهم و يفتك بهم كما فعل رئيسه (محمد أحمد) بعساكر الجنرال هكس. و يظهر أنهم لما أحسوا بهذه المكيدة و وجدوا من أنفسهم ضعفاً عن مقاومة العرب فى جبالهم كروا

راجعين إلى سواكن و محتجين بشدة الحر سترًا للعجز و تقديمًا لبارد العذر، و الجرائد الإنجليزية فى قلق و اضطراب شديد، و لهج أغلبها يحثّ حكومتها على استدعاء العساكر من سواحل البحر الأحمر، متعللة بأنها و إن كانت من حامية الهند و لها جلد على احتمال الحرارة، إلا أن أثر الحر السودانى ظهر فيها بسرعة شديدة و يخشى عليها من التلف الكلى، و أخرى أن يخاف على سواها ممن لم يفارقوا إنجلترا إلا لحرب السودان. و يغلب على الظن أنهم شعروا بقوة محمد أحمد و ثبات عثمان و التهاب الحمية فى قلوب المسلمين بتلك الأطراف، فاستفزههم ذلك إلى إخلاء وجوههم و خوفًا من أن يحل بجيوش السودان الشرقى ما حل بعسكر الجنرال هكس و تستروا بالشكوى من شدة الحر و احتدام نار القيظ، مع أن وهج الحرارة فى جنوب الهند، حيث كانت تحل هذه العساكر كما ذكرته جرائدهم أشد منه فى سواحل البحر الأحمر.

و ما قاله الجنرال جراهام و الأدميرال هفت أن الحركات العسكرية قد انتهت على شطوط البحر الأحمر، يثبت اعتراف هذين القائدين بعجزهما عن فتح الطريق ما بين البحر الأحمر و بربر، و مساعدة چوردون من هذا الطريق. و بناء على ما أبدىناه من البأس صدرت الأوامر إلى الجنرال جراهام بإخلاء المواقع الحربية و إجلاء العساكر عنها الخروج من سواكن بما يمكنه من السرعة و أعقب الأمر اجتماع العساكر بأسرها فى تلك المدينة و يقال إن فرقة منها تسافر فى التاسع و العشرين من مارس إلى مصر و إنجلترا. و هذا الأمر لا ريب يعده أشياح محمد أحمد و المدعون لدعوته فتحًا إلهيا و تأييدًا ربانيا، فيقوى اعتقاد المخلصين له و يقطع شكوك المترددين فى قبول دعواه، و لربما يذهب الوهم بالسذج منهم إلى أن الله أيدهم بالملائكة المسمومين، فكشفوا عنهم عدوهم و بعد هذا تجتمع كلمة القبائل و تثبت أقدامهم فى مواقف القتال و يزداد حرصهم على تعميم دعوى محمد أحمد، و مغالبة من لم يذعن لها و يكون هذا الظفر الغريب أقوى برهان لهم على صدق دعواهم.

هذا ما أدت إليه سياسة الدولة الإنجليزية التى وطئت بأقدامها أرض مصر لإخماد الفتن لم تجلب مداخلها إلا تعالى اللهب و قوة الضرام، و بعد ما أسقط فى يديها و خابت فى سياستها تجافت عن تسليم الأمر لأربابه القادرين على تلافيه من المسلمين، حتى يحصل الأمن للأجانب و الوطنيين، و تحقن الدماء و تحفظ الأموال، و عمدت إلى الاستنجد بحكومة الحبش لحرب السودان، و لم يأخذها خجل فى ذلك و هى تدعى أنها حاملة لواء التمدن و القائمة بنصرة الإنسانية و تتلوا آيات الإنجيل أثناء الليل و أطراف النهار، ثم تستدعى حكومة خشنه غير مهذبة كحكومة الحبش لمقاتلة قوم آخرين و إن كانوا ليس بأقل منهم خشونة لتشتبك حرب بربرية تحرق فيها المدن و القرى، و تسفك الدماء الغزيرة و يفتك فيها بالأولاد و النساء و الشيوخ و من لا جريمة لهم حتى يفنى بعضهم بعضًا، و لم تبال فى التماس هذه المساعدة أن تصرح للحكومة الحبشية أن الغرض منها كبح



المسلمين فى السودان و إضعاف قوتهم لتثير بذلك حربًا دينية تذكر العالم بالحروب الصليبية. فقد جاءت الأخبار إلى الجرائد الفرنسية: إن دولة إنجلترا تلتمس من يوحنا ملك الحبشة أن يمدّها بجيوش للدفاع عن سواحل البحر الأحمر لعجزها عن حمايتها بنفسها و إطفاء ثورة المسلمين و إخضاعهم و بعثت إليه قائد أسطولها ليتفق معه على شروط هذه المساعدة و ما يغنمه بعد القيام بها، و فى جريدة (الميموريال دبلوماسيك) أن من جملة ما تطلبه إنجلترا من الحبش فضلًا عن الإنجاد الحربى أن يتخلى لها عن جزيرتين فى البحر الأحمر لتحل فيها بعضًا من عساكرها و له من العوض ما يكافئ الأمرين جميعاً.

يريد محبنا الصادق أن يقدم للحبش جزاءً من أراضيها مكافأة على ما يريد منه، و لم يغفل عن مراعاة المراهبة التجارية حسب عادته ترغّب إلى الحبش أن يتنازل له عن أملاك فى البحر الأحمر، فليعتبر المعترفون.

### عودة إلى الخرطوم

نوهنا مرارًا للمسلمين عمومًا، و المصريين خصوصًا، من الانقلاب عن حرب إخوانهم و إراقة دماء أبناء ملتهم بمجرد أوامر تصدر إليهم من مخالفتهم فى الجنس و الاعتقاد و إراقة دماء أبناء ملتهم بمجرد أوامر تصدر إليهم من مخالفتهم فى الجنس و الاعتقاد لا يعلمون لها عاقبة، و لا يدرون من يجتنى ثمرتها، بل يوقنون أنهم إنما يقتلون إخوانهم ليورثوا أرضهم لقوم آخرين، ربما كانوا أعداءهم أو يكونون أعداءهم، و لهذا لهم يأخذنا عجب من خذلانهم لهكس فى السودان الغربى و لا لباكر فى السودان الشرقى و لا مما بلغنا فى هذه الأيام من خذلان چوردون فى الخرطوم، و لم يتخلج فى صدرنا و لا فى خطرات أنفسنا أن انهزمهم فى هذه المواقع منشؤه الجبن و الخور أو الاختلال و النقص فى الآداب العسكرية، ولكن نعلم أنهم يفضلون الموت بيد إخوانهم على الظفر بهم لتكون أموالهم و ديارهم غنيمَةً لصاحب أمرهم من الأجانب. أما الجرائد الإنجليزية و قواد الإنجليز فهم يبالغون فى جبن العساكر المصرية و اختلالها ليتطرقوا بذلك إلى ما فى عزم حكومتهم من طرد الجيش المصرى الوطنى و إقامة جيش إنجليزى مقامه، حتى يتمكنوا بجيشهم أن ينالوا ما تطمح إليه أنظارهم فى المستقبل.

و من هنا لا يستغرب عارف بحقيقة الأمر ما ذكره مراسل التايمس فى الخرطوم من أن چوردون باشا عندما اشتد عليه الحصر من أشياح محمد أحمد خرج بألفى جندى من الجنود المصرية و بعض العساكر غير المنظمة (الباشبوزق) ليفرق المحاصرين و يبعدهم عن أبواب المدينة فلم تثبت الجنود لأول الملاقاة و انحاز منهم خمسة ضباط إلى قبائل العرب و عمد اثنان من أمرائهم (بشاوات) إلى قتل من كان على المدافع منهم ليطلقها على إخوانهم التابعين لمحمد أحمد، و يقال إن چوردون قبض على الأميرين و وضعها تحت المحاكمة العسكرية، و آخر الأمر اضطر چوردون إلى الدخول

وراء الحصون بعد أن تبدد جيشه و قتل منه مائتان على ما رووا، و لم يقتل من الثائرين إلا أربعة و غنم العرب من ذخائر جيش چوردون مقداراً وافرأ، مع أن المهاجمين منهم كانوا فئه قليلة لا سلاح لهم إلا الرماح والحرا، و جيش چوردون كان ألفى رجل شاكى السلاح من الطرز الأورويى الجديد.

هذا يكون من المصريين لأنهم تحت قيادة أجنبى يأمرهم بأوامر دولة أجنبية، و لو كانوا فى إمرة أمير مسلم مصرى و لهم ثقة بعاقبة ظفرهم أن تكون لبلادهم و ملتهم، لرأينا منهم ما رأى العالم و شهد به الكون لهم من الشجاعة و الإقدام أيام محمد على و إبراهيم باشا. و بالجملة فقد أرجع چوردون بعد تغلب الثائرين حاميته إلى مأمنه فى الخرطوم يوم السادس عشر من شهر مارس (الماضى) و يقول مراسل التايمس إنه يمكنه التمتع فى الحصون بعض أيام إلا أنه لم يجرؤ على الخروج مرة ثانية.

\* \* \*

الجرائد الإنجليزية تحكى ما هال أهل بريطانيا من مصيبة چوردون و تنذر بخطر عظيم يحل به. و فى جريدة «الديلى تلغراف» أن هلاك چوردون أو وقوعه فى أسر محمد أحمد يذهب بالأعمال الحربية التى قامت بها تلك العساكر الإنجليزية فى السودان، و يجعلها هباء كأن لم تكن، و يزيل أثر تلك المواقع الدموية فتكون نسيًا منسيا، و قالت جريدة «الستاندرد»: ليس من الممكن لنا أن نتأخر دقيقة واحدة إلا إذا أردنا أن نلقى بچوردون إلى هاوية الهلاك و بالسودان إلى الفوضى (نعم لا بد أن يخافوا على السودان من الفوضى كما خافوا على مصر منها). و فى التايمس لا بد لإنجلترا أن تظهر عزميتها فى الأحوال الحاضرة و تأخذ فى عملها بالشدة حتى يعلم ذلك منها عند الكافة من الإنجليز، و من آمالها أن الأمة الإنجليزية تؤيد الحكومة فيما تعزم عليه و أنه لا سبيل لإنقاذ چوردون إلا بتصميم الحكومة الإنجليزية على ما تريد، (و لم تفصح التايمس عن تلك العزيمة ما هى و لا ما تصمم عليه الحكومة ما هو لعل كل ذلك هو هذا. لا بد أن نفعل و لا بد أن نترك و لا بد أن نكون و لا بد أن لا نكون).

قالت جريدة التان الفرنسية إن هذا الخطب الجديد أحدث من القلق فى إنجلترا ما لا مزيد عليه، و عموم الناس فيها يعتقدون أنه إن لم ترسل الحكومة جنودًا لإنقاذ چوردون فهو هالك لا محالة، و جميعهم يعلمون مقدار التبعة التى تحملها الوزارة (الإنجليزية) إذا مات أو أسر چوردون فإنها هى التى ألفت به فى هذه التهلكة، و الجرائد عمومًا على اختلاف مشاربها متفقة على القول بأن موت چوردون باشا يكون وصمة فى شرف إنجلترا لا تمحوها الأيام.

إن وزير الحربية الإنجليزية يحاور سائليه من الحزب المضاد فى مجلس النواب و يراوغهم فى الجواب و يتعلل بأن الحكومة لم تعد المجلس وعدًا صريحًا بأن تبين مقاصدها فى السياسة

المصرية، و يزعم أنه لا يمكن أن يفيد بتفاصيل عن أحوال الخرطوم لانقطاع الأخبار، لكنه يعترف بهزيمة الجنرال چوردون و بما هو فيه من الشدة و الضيق، إلا أن اللورد نور ثورك لم يزل مصرّاً على طلبه من الحكومة بيان سياستها في المسائل المصرية و السودانية بالتفصيل، و قال للورد جرانفيل في مجلس اللوردات إنه لا يرى من السهل في هذه الأوقات أن تفتح الطريق بين سواكن و بربر، و خطأ القائلين بسهولة و أفاد المجلس بالفشل الذي حل بالجنرال چوردون.

### أمانى إنجلترا في حركات محمد أحمد

صرح اللورد جرانفيل في مجلس اللوردات بأن المقاومة الشديدة التي لا قوها من قبائل العرب و رئيسهم عثمان في سواحل البحر الأحمر لم يكن القصد منها إلا الرغبة في تمكين سلطه محمد أحمد في البلاد السودانية، يريد من هذا أنه لم يحملهم على الثبات و الترامى على الموت عدوانهم للإنجليز و لا طمعهم في توسيع الفتح، و إنما كان الحامل هو الدفاع عن شوكة محمد أحمد في السودان خاصة.

و هذا من اللورد إما غفلة أو تغفل عن لواحق دعوى المهدوية، بل لوازمها التي لا تنفك عنها، فإن القائم بهذه الدعوى لا يقف في سيره عند غاية، و لا يقنع بملك و إنما يريد بسط دعوته في أقطار العالم و إحياء الأوامر الإلهية التي جاء بها صاحب شريعته الذي يدعى النيابة عنه في تبليغها و صيانتها في نفوس الناس كافة، و سواء كان صادقاً في دعواه او كاذباً، فلن يتم له أمر و لن تتمكن له سلطة في بقعة من بقاع الارض السودان كانت أو مصر أو غيرها من البلدان إلا بتقدمه إلى ما ورائها حتى يعلى كلمه دينه، و يرد إلى الحق من انحرف عنه، و يكون له التصرف التام في قلوب المسلمين، و يأخذ منها مكاناً علياً يشرف منه على مطامح دعواه في غيرهم من الأمم، و سواء يسر الله له النجاح في ذلك أو باء بضده، هذا لا كلام لنا فيه الآن، ولكننا نتكلم في الخصائص الطبيعية لهذه الدعوى العظيمة، و بعد الوقوف على ما بينا يسقط من النظر قول اللورد جرانفيل في مجلس اللوردات أن حكومته لم يرد لها خبر يحملها على الظن باستعداد محمد أحمد لقبول إمارة كرودفان و الاكتفاء بها، و لا يعلم هل قبول محمد أحمد لتلك الولاية يكون حجاباً بينه و بين التقدم إلى سواه. فقد علمت أن محمد أحمد لم يقم بدعوى الملك، و لا طلب حقا له في الإمارة كان يرثه عن آبائه، و إنما قام بدعوى لا نهاية لأطرافها إلا عند حدود السطوة الإسلامية، فليس يكافئ قوة دعوة إسلامية إلا عزم إسلامي، و لن يكافح هذا المدعى و يرده إلى قدره إلا رجال مسلمون، يدافعون عن الدعوى بما يقوى على إضعافها أو محوها، فإن لم يرد لحكومة اللورد خبر إلى الآن عما ذكره فليطمئن قلبه لعدم وروده في المستقبل، و لا نظن خبراً يأتيه إلا بنقيص ما توهمه، نسأل الله حسن العاقبة.

بعد تحرير هذه الأحرف جاءت الأخبار مصدقة لما قلنا ففى برقية من مكاتب التايمس فى الخرطوم أن ثلاثة دراويش جاءوا مرسلين من قبل محمد أحمد إلى الجنرال چوردون و أرجعوا إليه علامات الشرف التى كان بعث بها إلى مرسلهم، و بلغوه أن محمد أحمد يرفض لقب أمير كوردفان و ينصح الجنرال أن يدخل فى دين الإسلام فهو خير له.

### الحزم و العزم

إن أبناء الأمم الغربية إذا عمدوا إلى قصد لا يفترون فى طلبه، و علو الهمم فىهم تجعل لديهم كل صعب سهلاً، و كل بعيد قريباً، يقتحمون المخاطر لاكتساب الشرف و يتجشمون المصاعب للوصول إليه و بلغوا من محبة المجد حدا لا يرونه غذاء لأرواحهم فقط، بل عدوه مادة النماء لأبدانهم فهم يفرقون خوفاً إذا عرض و هم لفواته، خشية من هلاكهم و ذهاب حياتهم، لهذا ترى الرجل منهم يجوب فيافى إفريقيا، و يتسنىم جبال سيبيريا، و يخالط قبائل و شعوباً لا يعرف لهم لغة، و لا يألّف لهم عادة و لا أخلاقاً، و يتكبد مشاق الحروالبرد والجوع والعطش، و ينازل الموت مع من يخالطه من تلك القبائل البعيدة عنه فى جميع أوصافهم، و هو فى كل وقت يقع بين أنياب المنية منهم، ثم يخلص بما يقتدر عليه من الوسائل، كل هذا ما يحتمله طلباً لشرف يكسبه لذاته، أو ابتغاء مجد يحصله لأمته.

و من هؤلاء الرجال بل من أحزمهم و أجلمهم صديقنا الهمام البطل الشهير المستر أوكلى أحد نواب البر لمان الأيرلنديين، جاء إلينا من أشهر على عزيمة السفر إلى عبيد، و سألنا أن نقدم له ما يسهل له الوصول مع الأمن على حياته، فأجبناه بتحرير رقائم إلى من لهم اليد الطولى فى مساعدته، و وردت منه المكاتيب تبشرنا بنوال مبتغاه، و فى هذه الأيام جاءتنا برقيات بوصوله و منهم رجال من عظماء الفرنسيين الأحرار ذهبوا إلى مثل مقصده و توسلوا بمثل وسائله و هم اليوم يتوسطون الطريق. و نرجو لهم سلامة الوصول.

و رجاؤنا أن يكون فى هؤلاء أسوة للشرقيين، لا تقعدهم الأوهام الباطلة، و لا تنيمهم الأحكام الكاذبة، و لقد كان لهم فى أسلافهم أسوة حسنة، ولكن من الأسف نحتاج فى تذكيرهم بما لهم من سابق المجد إلى ذكر أحوال الحاضرين من غيرهم. والله الأمر من قبل و من بعد.

### أسطورة

ذكروا فى أساطير الأولين أن هيكلًا عظيمًا كان خارج مدينة إصطخر و ربما أوى إليه بعض سراه الليل إذا اشتدت بهم وحشة الظلام و ما أوى إليه أحد إلا غالته المنية فيأتى طلاب أثره لفحص خبره فيدخلون الهيكل فى ضوء النهار فيجدون به ميتاً ثم لا يهتدون لسبب موته لسلامة بدنه من كل ما يعهد سبباً للموت، واشتهر أمر الهيكل بين السابله و القطان و أخذ كل قاصد حذره من المييت به حتى ضاقت الدنيا برجل، فاختر الموت على الحياة و صعب عليه انتحار نفسه بيده فذهب إلى

الهيكل لعله يصادف منيته فإذا بالقرب منه رجال نصحوه و حذروه عاقبة الهلاك فلم يصغ إليهم و قال إنما أتيت لتلك العاقبة، و انفلت من نصحائه إلى حيث يظن مهلكه، فلما توسط الهيكل فاجأته أصوات مزعجة هائلة كأن جمعًا عظيمًا يخاطبه: ها نحن قد أتينا لإتلافك، ها نحن قد أتينا لإزهاق روحك، ها نحن وصلنا لتمزيق بدنك و سحق عظامك. فصاح البائس ألا فأقدموا فقد سئمت الحياة، و لم يتم كلامه إلا و قد حدثت فرقة شديدة وانحل الطلسم وانشق الجدار و تناثرت منه الدراهم و الدنانير و تفتحت أبواب الكنوز، فاطمأن الخائف و نام حتى أصبح و لما أضحى النهار، و جاء الواقفون على خبره ليحملوا جنازته و جدوه فرحًا مستبشراً يسألهم بعض الأوعية لحمل ما وجده من الذهب و الفضة، فاستخبروه قصته .. فبعد البيان علموا أن هلاك من هلك إنما كان بالفزع من تلك المزعجات التي لا حقيقة لها.

بريطانيا العظمى هيكل عظيم يأوى إليه المغرورون إذا أوحشت مظلمات السياسة فتدركهم المنية بمزعجات الأوهام، و كم هلك بين جدرانها من لا مريرة لهم، و لا ثبات لجأشهم، و أخشى أن يسوق اليأس إليه قوى المريرة، ضاقت الحياة، فما يكون إلا هنيهة يصعد فيها صوت اليأس، فينقض الجدار، و ينحل الطلسم الأعظم.

### القوة للحق

أخذت دولة بريطانيا فى معاملة الشرقيين لهذه الأيام طريقًا غير طريقها المعروف، و هى تعلم أن نجاحها فى أعمالها لديهم، و بسطة ملكها فيهم و اقتطاف ثمرات جنانهم، إنما كان بذاك الطريق المعهود، كأنى أراها اليوم اكتنعت حقائقهم، و سبرت خلائقهم، و وصلت إلى مكونات صدورهم، تجاوزت من ظواهرهم إلى ضمائرهم، و أدلت بخراطيمها إلى قلوبهم، فأحست سكوتًا، فحسبته ييسًا، من شدة الجبن و سرت بدقتها فى أوعية دمائهم، فشعرت منها بفتور ظنته و قوفًا من شدة الضعف فكان من حسابها أنهم فى نهاية العجز عن أعمالهم، و القيام بشؤونهم، أو أنست منهم الركون إلى المراتب التى نقلت عن معانيها الأصلية، و جردت عن مدلولاتها: كناظر، و وزير، و وال، و أمير. و هى أشبه بقباب عالية، إلا أنها خاوية خالية، فكان من زعمها أن أمراء الشرق شغلهم بهرجة هذه الصور الظاهرية حتى أنستهم منافعهم الحقيقية. و ضرورات حياتهم الجنسية أو المليية، و قنعوا بما يشيده الوهم و يزينه الخيال. هكذا ظنت كما تدل عليه أعمالها، و لم يكن ذلك معهودًا منها.

دخلت دولة الإنجليز بلاد الهنديين و مدت عينها إلى ما متعهم الله به من أراضيهم، و طمحت إلى اختطافها من أيدي المسلمين، إلا أنها ذهبت مذهب اللين و اللطف، و خفض جناح الذل، و الظهور فى ألبسة الخضوع و الخشية، و صابرت على هذا السير أزمانًا تقطع مسافات كثيرة فى مدة طويلة.

نعم كانت تتدرج فى نقص أساس السلطنة التيمورية حجراً حجراً، و تمتلك أراضيها قطعاً بعد قطعة، لكن بدون تعرض للسلطنة الظاهرية و لا مس لنفوذها.

كانت تغرى الولاة من النوابيين و الرجوات بالخروج على السلطان التيمورى، ثم تنوب عنه بالعساكر الإنجليزية و الصينية للتغلب على الخارجين تحت اسم الملك، و لا تمس رسومه الملوكية بل تلقب نفسها خادمة مأمورة. هكذا كان سيرها، و هو المؤلف من عوائدها.

أما فى مصر فقد أظهرت مقاصدها لأول خطوة، باكورة أعمالها بعد دخول تلك البلاد غلّ أيدى الحكومة، و معارضتها فى جميع أعمالها و صدها عن تعاطى شئونها، و ربما كان يخيل للنظر فى حركات تلك الدولة أيام كانت تهيىء، أسباب الفتنة السابقة و مساعيها لتقوية ثورة السودان، أنها تسلك سبيلها فى الهند، ولكن يرى منعها السلطان العثمانى عن المداخلة فى إصلاح بلاده المصرية و السودانية. مع ما له فيها من الحقوق الشرعية و القانونية منعاً صريحاً، و فى معارضه ولاة مصر و حكماها فى كليات الأمور و جزئياتها أنها انحرفت عن مشربها و أخذت مذهباً غير مذهبها.

كليفور لويد مستشار الداخلى فى مصر و هو بحكم وظيفته من الطبقة الوسطى فى مأمورى الحكومة يتحكم على جميع الوزراء المصريين، و يعارضهم فى تصرفهم و يضع للبلاد شرائع و قوانين من تلقاء نفسه، و يخالف توفيق باشا فى أوامره (إلا أنه لا يحسب عاصياً حتى ألجأوا نوبار باشا رئيس النظار<sup>(6)</sup> إلى تقديم استعفائه بعد العجز عن مقاومته)، و ضاق صدر توفيق باشا من صلابته فى آرائه، و لم تر الحكومة الإنجليزية عزله و إبداله بغيره، و زعمت أنها لو عزلته لأهانت تاج بريطانيا العظمى، ثم عالجت هذه الارتباك بتوجيه أوامرها إلى كليفور لويد بأن يقف عند حدود وظيفته و لا يتجاوز دائرة أعماله، التى تسمح له بها طبيعة الوظيفة و خصائصها المحدودة، و كان للظنون مجال لحسن الظن بدولة بريطانيا، غير أن جريدة التايمس كشفت القناع، و لم تبال بما يخدم خواطر الأمراء الشرقيين ازدراءً و امتهاناً، و مزقت الستار الذى أقامته حكومتها حجاباً لمقصدتها فى إلزام كليفورلويد بما ألزمته فقالت: إن وزارة نوبار باشا مؤلفة من دميّ (صور و تماثيل) نظمت فى أسلاك أطرافها بيد الحكومة الإنجليزية تحركها كيفما شاءت. فعلى كليفور لويد أن يدير الشؤون المصرية بواسطة هذه الألاعيب. تريد أن الحل و العقد فى جميع الأحوال إنما هو للوزارة الإنجليزية لكن من وراء الحجاب .. ثم اعترضت هذه الجريدة على إقامة هذه الحجاب فقالت: إنه و أن كان مفيداً إلا أنه يضرّ بمصالح إنجلترا و مصر معاً (و كان على الحكومة الإنجليزية أن تجهر بولاية الأحكام فى مصر كما صرحت بذلك مراراً).

أسرعت دولة إنجلترا في سيرها إلى ما تروم في الأقطار المصرية، بل تهورت على خلاف عاداتها وقد يكون مع المستعجل الزلل. لا نظن من الحكمة ما أتته من الأعمال في مصر وربما وجب عليها تدارك ما فرط منها. إن محمد احمد شمش أمره و عظم خطره و هو من ورائها لا عائق له في سيره. و القوى تجتمع إليه يوماً بعد يوم. و بعد ما تراه في غير هذا المحل من أخباره جاءت أواخر الأخبار بأن المواصلات انقطعت بين القاهرة و بين بربر بالمره، و أن جماهير الثائرين يزيد عددهم حول مدينة بربر وقتاً بعد وقت لقصد محاصرتها. و يغلب على ظن الكافة أنهم لا بد أن يغيروا على المدينة بعد قليل و يلتحمون مع حاميتها بموقعة يكون فيها الفصل، و أن مدير بربر أعياه الإلحاح على الحكومة لتنجده بعساكر إنجليزية ليفرجوا عن المدينة و ينقذوا حاميتها و إلا هلكوا.

فما ركبه إنجلترا من طريق التصرف في الإدارات المصرية يخلف ظن المصريين فيها و يقطع أملمهم من وفاء و عودها، و يوجد عليها نفوس الأمراء منهم و يوغر صدورهم، و يحقق لدى العلماء أن من قصدها التصرف في ولاية بلادهم كما يتصرف الملاك فيلتجئون بحكم الضرورة إلى تلبية محمد أحمد في دعوته أو مساعدته على بعض أعماله، أو تخاذلهم بين يديه و فتح الأبواب له و لا نظن أن إنجلترا تخفى عليها أن علماء مصر هم أساتذة لعلماء المسلمين شرقاً و غرباً، و أن الجامع الأزهر معهد العلوم الشرعية تسيير إليه الركاب من جميع الأقطار، و يقصده المسلمون من كل ناحية لدراسة الدين وروايته. فلو حذبهم الأمر و أعوزهم الصبر و رأو ولاية الدين في قبضة من ليس منهم فبمجرد إشارة خفيفة و إيماء إلى موافقة محمد أحمد سرا كان أو جهراً كاف لإيقاد نار الفتنة في جميع أرجاء البلاد الإسلامية، و تسابق القلوب إلى الاعتقاد بالمدعى و التفانى تحت رايته، و ليس في استطاعة دولة إنجلترا أن تتصرف في أهواء القلوب و لا حركات الأفكار، و إن أسلحتها الجديدة لا تبدد جحافل الخواطر، و شتان بين هذه الفتنة و بين التي يسمونها فتنة عرابية. نسأل الله العافية و حسن العاقبة.

### الجرائد الإنجليزية و العروة الوثقى

لو نادينا الغافلين أن انتبهوا، و النائمين أن استيقظوا، و اللاهين بحظوظهم أو أمانيتهم أو أوهامهم أن التفتوا، و لو أنذرنا أهل مصر بأن الإنجليز لو ثبتت أقدامهم في ديارهم لحاسبوا الناس على هواجس أنفسهم، و خطرات قلوبهم، بل على استعداد عقولهم، و لما عساه يخطر ببالهم. لقال الناس إننا نبالغ في الإنذار، و نغرق في التحذير. و لو بينا لهم أن الإنجليز يؤاخذون الأبناء بذنوب الآباء، و الأحفاد بجرائم الأجداد، و يطالبون الذراري بدفائن أسلافهم، و إن لم يكن للخلف علم بما ترك السلف، لعدوا هذا البيان منا شطاً في المقال، و ميلا عن الاعتدال، و لو روينا لهم أن في قلوب الإنجليز حقداً و ضغينة على كل إيراني سواء كان من الأفراد أو الوجوه. و يسيئون معاملتهم حيثما وجدوا من بلاد الهند، و يمقتونهم مقتاً شديداً، لأن نادرشاه من ملوك العجم جاء إلى الهند فاتحاً

على عهد السلطنة التيمورية، و استولى على خزائن الأموال فى دلهى، و أخذها إلى بلاده قبل استيلاء الإنجليز على تلك المملكة بما ينيف عن قرن، و يعضون الأنامل من الغيظ، و يحرقون الأرم من الاسف على ما أخذه نادر من اموال دلهى وحرمانهم من تلك الأموال، و يحملوا هذا الوزر على عاتق كل إيرانى، لحسبوا ذلك منّا تعالياً ولو قصصنا عليهم مايعامل به الانجليز رعايهم فى الهند عموماً و المسلمين خصوصاً، وانه يكفى لنفى عالم من علماء المسلمين الى جزائر أندومان أن يعترف بأنه معتقد ببعض آيات من القرآن، لأنكروا علينا ما نقول لبعدهم عن تلك الأقطار، و عدم وقوفهم على أحوالها، و لسنا الآن بصدد إقناع المصريين بما نعلم من أحوال الإنجليز و لا نريد إقامة الدليل على ما نعرفه من أحكام سلطتهم، فلا نذكر و لا نبين و لا نحكى و لا نقص، ولكن نعرض عليهم نموذجاً من المعاملة لعله يكون للمتبصرين مرآة تحكى ما غيب عنهم من لوازم السلطة الإنجليزية.

عزمتنا على إنشاء جريدتنا هذه فعلم بعض محررى الجرائد الفرنسية، فكتبوا عنها قبل صدورها غير مبينين لمشربها، و لا كاشفين عن حقيقة سيرها، فلما وقف على الخبر محرر و الجرائد الإنجليزية المهمة أخذتهم الحدة، و احتدمت فيهم نار الحمية، و أذروا حكومتهم بما تؤثر هذه الجريدة فى سياسة الإنجليز، و نفوذها فى البلاد الشرقية، و لجوا فى إغرائها بها، و ألحوا عليها أن تعد كل وسيلة لمنع الجريدة عن الدخول فى البلاد الهندية و البلاد المصرية، بل تطرفوا فنصحوها أن تلزم الدولة العثمانية بالحجر عليها، كل هذا كان منهم قبل صدور أول عدد من جريدتنا و قبل أن يقف و لا واحد منهم على مذهبها السياسى، مع أن هذه الجريدة لم تنشأ لإثارة الخواطر و لا لإيقاد الفتن، و إنما أنشئت للمدافعة عن حقوق الشرقيين عموماً، و المسلمين خصوصاً، و تنبيه أفكار بعض الغافلين منهم لما فيه خير لهم. و لقد صدرت سالكة جادة الاعتدال، ذاهبة مذهب الاستقامة و العدل. كما يظهر لكل من اطلع عليها، فليعتبر المعتبرون بهذا الإجحاف و الاعتداء و القصاص قبل الجنائية، و من كان سمندرى الطبع فليهنأ له العيش فى ظل ذى ثلاث شعب لا ضليل و لا يُغنى عن اللهب ولكن فلتعلم الحكومة الإنجليزية أننا لا يعجزنا بث أفكارنا فى البلاد الشرقية، سواء كان بهذه الجريدة أو بوسيلة أخرى، إذا دعا الحال، فإن أنصار الحق كثيرون.

### عجز و مراوغة

طنظنت الجرائد الإنجليزية و رجال السياسة فى بريطانيا بنجاح الجنرال چوردون فى مأموريته بعد ما وصل الخرطوم بأيام ثم انعكس الأمر عليها و أظهرت الجزع مما حل به من الخيبة فى أعماله و الإشفاق و الارتجاف مما يتوقع نزوله من الخطر و أجمعت على أن ما يصيب چوردون من قتل أو أسر يكون وصمة فى شرف إنجلترا إلى الأبد و عاراً عليها لا يمحي، و لا مداركة لهذا الخطب العظيم إلا بإرسال العساكر الإنجليزية إلى الخرطوم إلا أنه فى هذه الأيام بعد العجز عن إرسال العساكر لم يعد لوزراء إنجلترا أو رجال حكومتها عذراً للتملص من هذا العار الذى يلحق بهم فقال المسيو



جلادستون وزير الحربية الإنجليزية أن الجنرال چوردون لم يؤمر بالإقامة فى الخرطوم إلى أجل غير محدود حتى يحتاج نجدة عسكرية تخلصه مما عساه يقع فيه، بل كان فيما أمر به أن يخرج من المدينة عندما يرى لزومًا لذلك. على أن الجنرال لم يطلب إعانة عسكرية فالوزارة الإنجليزية لا تتحمل تبعه ما نزل بچوردون إلا بعد أن تقف على أفكاره و مطامح أنظاره. و لا وقوف لها إلى الآن على شىء منها، و الأوامر التى أصدرتها إليه فى الأيام الأخيرة لم يرد لها خبر عن وصولها.

و من كلام وزير الحربية أن الحكومة الإنجليزية تدبرت من أيام فى إرسال فرقة عسكرية إلى بربر و بعد إمعان النظر فى لزوم ذلك رأت عدم الإرسال أولى و أنهى كلامه بقوله إن حكومته لم تأخذ على نفسها إعادة السلطة المصرية فى السودان، و لا تقرير أى حكومة فيها و إنها تلقى اليوم على نفسها كل تبعه توجه إليها فى شئون السودان، و أما سواكن فسيقام بها حامية قليلة العدد إلى أن يبرم اتفاق (بينهم و بين مصر). و كلام هؤلاء الوزراء قد لا يخلو من غرابة، فإن منشورات چوردون التى نشرها بعد دخوله الخرطوم على قبائل العربان و رسالته إلى المهدي لم تنكرها الحكومة الإنجليزية بل دافعت عنها و دفعت الاعتراضات التى وجهت إليها، و كان فيها أنه وال على السودان (بل سلطان) من قبل دولته و الحكومة المصرية، و أنه بما له من حق الولاية يمنح محمد أحمد لقب أمير كوردفان، و يبيح بيع الرقيق، و يدعو العرب إلى الطاعة، فتلك المنشورات صريحة فى أن بعثته كانت لإقرار حكومة فى السودان، و المدافعة عن بعض الولايات فيه، و أنه فيما يعمل مؤتمر لحكومته، و إلا كان كاذبًا و الحكومة دافعت عن كذبه رجاء أن ينجح فيه، فلما أخفق لم تجد بدا من البراءة منه.

و قالت جريدة التان الفرنسية إن وزير الحربية الإنجليزية يدعى فى مجلس العموم أن الجنرال چوردون لم يطلب نجدة عسكرية إلى الخرطوم، مع أن الأخبار التى وردت إلى جريدة التايمس من مصدر يكاد يكون رسميا و نشرناها من قبل تكذب ما قاله الوزير. و تؤكد أن والى الخرطوم (الجنرال) كان منتظرًا ورود العساكر الإنجليزية إليه وقتًا بعد وقت و تحققت حاجته لذلك عند الكافة من أهالى لندن، حتى كان تدبر الحكومة فى إرسال فرقة إلى بربر، مبنيًا على هذا لتفتح طريق مصر العليا، لكن أقعدها تصور ما تكابده الجنود من المشاق و المتاعب، بل ما يحل بها من التلف، و قد عرضت جريدة (البال مال جازيت) بالطعن على حكومة إنجلترا و لوحث بلومها على ما أظهرته من العجز و المراوغة حيث قالت: فليعلم الجنرال چوردون أن الحكومة الإنجليزية بعد إضرابها عن ارسال العساكر الى بربر يستحيل عليها أن ترسل عساكر إلى الخرطوم، و قالت إن المسيو پوير قنصل الإنجليز فى الخرطوم كان ينتظر المدد العسكرى يومًا بعد يوم و فى ظنه أن حكومته تسعفه بذلك لكنه يجب عليه الآن أن يعلم أنها تركته و أصحابه و وكلتهم إلى أنفسهم فعليه أن يتدبر فى أمره بنفسه موقنًا أن الحكومة الإنجليزية تفضل إخلاء السودان و تعريض حامية المدن و من فيها من

رجالها لمدى أشياع محمد أحمد تفتك بهم على إعداد أى وسيلة لإنقاذهم، و أتبع قولها هذا بتهكم على الوزراء فقالت: من زعم أن إرسال چوردون إلى السودان لم يأت بفائدة فقد أخطأ خطأ عظيماً، فإن أعظم فائدة ترتبت عليه بقاء الوزارة الإنجليزية و صيانتها من السقوط، فإن حياتها كانت موقوفة على سفره من لندن و لولاه ما خلصت من الخطر الذى كان محدقاً بها و لما بقيت فى قيد الحياة إلى الآن. و أنعم بها من فائدة جلييلة لمصر و إنجلترا فكفى الأمتين سعادة أن تهدر شقاشق الوزارة فوق المنابر.

هكذا تتعج المستر جلاستون و زملاؤه فى الكلام على المسألة السودانية و سلكوا طريق المواربة و تبرءوا من تبعاتها بعد ما ساقوا إليها الجيوش و القواد بقصد إخماد الثورة و تقرير الراحة و هو قرار سياسى تبع الانهزام العسكرى يكشف لنا عن قوة محمد أحمد و منعه و يأس الدولة البريطانية عن ملافاة أمره و أن نيتها الاقتصار على التحصن فيما دون حدود مصر الطبيعية بل على الحلول فى مصر السفلى حتى تحفظ القنال، و تتصرف فى أراضيها الخصبة، و تقف على أبواب التجارة، ترقب حركات المارة، و تشيخ الذاهبين و الأيبين ما بين الشرق و الغرب، و تقنع بالتحكم فى بعض الضعفاء من المصريين، و إنا لا نعلم ماذا تكون العاقبة إذا أصبح السودان بأسره فى حوزة محمد أحمد و اعتصم فى قاعدة تلك الأقطار الشاسعة، و لا عاصم له إلا بالإيغال فى سيره و بثّ دعوته بين جميع القبائل العربية، بما يستطيع من الحيل أو القوة. أفلا ينتهى بعد هذا إلى سوق جيوشه الكثيفة إلى حدود مصر العليا؟! ربما، بل يغلب على الظن أنه يفعل ذلك، فإن لم يفعل فهى شعله الثورة تسرى بطبعها و تضطره إلى اقتفاء أثرها.

جاءت الأخبار من أيام قطع النائرين لخطوط التلغراف بين أسوان و كورسكو، و أين كورسكو من أسوان؟! هى على مقربة منها و المسافة بينهما كما بين قنا و أسوان. و فى أخبار أخرى أن للهيجان و التحرش للخروج أثراً ظاهراً فى أطراف مصر العليا فإذا قدر الله و صارت حدود مصر العليا معاراً للحركات الحربية و هو مما لا تعده الحوادث فهل يبقى المصريون و قبائل العربان فى الفيوم و البحرية و الشرقية و جميع أنحاء القطر المصرى على سكونهم بعد ما رأوا من ضعف الإنجليز و عجزهم ما رأوا و بعد ما يشهدون سيلا قويا ماؤه من مائهم ينصب إليهم، و بعد ما حرجت صدورهم و ضاقوا ذرعاً من تصرف الإنجليز فى حكومتهم، يغلب على الظن أن مالهم من سرعة الاعتقاد بالظافر خصوصاً إن كان قائماً بدعوة دينية و ما ضاقت به صدورهم من الاستبداد الإنجليزي و ما ذاقوه من آلام الفقر و الفاقة و الذل و الهوان من نحو سنتين و ما يتوقعونه من رزايا دينهم و دنياهم فى المستقبل إذا رسخت قدم الإنجليز فى مصر كل هذا يبعثهم على تقبل دعوة الداعى بقبول حسن و انحيازهم إليه.

إذا جاء هذا الوقت و هو ليس ببعيد فربما تجد إنجلترا فى مصر أفغاناً أخرى و تخشى من ظهور عجزها فتوارى خلف بعض من الحيل و التعللات و تستدعى من المسلمين من يكون قوى الشكيمة شديد البأس، لتقرير السلم و تمكين الراحة، و تعود إلى جزائرها راضية من السلامة بالإياب، و لعل ذلك غير بعيد عن العقل، و إلى الله المآب.

### إنجلترا و الجيش

وردت الأخبار أن الأميرال هفت وصل إلى مصوع حاملا هدايا ثمينة إلى ملك الحبشة و كنا فى العدد السابق بينا ماذا يريد الأميرال من مواصلة الملك يوحنا، و أن الدولة الإنجليزية بعد ما فشلت عساكرها فى سواحل البحر الأحمر و عجزت عن تجهيز جنود جديدة تسوقها إلى أواسط السودان، التجأت للاستنجاد بملك الحبشة و استمداد مساعدته على مسلمى السودان، و كان حسن ظننا بدولة متمدنة كدولة بريطانيا يمنعا من التصديق بعزمها على إثارة حرب خشنه، لكن من الأسف أن الإفادات التى وردت هذا الأسبوع تؤكد أن إنجلترا عازمة على النكاية بالمسلمين فى السودان، من حيث هم مسلمون لا لإطفاء ثورة، و لا لترويح مدينة، و فى الظن أن هذا هو الذى بسط يدها بالهدايا الثمينة تتحف بها ملك الحبش، و إلا فخلاثتها من حيث هى دولة تجارية لا تسمح لها بهذا السخاء، و تنهاها عن البذل إلا أن ينقد لها الربح أضعافاً مضاعفة، أى ربح لها أعظم من توددها إلى دولة خشنه ترمى بها طائفة من المسلمين بغية الفتك و النكاية حتى تخيف بذلك بعض من تخشى بأسهم من أبناء ملتهم، على أن لا نزال فى ريب من نجاح مسعاها و لو أنها نجحت فى إقناع ملك الحبشة بالتهور فى حرب مع السودانين فما عساها تسمى هذه الحرب، لا نرتاب فى أنها ليست لكسر شوكة التوحش و وضع قواعد المدنية، فإن أحد المتحاربين لا يمتاز عن الآخر فى أخلاقه و عوائده و أفكاره، بل ربما كان السودانيون بما استفادوه من الحكومة المصرية مدة سنين أقرب إلى المدنية من الحبشيين، و لا يمكن أن تكون حرباً للفتح و توسيع الملك، فإن الحبشة لا مطمع لها فى توسيع ممالكها إلى الجهات الغربية من السودان ولم يعهد لها ذلك فى التاريخ، و غاية ما كانت تبتغيه أن تكون حدودها الطبيعية محفوظة من تعدى جيرانها عليها، فلا اسم لهذه إلا الحرب الدينية تذكر الملل بما كاد يمحي أثره من المحاربات الصليبية، و توقد فى الأفضة نار التعصب الدينى، فلو فتحت دولة إنجلترا باب هذه الفتنة أفلا تحترق قلوب المصريين بهذه النار، و هل ترجو هذه الدولة من بعد ذلك أن يستقر لها قدم بينهم، و هل تأمن أن يثور سكان جزيرة العرب تحت هذا العلم الذى يظل ملايين كثيرة تعلم عددها و تحسّ بحاجتها إلى مسالمتها، نظن أن حكومة بريطانيا تسعى بتخبطها هذا إلى ما لا محيد لها عنه، و تجتهد فى تقريب البعيد و ما كان أغناها عن هذا كله.

### رأى المستر بلونت فى المسألة المصرية

(إنجليزى حرّ ينصف المصريين)

إن مستر بلونت الذى اشتهر بمحبة المسلمين و المدافعة عن المصريين، لما رأى ما وصلت إليه المسألة المصرية من الارتباك و اشتداد الخطب فيها على حكومة إنجلترا و صعوبة تدارك الخلل الذى عرض لها، تدبر فى حل للمسألة و نشره فى التايمس فأحببنا نشره فى جريدتنا مجملا و هو:

على الحكومة الإنجليزية أن تتفق مع سائر الدول على جعل البلاد المصرية مستقلة فى إدارتها (يريد بذلك أن يكون حكامها منها لا من دوله أجنبية) و يكون الكافل لهذا الاستقلال جميع الدول بدون امتياز قوانين التصفية، و اختصاصات الأجانب يجب تعديلها. كل مسألة يقع فيها اختلاف فلا يكون إنهاؤها إلا باتفاق الدول الأوروبية، تحكم فيها بما تشاء. لا ينبغى أن يكون فى الجندية ضباط من الأجانب، و قنال السويس يلزم أن يعتبر طريقاً عاما يشترك فيه جميع الأمم و يكون تحت رعاية الدول جميعاً. يجب أن تكون إدارة البلاد بيد حكومة يقيمها الأهالى بانتخابهم.

### بريطانيا تمسح ظهر توفيق باشا

قالوا إن زنجيا أسود، هائل المنظر، غليظ الشفتين مقلوب المشفرين جاحظ العينين أحمر الحدقتين، بشع الوجه، أفتس الأنف، منكر الصورة و كان يحمل ولداً فى ليله مظلمة يسير به فى زقاق من أزقة بغداد، و الولد كلما نظر إليه يفرغ و يبكى و ينتحب و يصيح و يعول و كلما اشتد به الفرغ مسح الزنجى ظهره و قال له: لا تخف يا ولدى فإنى معك و أنيسك و حافظك من كل شر، و بعد تكرير هذه الملاحظات من الزنجى للصبى قال الصبى: يا سيدى إنما خوفى و فزعى منك لا من وحشة الظلام!

هذا شأن حكومة إنجلترا مع المصريين، كلما اشتدت الخطوب و عظمت المصائب و زاد الخلل فى البلاد المصرية، مسحت حكومة بريطانيا على ظهر توفيق باشا و وزرائه بيدها الناعمة (و إنما هى نعومة الثعبان) و أقبلت على الأهالى تمنيمهم بعودها المرونة، و تقول لهم: لا تحزنوا فإنى معكم و جميع المصريين من توفيق باشا إلى وزرائه إلى عامة الأهالى يجأرون و ينادون: إنما خوفنا و جزعنا منك، و راحتنا و اطمئناننا بتفحيك عنا و تركنا و شأننا.

### أضحوة

قال مستشار خارجية إنجلترا لبعض سائليه فى مجلس البر لمان إن الجنرال چوردون عندما أجاب محمد أحمد على بلاغه الأخير لم يخاطبه بلقب سلطان كوردفان، بل عنون الجواب بلفظ شيخ، و بناء على هذا صار لقب سلطان كوردفان الذى منحه له الجنرال چوردون لاغياً، يعنى أن محمد أحمد خلع من سلطنه كوردفان عندما طمح نظره إلى الخرطوم و طلب من الجنرال أن يدخل فى دين الإسلام، لكن محمد أحمد لم يتمتع بتلك السلطنة اللفظية لأنه لم يقبلها عند عرضها عليه فلا يحزن من هذا الخلع الجديد. أليس بعجيب أن يسمع من أفواه رجال سياسة بريطانيا مثل هذه

المهملات، بعد ما قيل فيهم إنهم من أدهى رجال العالم؟! و لعل الأضحيك من أساليب السياسة عندهم.

### المسألة المصرية و الإنجليزية

إن للحكومة الإنجليزية شأنًا فى المسألة المصرية يخال للناظر فيه أنها فى تردد بين إحجام و إقدام و أن مقارعة الآراء و اختلاف الأهواء، يزداد بين سكان بريطانيا، كلما إزدادت الخطوب شدة فى مصر، نعم إن أرباب الرأى فى الأمة الإنجليزية فريقان: فريق منهم يدفع حكومته إلى الإعلان بسيادتها على الديار المصرية و استلام إدارتها، و بعبارة أخرى إلى ضمها لأملاكها و يحملها بذلك على غمط حقوق الدولة العثمانية و أهالى القطر المصرى و الاستهانة بحقوق الدول جميعًا، و هذا فريق الجمعيات و الشركات المالية، و يذهب مذهبهم بعض الوزراء و ينصر آراءهم عدة من الجرائد أشهرها جريدة التايمس. و اشتدادهم فى صخبهم و نعييرهم نبه الأفكار و أقلق الخواطر فى الأمة الفرنسية فانطلق لسان جرائدها بالوعيد و التهديد و صرحت الجرائد الوزارية منها و جرائد الأحزاب الجمهورية و هى ذات السلطة فى البلاد الفرنسية بأن حكومة فرنسا و إن كان غضت طرفها عن أعمال إنجلترا فى القطر المصرى من يوم حملتها عليه إلى الآن ولكنها لا تهمل شيئًا من مصالحها و حقوقها و جميع الدول الأوروبية تعززها، و ليس لإنجلترا فى مصر ما تمتاز به عن بقية الدول، و من الجهل أن يظن سياسى فى المسألة المصرية أنها مصرية أو إنجليزية أو فرنسية فإنما هى مسألة أوروبية، و قد اقتربت الساعة التى تجهر فيها الدول فى المدافعة عن حقوقها فى الأقطار المصرية، إن للدول حقا فى التداخل لحل هذه المشكلات بعد ما عجزت إنجلترا عن القيام بما تعهدت به من إقرار الراحة فى مصر، فإن الفوضى فى هذه الأيام أشدّ منها فى زمن الحركة المعروفة بالعسكرية و فتنة السودان تلاطمت أمواجها على حدود مصر و الهواء الأصفر (الكوليرا) أن تكون له رجعة إلى تلك البلاد السيئة الحظ، و ما هذا كله إلا من آثار الحلول الإنجليزية فى وادى النيل. أما إن أرادت دولة إنجلترا أن ترسم بسيادتها أو ترفع أعلام حمايتها على القصر المصرى فما للدول من حق التداخل يصير فرضًا لازمًا و ضربة لازب لا محيص عنها. إلا أن كل هذه التهويلات لم تعدل بذلك الفريق الإنجليزي عن مقصده و لم تتحول به عن مشربه فلا تزال جرائدهم تنعق بطلب الحماية على مصر و هم فى عمى عن العوائق و الموانع التى تصد حكومتهم عن الانصياع إليهم.

أما الفريق الآخر من الأمة الإنجليزية و منهم وزير داخلية إنجلترا و مستر جلادستون فيما يقال فيظهرون التعفف و النزاهة بل يصرحون فى خطبهم بأن حكومة بريطانيا لا تستطيع احتمال إدارة البلاد المصرية و ليس فى إمكانها ضمها إلى أملاكها و لو همت بذلك لرأت من الدول أشد الممانعة و ربما رجعت بالخبيثة؛ على أنها تكون قد سنت سنة سيئة فى نقض العهود، و إخلاف الوعود، و فتحت للدول هذا الباب، باب الشر و العدوان. هذا ما ينطقون به على منابرهم و يزعمونه نبأ عما فى

خواطريهم، ولكن هؤلاء المتعفين لهم فى كل وقت عمل لتمكين أقدامهم فى مصر، و لا يخالفون الفريق الأول إلا فى شقاشق الألسن، هؤلاء هم الذين حولوا الإدارات المصرية و دوائر حكومتها العليا إلى السيرىة، واستلما زمام العسكرية و المالية و إدارة الداخلىة و المحاكم القضاىة و تصرفوا فى أعمالهم تصرف الملاك، فاستبدوا على المتوظفين من المصريين، و غلوا أيديهم عن تعاطى أشغال وظائفهم، حتى آل بهم الأمر إلى ما صرحت به الجرائد الإنجليزىة من أنهم أشباح و رسوم تلوح بين جدران الدواوين غدوة و عشيا، هؤلاء هم الذين يحاول نوابهم و مأمورهم فى القطر المصرى أن يلزموا أهاليه بتحرير محضر يلتمسون فيه حماىة إنجلترا و سيادتها عليهم و إن لم تنجح الحيلة، هؤلاء هم الذين هموا الآن بتغيير نظام المالية المصرية و رغبوا إلى الدول فى عقد مؤتمر بلندن لتغيير قانون التصفىة و يريدون أن يجعلوا ذلك ذرىعة للاتفاق مع الدول على أن تكون الديون المصرية بأسرها تحت ضمانتهم لتقوم لهم الحجة فى الإستيلاء على مصر بعد زمن قصير أو طويل أو ليمهدوا به طريقاً لمن يخلفهم فى الوزارات الإنجليزىة ينتهى بالسير فيه إلى تلك الغاية بعينها، و ما طلبوا الماچور پارين و كيلهم السياسى فى القطر المصرى إلا ليحضر هذا المؤتمر.

هذا ما يهيه الإنجليز لأنفسهم ولكن ماذا تعده الحوادث لهم، كتبوا على أنفسهم تخفيف مصائب الحكومة المصرية فى السودان، و عقدوا لقوادهم الألوىة، و أعدوا لهم العدد، و كتبوا الكتائب؛ فسفكت دماؤهم بعد ما ضل سعيهم، ظنوا أن بعض رزاياهم فى سواحل البحر الأحمر فرصة للاستيلاء على السودان الشرقىة، فبعد الجهد و معاناة الكفاح من عراة العرب تمكنوا من الرجوع بالخبيبة، قنعوا بالاعتصام فى حصون القاهرة و ما يليها فأزعجهم دوى السيل المندفع عليهم من الجهة الجنوبية، و إغارة ثائرة السودان على شندى و افتتاحها، و اشتداد الحملة منهم على بربر و الخرطوم، وزادهم خوفاً و رهبة انتقاص كثير من القبائل على مقربة من وادى حلفا و أبى حمد و أوشتك طائشة الفتنة أن تأخذ بقلوب الأهالى فيما تحت أسوان، و أفرعهم ما أحسوه من أهالى القاهرة و مصر السفلى من تحوّل القلوب و ضيق الأنفس، حتى اضطروا لزيادة الحرس فيها، مع أن زيادة المعهود فى المصريين أنهم أهل السلم و الراحة. قصدوا بكل هذه حماىة طريق الهند خوفاً على الهند، فبعدهما ورد إلينا من أصدقائنا فى لا هور أن لدعوة محمد أحمد فى قلوب الهنديين منزلة و أنه لو لم يكن مهديا فالضرورة قاضىة عليهم باعتقاده كذلك عسى أن يكون فى هذا الاعتقاد جمع لكلمتهم على التخلص من رقّ الإنجليز، جاءت البرقيات شاهدة على صدق ما كتب إلينا، ففى الأخبار البرقىة أن رجال الشرطة فى سملا وجدوا إعلانات ملصقة على جدران المدينة مما كتب فيها إغراء المسلمين بإجابة دعوة محمد أحمد و القيام بنصرته، و سملا هى فى آخر الممالك الهندىة الإنجليزىة من جهة الشمال الشرقى على القرب من لا هور، و هذا ما كنا نخشاه و نبهنا عنه مراراً. و

ربما تكون هذه الصدمات الشديدة التي صدعت إنجلترا بعد استفحال أمر محمد أحمد كافيّة في إذعانها بأن عاقبة الثورة السودانية أشد خطراً عليها من عاقبة الحركة التي سموها عرابية.

رام الإنجليز بكل هذه الاحتياطات المقيدة أن يقرروا الراحة في مصر فإذا الأموال تنهب، و الحقوق تضيّع، و الإدارات في فساد و التجارة في كساد، و الزراعة في بوار و الظلم في اشتدد و الأمن مسلوب حتى الأرواح و الأعراض، كل هذا باعتراف جرائدهم ووزرائهم و شهادة الجرائد المصرية الوطنية و إجماع السياسيين في أوروبا على أن الشقاء الذي ألم بأهل مصر بعد تداخل الإنجليز، ناشئاً عن هذا التداخل، لم يرزوا به في زمن من الأزمان من عهد محمد علي إلى الآن. فأنعم بهذه الوسائل التي أعدها الإنجليز لتقرير الراحة في مصر و أجمل بالوسائل التي استعملوها لحماية الهند!!

هذه بدايات القلاقل و بواذر المخاطر التي نشأت من شدة احتراس الإنجليز و حرصهم على وقاية أملاكهم أو توسيعها يظهر من جمعجتهم إذا صاح بهم داعى الحرب و حيرتهم من أين يجندون الجنود هل من الهند أم من إنجلترا؟! و من موازينهم العسكرية أن ليس لهم قوة بريّة لحفظ الممالك الواسعة فكيف يستطيعون التصرف في مصر لو سادوا عليها و هي كما قال وزير داخليتهم تحسب مملكة أوروبية لا تسود فيها الأوهام و لا تدوم فيها سلطة الحيل إن لم يكن من المصريين فمن الأوروبيين و أى قوة تصون لهم الهند من فتنه إذا امتد زمن الاضطراب في مصر؟! و قد جاءنا من أخبار الهند أن عموم المسلمين في هياج و يخشى أن تثور فيهم ثائرة عندما يتقدم محمد أحمد خطوة أخرى.

هذه العواقب السيئة و ما يتوقع من مثلها أو أسوأ منها لدولة إنجلترا إنما هي حلقات في سلسلة أغلاطها من استيلائها على قبرص فإنها اختلست تلك الجزيرة لمراقبة طريق الهند فنافستها فرنسا و استولت على تونس فتخوفت على قنال السويس أن يساق إليه جيش برى من إفريقيا الغربية فسعت في الإيقاع بين الجند و الحاكم في مصر و تذرعت بذلك للغارة عليها فنزل بها في تلك ما نزل. و بعث ذلك دولة فرنسا على ما بلغنا من مصدر يوثق به إلى السعى في طريق يوصلها إلى مناكبة الإنجليز في مصر على الحدود الغربية و ربما جرت هذه المنافسات إلى فتح المسألة الشرقية و ليس بقليل ما يصيب إنجلترا من مضار هذه المسألة، فأى ثمرة جنتها إنجلترا مما غرسته في هذه السنين الأخيرة، لا هي صانت باب الهند من الخطر كما تروم و لا هي سكنت قلوب الهنديين، و إنما طرقت أبواباً كانت مغلقة و يوشك أن تفتح، و لئن فتحت فإنها تحدث زلزالاً في أركان العالم بأسره هذا شأن الإنجليز و ما يفعلون.

و يوجد أناس لهم مداخل في تقلب الأحوال المصرية و لهم مذاهب مختلفة في ترويح مقاصدهم لدى المصريين يمتنونهم بالخلاص من أيدي الإنجليز إذا آل إليهم السلطان في مصر، بل

يؤكدون لهم أنه لو ثبتت أقدامهم في الديار المصرية لأحبطوا مساعي إنجلترا في عموم البلاد الشرقية، و سعوا في تقليص ظلها من المشرق بأسره، أخذاً بثأرهم منها فهؤلاء سنأتى على أحوالهم، و نبين طرق سيرهم في أعمالهم، حتى يكون ذوو الآمال فيهم على بصيرة من أمرهم.

### هول الأمر على چوردون

أخبر مراسل التايمس في الخرطوم أن تلك المدينة أصبحت معسكراً لأعوان الثورة و مضاربتهم محيطه بها من جميع الجوانب و المقذوفات من نيران أسلحتهم تنقض على دار الحكومة بلا انقطاع و المئونة في نقصان و الخطر يشتد يوماً بعد يوم و بعد إفراغ الوسع في اختراق صفوف الثائرين بالمراكب تسير إلى بربر لفتح طريق المخابرة مع حاميتها، حبط العمل و خاب السعى فإن قوة العربان على شواطئ النيل وصول على المراكب بأسلحتها القاتلة و تفتك بمن فيها، و أتبع هذا الكلام بقوله إن الجنرال چوردون عقد العزيمة على أن ينجو بنفسه من طريق إفريقيا الوسطى حيث تحقق أن حكومته غير مهتمة بإنقاذه، و يرى أنه لا سبيل إلى الاتفاق مع القبائل التي أخذت عليه طريق بربر إلا بمساعدة زبير باشا (اليوم يضطر لمساعدة زبير باشا) و هو من أعدائه و لا نرى الزبير إلا مسلماً لو سمحت ذمته بإنقاذ حياة چوردون فلا تسمح أن يكون السودان ولاية إنجليزية، و في جريدة (الأكسترايلات) أن الحكومة الإنجليزية ورد إليها كتاب من چوردون مفاده:

ليس في طاقة أحد من البشر أن ينجينا من الخطر لأننا محاطون من جميع الأطراف بالقبائل الثائرة فلم يبق لنا سوى التضرع إلى الله بتبديد شملهم، فإن لم تسعفنا العناية الإلهية بإجابة دعوتنا فلا ريب أن تلك القبائل تنهب و تفتك بجميع سكان الخرطوم قبل وصول نجدة إنجليزية إلينا. (وليته سأل الله تعالى حل المسألة السودانية و فوض إليه الأمر فيها و أراح نفسه من السفر إلى الخرطوم) وجاءت الأخبار الأخيرة بأن مدينة سندی و هي على النيل في منتصف الطريق بين بربر و الخرطوم وقعت في أيدي رجال محمد أحمد، هذا بعد أن طلب الجنرال چوردون من حكومته أن ترسل فريقاً من الجيوش لتخليص حامية تلك المدينة و موظفي إدارتها. و رأت الحكومة من الصواب أن لا ترسل، فلما ضاق الأمر على الحامية و يؤسوا من القدرة على الدفاع ركن فريق منهم يبلغ ثلاثمائة شخص إلى الفرار و اندفعوا على صفوف محاصريهم لعلهم يجدون من بينها سبيلاً فلم يستطيعوا و نزل بهم من أمر الله ما لا محيد عنه. بعث الجنرال چوردون ببرقية إلى القاهرة يشكوا فيها عدم وصول الأخبار إليه من السير پارين (وكيل إنجلترا السياسي في مصر) قالت التيمس: ولعل البرقيات التي بعث بها پارين إليه تناولها الثائرون. و من كلام هذه الجريدة أن الحكومة الانجليزية أرسلت الجنرال إلى السودان و فوضت إليه الأمر فيما يفعله ليصيب بتدبيره غاية حسنة، و نرى أن هذه الحكومة غلت يديها بترك الجنرال و شأنه مما يلحق بها عاراً عظيماً.



اشتدت حملة القبائل على بربر و خارت عزائم حاميتها و سكانها و أخذ اليأس بقلوبهم. و وردت برقية من مدير بربر إلى الوزارة المصرية يشكو بها تلك الحالة و يقول إنه لا يمضى بضعة أيام حتى يفتحها الثائرون و يحل بها من أيديهم ما حل بمدينة شندى. و بعد هذا جاءت برقية من القاهرة مفادها أن نوبار باشا يخشى أن يمتد لسان الفتنة إلى أسوان فى وقت قريب، و أنا نشاركه فى هذا الخوف و نزيد عليه الإشفاق من التهاب النيران فى القاهرة و أطراف القطر المصرى، و لا حول و لا قوة إلا بالله.

### محاولة فى مصر

كل يوم يظهر من إنجلترا شأن جديد فى معاملة الشرقيين و الطرق التى تأخذهم بها لقضاء أوطارها من بلادهم، و تلاعبهم و تداعبهم و تجاملهم و تلاطفهم، و تعدهم و تمنهم و تخفيهم و تؤمنهم، حتى تشبه عليهم مسالك الفكر، و تلبس مسارح النظر، ثم تحملهم بعد الدهشة على قبول سلطتها و الرضا بولايتها، بل على طلب ذلك منها، و التماسه من كرمها، و هى فى كل أعمالها تهزأ بهم و تحسبهم فى عداد الصبيان القاصرين، أو من قبيل البهائم التى لاتعقل. سلكت مسلكها هذا على بعض من أوروبا و انفردت فى الأقطار الهندية النائية، و ليس لدولة من الدول إحاطة بما تجر به فى حكومتها لتلك البلاد، ثم تطرفت فى هذا المشرب فعمدت إلى استعماله فى مصر تحت أنظار أوروبا و قصدت أن تدعو المصريين للإقرار بحمايتها، و رفع التماسهم إليها لعل كرمها يسمح بمنحهم شرف سيادتها عليهم، لكن الحيلة لم تذهب على المصريين و لم تختلس عقولهم تلك الشعوب، فقد جاء فى خبر مؤكد أن مأمورى الحكومة الإنجليزية فى مصر حاولوا تكليف الأهالى بتحرير محضر يلتمسون فيه حماية دولة إنجلترا ليكون التماس الأهالى حجة لديها عند الدول تقيم بها عذراً فى إخلاف و عودها، حتى إذا حاسبوها على تصرفها فى أرض مصر وضمها إلى أملاكها تدعى إنها مضطرة فيما تصنع و الأهالى هم الذين رغبوا إليها ذلك و هى لا تأبى قبول رغبتهم رحمة بهم و رافة، هكذا تحاول أن تفعل فى مصر و هى متاخمة لأوروبا و فيها من الأوروبيين المختلفى الأجناس ما يزيد على مائة ألف، ولا تخشى لائم و لا تخاف عاقبة، وإن ظننا بالمصريين على اختلاف طبقاتهم أنهم لن يفعلوا ذلك ما دامت أرواحهم فى أبدانهم.

### رأى الجرائد الفرنسية فى الإنجليز

ارتفع الستار و انتهك الحجاب عن ضعف الحكومة الإنجليزية و وهن عزيمتها فى المسألة المصرية، و لم تبق فيه ريبة لمرتاب بين الدول الأوروبية و انطلقت عليها الألسن و سلت عليها سيوف الملام، من ذلك ما هزأت به جريدة (الريوبليك فرانسيز) و سخرت فيه بدولة إنجلترا عند كلامها على فصل نشر فى جريدة (البال مال جازيت)، قالت: إن ما تهددنا به الجرائد الإنجليزية لا تأخذنا منه رهبة و لا ترعدنا منه خيفة، بعد أن رأى الفرنسيون عجز حكومة بريطانيا عن حماية

چوردون و علموا أن عددًا من عرب السودان اخترق صفوف الجيوش الإنجليزية المنظمة و ما كان لهم سلاح إلا العصي و الخناجر، و أن فرنسا لا تزال تطلب من إنجلترا أن تعيد إليها ما فقدته من حظ السلطة في شواطئ النيل، و ما ظهر من عجز إنجلترا وضعفها القاضى بالحيرة و العجب لا يخفف سوء تأثيره إلا بمساعدة فرنسا. قعد كليفورلويد من المصريين مصاعد الأنفاس و خنقهم بخناق من الجور و صار فيهم خلفًا لعرابى (كذا) و نعم الخلف، و إلى القوة الفرنسية فك هذا الخناق الضيق الذى كاد يقطع أنفاس المصريين، أما أوروبا فتستريح خواطرها و يسكن اضطرابها بعد ما أقلقها ضعف الإنجليز الذى لا دواء له و مطامعهم التى لا حد لها ... اهـ

فهل انكشف للشرقيين ما وضح لدى الأوروبيين أو لا يزالون عنه غافلين؟

### خديعة جديدة

أقبل الإنجليز أيام الحركة السابقة على بعض المصريين و زخرفوا لهم الأمانى و زينوا لهم المواعيد، حتى استعملوها لتذليل المصاعب بين أيديهم، لدخول مصر و الاستقرار فيها بعساكرهم، و تم لهم ما أرادوا، ثم قلبوا لهم ظهر المعلن تحت أستار الحجج و التعللات، و قبضوا على زمام الحكومة المصرية يصرفونها كيف يشاءون.

و لما أرادت الدولة العثمانية بما لها من الحق القانونى على تلك البلاد أن تتولى حل المسألة التى كان يعبر عنها بالعسكرية، و أن ترسل بعض جيوشها لإقرار الراحة فى بلادها طبقًا لرغبة رعاياها، مانعها الإنجليز و كفوايدها عن العمل و سبقوها إليه بدون حق شرعى و لا أصل سياسى و لا رغبة عامة من أهالى القطر المصرى، و اليوم عند اشتداد الخطب على الجنرال چوردون الإنجليزى و عجز حكومته عن إنقاذه و توقيف حركة محمد أحمد ألجأتهم الضرورة إلى الرجوع لما نبهنا عليه مرارًا من أن هذه الفتنة لا يطفىء شعلتها رذاذ السياسة الإنجليزية، تمنوا لو تتداخل الدولة العثمانية ببعض عساكرها فى السودان لتنفذ الجنرال چوردون و تأخذ بناصية محمد أحمد و تبدد شمل أحزابه، هكذا رأى الجنرال فى هذه الأيام أن أنجع الوسائل لحل المشكلات تحسين جيش عثمانى و سوقه إلى تلك الأقطار فكتب إلى صديقه صامويل بيكر يرغب إليه أن يتقدم لأرباب الثروة فى إنجلترا و أمريكا و يحملهم على بذل مائتى ألف جنيه ليعرضواها على السلطان العثمانى حتى ينفقها على ألفين أو ثلاثة آلاف من العساكر التركية، و يسيرها إلى نواحي بربر و شندى، و يكون بهذا إنها المسألة السودانية و هدم سلطة محمد أحمد، و قال إنه مما يعود نفعه على السلطان أيضًا.

يريد الجنرال أن يخدع العثمانيين بتمثيل منافعهم، كما خدع أمثاله بعض المصريين و حاشاهم أن يخذعوا لمثل هذه التخييلات الوهمية، و من العار عليهم أن يقبلوا ما يتكففه الجنرال چوردون من صدقات أهل الثروة فى بلاده للنفقة على عساكرهم، و أشد العار أن يذهبوا بجيوشهم لتدويخ بلادهم

و إخضاعهم لسلطة الإنجليز و العساكر الإنجليزية حالة<sup>(٧)</sup> بحصون مصر، نعم لو أذعن الإنجليز بما للدولة العثمانية من الحق و تركوا لها بلادها و فوّضوا إليها إعادة الراحة فيها و إهماد فتنة السودان، فلا تخال الدولة تتأخر عن القيام بما يفوض إليها بل هو ما تتمناه و تسعى إليه، و لعل الحوادث تلجىء دولة بريطانيا إلى مثل ما لجأ إليه چوردون فتسلم الأمر لمالكة<sup>(٨)</sup>، ما ذلك على الله بعزیز.

### دسيسه أخرى

هيا الإنجليزية فتنة فكانت، و أغاروا على مصر بحجة إهمادها، و أوثقوا الدول على أن تكون إقامتهم في الديار المصرية إلى أن تستقر الراحة فيها ثم يخرجون، لكنهم بعدما حلوها لا يزالون يسعون من يوم وطئوها إلى اليوم في إيقاظ الفتن و يجهدون لإطلاق الخواطر، ليقدموا ما يكون من هذا عذراً لدى الدول في تطويل مدة إقامتهم بالقطر المصري لعلهم يجدون من تقلبات السياسة الأوروبية فرصة للحلول الأبدى. و من ذلك ما سولوا للأروام أن يحتلفوا بعيد استقلالهم على نمط لم يسبق له نظير في الأقطار المصرية من قبل، و زينوا لهم ما فعلوا بما يقدرون عليه من طرق الخفية حتى انخدع الأروام لوساوسهم مع أنهم أحق الناس برعاية الأدب و ما كان مثل ذلك من مأمورى الإنجليز في مصر إلا ليقبلوا أفكار المصريين و يحركوا الضغائن في نفوسهم و يذكرهم بما كان بينهم و بين اليونانيين أيام إبراهيم باشا فيوقفوا بذلك الفتنة بين سكان القاهرة و بعض المدن المصرية و بين من يساكنهم من الملل الاجنبية، و يعيدوا تاريخ بعض الحوادث المشثومة التي كادت تمحى دواعيها بعد ما حدث من نحو سنتين ثم يجعلوا ما يحدث من اختلال علة لدوام الاحتلال أو التسوية في الجلاء.

### الورطة الجديدة

التوى سير السياسة الإنجليزية في المسألة المصرية، و قرلت<sup>(٩)</sup> الوزارة الجلاستونية في المضى إلى نهايتها فسقطت مراراً و نهضت مراراً، و آل بها الأمر بعد هذا إلى عجز عن أداء ما تعهدت به للدول و للدولة العثمانية من إصلاح الأحوال المصرية، و فرع شديد من عقبى هذه الفتن التي تداعت لها أركان النظام المصري. فلجأت إلى الدول الأوروبية تستعين بها على تخفيف الوزر، و التمست منها عقد مؤتمر في لندن و تعللت في دعوتها إلى الاشتراك معها في الأمر بفراغ الخزينه المصرية لكثرة النفقات و النقص في الإيراد فلا يمكن بقانون التصفية الذي وضع باتفاق من الدول العظام إلا أنها شرطت على الدول أن تكون المداوله في المؤتمر منحصره في المسائل الماليه و لا

٧. مرابطة في مراكز مصر الاستراتيجية.

٨. يظهر الأفغانى نواياه هنا بجلاء .. فهو يطلب الخلاص من بريطانيا و احتلالها مصر ..

٩. قرلت بمعنى سارت كما يمشى الأعرج ... أى تدهورت سياستها ...

يجوز لهم أن يتعدوها إلى ذكر شيء آخر في الأحوال المصرية الحاضرة أو الماضية، أما الدول فقد قبلت الدخول في المؤتمر على شرط مبهم و هو أن نوابهم يبحثون فيما يبحث فيه المؤتمر، إلا دولة ألمانيا فإنها لم تجب إلى الآن جواباً رسمياً و يغلب على الظن في الدوائر السياسية أنها تتبع في جوابها دولة فرنسا و اتفقت على ذلك أغلب الجرائد الألمانية وزادت دولة فرنسا في جوابها أن طبيعة المسائل التي يجري فيها البحث ربما لا تقف بالباحثين عند حد النظر في المالية، بل تنجر بهم إلى ذكر كثير من المشكلات المصرية الحاضرة.

أما هذا فلم يكن خافياً على إنجلترا فإن النظر في المالية مع اضطراب الواقع في الديار المصرية و تززع أركان السلم فيها لا تخلو نتيجه من أحد أمرين:

إما تقدير الإيراد و المنصرف بمبالغ محدودة و تخصيص شيء معين من الإيراد لوفاء فائدة الدين مع تخفيض الفائدة مثلاً ثم يوضع قانون تمضى عليه الدول كما فعل قانون التصفية و هذا مما لا يتصوره العقل فإن عساكر الحلول الإنجليزية لم تزل في أرض مصر و مصاريفها على الخزينة المصرية، و لم يعلم أجل إقامتها و لا مبلغ عددها، و الفتن قائمة في الجهات السودانية و الحكومة المصرية مكلفه بتوقيفها عند حد لا يخل براحة البلاد و لهذا العمل مصاريف و نفقات لا يمكن تحديدها و لا تقديرها، فكيف يمكن للوصول إلى تعيين النفقات و إحصائها على وجه منضبط و الاضطراب الداخلي و الاختلال المتفشى في الإدارات و دوائر الحكومة العليا و الدنيا الذي حدث بتخلل الإنجليز فيها وقف حركة الأعمال النافعة من زراعة و تجارة و صناعة فكيف يمكن ضبط الإيراد على نمط يعرف و يؤلف فلم يكن غرض إنجلترا من الدعوة إلى المؤتمر أن يصل إلى مثل هذه الغاية التي لا أهمية لها مع بعدها.

الأمر الثاني أن ينساق البحث في المسائل المالية و النظر في الإيراد و المنصرف إلى ما يلزم لاستقرار الراحة في مصر من العساكر و تطلبه من النفقات و ما يستدعيه إطفاء فتنة السودان و ما تحتاج إليه المحاكم الجديدة و غير ذلك مما تعرضه إنجلترا و تبين للدول أن مالية مصر ليس في طاقتها أن تفي بجميع هذه النفقات الواسعة و لو كلفت بأداء بعضها فضلاً عن كلها لحق الضرر بأرباب الديون فأحسن وسيلة للتخفيف عن المالية المصرية مع حفظ الحقوق لأربابها أن تكون الديون المصرية تحت ضمانه إنجلترا و هي تؤدي فوائدها في أزمانها. تطلب من الدول بعد هذا أن تفوض إليها التصرف في الأقطار المصرية، و تأخذ التبعة على نفسها في بذل الاموال و قتل الارواح، وهذا الذي يمكن أن تفعله إنجلترا بعد عجزها و ربما مست حقوق الدولة العثمانية في مطالبةا هذه، إلا أن التلغرافات نقلت إلينا ما يتحدث به في الدوائر السياسية بالأستانة و هو أن الدولة العثمانية ستشترط لقبول انتظامها في المؤتمر شروطاً صعبة يعز على إنجلترا قبولها لينكشف الستار عن مقاصدها في مصر. و من جملة تلك الشروط أن تستبدل العساكر الإنجليزية، المحتملة في مصر

بعساكر عثمانية لأن نفقات الجيوش العثمانية أقل من نفقات الجيوش الإنجليزية و هذا هو ما يؤمل في الدولة العثمانية في هذه الأوقات و أنها فرصة لو فاتت فقل أن يأتي مثلها و للدولة العثمانية بسطتها على قلوب المسلمين شرقاً و غرباً قوة ترتعد منها فرائص الإنجليز، فأمل أوليائها اليوم أن تستعمل تلك القوة الفائقة و تجعل لها أثراً في استرداد حقوقها، و عندنا أن رجال الدولة العثمانية لا يغفلون عن هذا. أما الحكومة الفرنسية فقد عقدت عزميتها على مطالبه إنجلترا بإعادة نفوذ الفرنسيين في مصر كما كان قبل المراقبة و الجرائد الفرنسية على اتفاق في تبين خلل السياسة الإنجليزية و بيان سوء مقاصد الإنجليز و الإلحاح على حكومتهم ألا تعترف بأدنى امتياز بسبب ما فعلته في واقعه التل الكبير، و هذا ما ترتجف منه الجرائد الإنجليزية عموماً و تخشى عاقبته و نظنها أسوأ عاقبه عليهم.

هذا ما يتعلق بورطتهم الجديدة التي يظنون فيها خلاصهم، و بقي عليهم ما لا نظن و لا يظنون لهم منه نجاه. دخل الثائرون مدينة بربر كما أنبأت به أواخر الأخبار و لعبت عواصف الفتنة بأطراف مصر العليا و أكدت أخبار البرقيات أنها لم تقف عند حدها، بل حركت السواكن في مصر السلفية، و وراء ذلك من الويل ما وراءه فأين الخلاص لدولة إنجلترا؟ نعم لمعت بارقة حق في عقول بعض ذوى الرأي من رجالها فطلبوا أن تكون العساكر التي تبعث إلى مصر مؤلفة من عثمانية و إنجليزية و هو نوع تقرب لما قلناه مراراً من أن هذه الفتن لا يدفع غائلتها إلا المسلمون ولكن عليهم أن يخلصوا آراءهم من الشائبة الإنجليزية و إلا فلا نجاح، و الله يفعل ما يشاء.

### **العروة الوثقى توزع مجاناً!!**

تأتى في فصولها على أهم ما له أثر في أحوال الشرقيين عموماً و المسلمين خصوصاً، فلا تلام إذا أطنبت في مسألة شرقية عامة و لا إذا أغفلت ذكر بعض أخبار من أمريكا و جابونيا.

نهنأ في أول عدد صدر منها على أن القائم بها رجال من أهل الغيرة في الشرق هموا بأعمال تفيد أوطانهم و ملتهم مع رعاية جانب العدل و السير على وفق الحكمة، و من ظن أن توزيعها مجاناً يقتضى أن تكون منسوبة لدولة من الدول أو شخص من ذوى المطامع في إمارة أو ملك فإنما نشأ ظنه هذا من اليأس المستحكم في نفسه و القنوط من نهوض همم بعض المسلمين بعمل صغير كهذا، و لا يقنط من روح الله إلا القوم الكافرون.

هذه جريدة لا سعة فيها للتناؤذ و التقاذف، و لا يذكر فيها اسم شخص أو لقبه إلا إذا كان له قول أو عمل يفيد البحث فيه فائدة عامة.

### **رياض باشا و السياسة الإنجليزية**

نقل إلينا و ذكرت الجرائد خبر مجلس انعقد في سراى توفيق باشا بالقاهرة حضره وزراء الحكومة المصرية و دعى إليه شريف باشا و رياض و سلطان باشا و عمر باشا و لطفى باشا و خيرى

باشا و ثابت باشا. و أغلب الجرائد الفرنسية المهمة أتبعَت رواية الخبير بالثناء على رياض باشا و أتت من وصفه على أفضل ما يوصف به رجل في أمته. و مما ذكرت من صفاته أنه أقوم أمير في الديار المصرية و أشدهم حرصًا على الاستقامة و أنه أبصر أهل بلاده بعواقب الحوادث التي ألمت بمصر و ما تتول إليه.

و كان يرى من بداية تلك الحوادث أنه سيكون مصيرها إلى ما لا خير فيه للبلاد و سكتت تلك الجرائد عما يتعلق ببقية أعضاء المجلس و إننا نذكر الخبر أولاً ثم نعقبه بما تدعو خدمة الحق لذكره. بعد انعقاد المجلس قام نوبار باشا و افتتح الكلام بخطاب وجهه إلى الحاضرين فقال: ماذا ترون من التدبير إذا فرضنا أن مدينة الخرطوم و بربر دنقلا دخلت في حوزة محمد أحمد و أشياعه؟ و أى طريقة يمكن الأخذ بها لحفظ الأمانة و تقرير الراحة في مصر العليا (الصعيد)؟ فأعجب الحاضرون بالسؤال و ظهرت على وجههم علائم الاستغراب لمفاجأته لهم بما لم يكونوا يتوقعونه ثم أجابوه بصوت واحد: أن لا سبيل إلى تأمين البلاد من خطر الفتنة إلا باستعمال القوة، فقال نوبار باشا: إننا نروم منكم التصريح بنوع القوة التي يجب استخدامها (أى قوة إنجليزية أو مصرية). فأجابه رياض باشا: إن تعيين القوة من خصائصكم و ليس من شأننا أن نتكلم فيه. فأبدع في الجواب بعض الحاضرين (لا نعرفه و ربما يكون من محبى أوطانهم) و أحسن في التشبيه حيث قال الذى نعرفه: إن العجة لا تكون بدون بيض (العجة طعام يصنع من البيض مع بعض النبات يعرف اسمه عند المصريين و أغلب العرب، فمادة هذا الطعام إنما هى البيض). فأراد العضو المحترم أنه لو أريد استخدام قوة فلا بد أن يكون جوهرها عساكر إنجليزية و لا بأس بإضافة بعض من الجنود المصرية لتكون ترسًا يدفع به فى وجوه المحاربين و تنصب إليه قوته، فإن حصل العجز و دعت الضرورة للفرار أمكن للجيش الإنجليزى أن تعود سالمة أو إذا أضيف مصريون فلا بد أن يكونوا حاملين و خدماً أو حرسًا و حفظة لمن يكون معهم من ساداتهم (هذا ما أراد جناب العضو من تشبيه البليغ). بعد هذا قال رياض باشا: إنكم تسألوننا تعيين القوة ولكنى أسألكم: ما هى القوة الموجودة عندكم و بأى حق يؤدى لكم ٤٨ ألف جنيه فى كل شهر، أنتم حكومة أم لا؟! أما شريف باشا فقال إنه بذل جهده مدة طويلة فى إرضاء الحكومة الإنجليزية بأن ترسل جيشاً إنجليزياً إلى السودان (و هذا مما يقضى بالعجب) ولكنه علم أن نوبار باشا أراد أن ينهى المسألة بإخلاء الأقطار السودانية، فقال نوبار باشا: إن المباحثة خرجت عن موضوعها و تحولت عن وجهها ولكنى أذكر بالأعضاء المجتمعين بأنهم ما طالبوا إلا لإبداء آرائهم فيما يجب العمل به، فأجابه رياض باشا: إن لكم مجلس شورى فكان أحق أن تذاكروه و إن للآن لا نعرف سبباً لاستدعائنا مع وجود ذلك المجلس، فحاول نوبار باشا دفع ذلك بقوله إن مجلس الشورى ليس من خصائصه النظر فى مثل هذه المسائل. فقال رياض باشا إنه لا يرجى إصلاح مادام العمل جارياً على ما وضعه اللورد دوفرين مما سماه نظاماً، و إنه لا

ثقة له بأصل من أصول ذلك النظام و ليس فى الإمكان إجراء و لا واحد منها و أن الأغلط التى كانت منشأ للضعف و الاختلال لم يرتكبها إلا دولة الإنجليز و إن ما نراه من الفوضوية و ارتكاب المنكرات و كثرة التعدى و السرقات لم تكن له علة إلا السياسة الإنجليزية، فعلى إنجلترا أن تعالج هذا الداء و ليس ذلك علينا و لقد قلت هذا مراراً و بلغته للورد دوفرين و شريف باشا و كنت أود أن أرى للورد دوفرين مرة أخرى لأذكره بما جرى من الحديث بيننا و أعرض عليه مصره المنتظمة، إلا أن شريف باشا أتى بما لم يكن يرجى منه، حيث دافع عن نظام دوفرين بقوله إن الإصلاح يحصل تدريجياً، كأنه يريد بما يقول أن ما حوته شريعة اللورد دوفرين يصلح أن يكون شريعة يعود من العمل بها على أهالى القطر المصرى شىء من الفائدة. و ما كنا نظن أن مثل شريف باشا يرى مثل هذا الرأى بعد وصول الأمر إلى ما وصل إليه. بعد هذا قال رياض باشا: إنى لا أفهم لفظ پروكتور<sup>(١٠)</sup> (حماية) و لا أعلم ماذا يراد منه ولكنى لا أرى وسطاً بين أمرين، إما ضم البلاد إلى الحكومة الإنجليزية فتستلم إدارة أمورها و تتولى شئونها كلية كانت أو جزئية، و هذا هو الذى أفهمه من تلك العبارات، و إما ترك البلاد لأهلها فيأخذ بزمام السلطة فيها رجال من أهلها و إليهم الحل و العقد فى إدارتها فانتحلوا مذهباً من المذهبين فإن القول بحل وسط بينهما ضرب من الجنون. اهـ

و ليس بعجيب أن يصدر مثل هذا الكلام من رياض باشا فعهدنا به رجل ذو حياة وطنية و إحساس بما يلزم لحفظ حياته هذه، و هى أشرف أنواع الحياة، فإن تكلم فإنما ينثر الكلام منه إرادة ناشئة عن فكر تثيره قوة حيوية، و كان أملنا أن يوجد من طرازه كثير فى الأقطار المصرية يصدعون بما يصدع به خصوصاً بعد ما نزلتهم هذه الحوادث المريعة و مثلت لهم مستقبل بلادهم فى حاضرها، و لقد أدى الرجل حقاً واجباً عليه و القائم بأداء الفريضة قد يشكر إذا أهملها المكلفون بها حتى صارت عندهم من نوافل الأعمال أو فى منابذ المكاره، ولكن يأخذنا العجب من بقيه أعضاء هذا المجلس الموقر كيف مجمجوا أو تلكثوا أو سكنوا و كيف وسعتهم القدرة على إمساك ألسنتهم عن التعبير بما فى ضمائرهم. إنا لا نعلم أحداً منهم تجنس بالجنسية الانجليزية وحاشا جميعهم من ذلك، ولا يختلج فى صدورنا أن مصرى أو تركيا أو شرقياً أياً كان يميل ميلاً صادقاً الى تسلط الاجنبية على بلاده او يخلص فى خدمة الإنجليز و مجاراة رغائبهم إخلاصاً صحيحاً خصوصاً أولئك الأمراء المصرح بأسمائهم، بل لو كشف الحجاب عن قلب كل واحد منهم لرأيناه ذائباً من الأسف فى ما حل ببلاده و فانياً من الحزن على ما نزل بوطنه من تردد جيوش الأجانب بين أطرافه و مضمحلا من الكدر على ما عقبه حلول القوة الأجنبية من انقباض الأنفس و انقطاع الآمال و عموم الاختلال و شمول الفقر و الفاقة و بطلان حركة الأعمال، بل لو شاء القلم أن يعبر عن حالة الأمير منهم عند ما

يطرق آذانه أخبار التصرف الإنجليزي فى إدارات حكومته و كف أيدى الموظفين من أبناء ملته من أداء ما يجب عليهم لبلادهم و بسطة أيدى أولئك الأجانب فى الإنفاق من ماله و مال عياله و أقاربه و أحبائه و جميع مواطنيه بدون حق شرعى و لا مصلحة وطنية أو عندما يرى غنيا أعدم و عزيزاً ذل و كاسياً عرى و حبا أشرف على الهلاك من ضغط المظالم، و لو نهضت قوة البيان لشرح ما يظهر على وجهه من ألوان الكمودة و فى أعضائه من أنواع الرعدة و ما ينبض به قلبه و ما يحدثه فكره من هواجس الهموم و خواطر الغموم، لما استطاع القلم تعبيراً و لوقفت قوة البيان دون الإتيان على قليل من كثير.

هذا هو الذى لا يبرأ منه أحد منهم و لو أقام على البراءة ألف برهان. كيف لا وهم يعلمون أن عزتهم و سيادتهم و ما بلغوا من مراتب الشرف و الرفعة إنما كان بوصف قيامهم على أعمال البلاد و أهليتهم لاستلام مهامها و استعدادهم لإدارة شئون الرعية و هم على يقين بأنه لو ساد فى ديارهم أجنبى فلا داعى يبعثه إلى حفظ ما لهم من الشرف و السيادة، بل له من البواعث القوية ما يحمله على تدليلهم و إهباطهم إلى أحط المنازل ليخلفهم على مثل ما كانوا عليه. فما الذى أمسك بألستهم عن الكلام؟! هل الخوف؟ فمن أى شىء يخافون و ما الذى يخشونه على أرواحهم أو على بلاددهم إذا قالوا حقا و ثبتوا عليه؟ ماذا يصنع بهم الإنجليز إذا علموا صدقهم فى محبة أوطانهم و اتفاق كلمتهم على الرغبة فى إنقاذها؟ هل علموا من عدل الإنجليز أنهم يؤاخذون الناس على إبداء آرائهم إذا دعوا إلى المشورة؟ إن كان هذا فما يبتغون من الحياة؟ هل ظنوا أن الإنجليز إذا أحسوا باتفاق فى الآراء على مصلحة من مصالح البلاد و إن كانت فى خروجهم من مصر يستطيعون تحت أعين أوروبا أن يوصلوا ضرراً إلى المتفقين و هم أمراء البلاد و أعيانها؟ إن رياض باشا وحده لم يخش من إظهار فكره، فماذا كان يضرّ الأمراء الوطنيين لو عززوه أو كاتفوه على مثل رأيه؟ قد علم العقلاء من كل أمة أن أشباه هذه الحوادث تكون سبباً فى اجتماع الكلمة و اتحاد الرأى على مصادمتها و ما نراه اليوم من سعادة الأمم العظيمة إنما كان منشؤه ملومات الشقاء التى أنستهم الضغائن و الأحقاد و حملتهم على ترك المنافرات الخصوصية و أخذ كل بيد أخيه لدفع ما يخشى منه على بناء الأمة أن ينصدع و أساس الملة أن ينقلع و ما سمعنا من أمة اتفقت فخابت و لا ملة افرقت فنجحت.

ألا يعلم أمراؤنا أن أوروبا واقفة بالمرصاد لإنجلترا تترقب لها الزلل و تتمنى لها الغلط، و أن جميع الأسماع فى الممالك الأوروبية مصغية لكلمة يتفق عليها و جهاء المصريين و هى: إنا قادرون على إصلاح شئوننا و لا نريد قوة أجنبية تحل فى ديارنا.

امتدت أعناق السياسيين فى أوروبا و انحنت إلى المصريين ليسمعوا منهم كلمة حتى كلت رقابهم و التوت أعصابهم و المصريون يشحون بها عليهم. ماذا ينتظر الأمراء المصريين فى قول الحق؟ إن



الأمم لا تطلب منهم إشهار السلاح و لا بذل الأرواح ولكن تطلب منهم قولاً صريحاً لا يجلب إليهم ضرراً و لا يقرب منهم خطراً، لا حول و لا قوة إلا بالله.

### السودان

قدمنا فى العدد الماضى أن مدينة بربر فى حالة يخشى عليها من السقوط فى أيدي الثائرين و جاءت أخبار هذا الأسبوع أن حاكم المدينة، بعد إجحاح طويل على الحكومة المصرية فى إرسال نجدة عسكرية إليه، لم يحز طلبه قبولا فإن الوزارة الإنجليزية لم تر ذلك صواباً و بناء على ما رآته الحكومة الإنجليزية صدرت الأوامر إلى الحاكم (حسن باشا خليفة) أن يخلى المدينة بما يمكنه من السرعة، فشرع فى إخلائها متقهقراً بالحامية جهة الشمال إلى كوروسكو و بعث بفرقة من عساكره عددها مائة و خمسون جندياً لتسبقه إلى حيث ينتهى فى رجعتة، و بعد أيام يرسل ما بقى منها طبق الأوامر التى وردت إليه و فى الظن أن إخلاء المدينة لا يتم بدون كفاح و قتال و سفك دماء، و مع هذا كله فمن أمل الحاكم أن يتم له إنقاذ الحامية جميعها و إرسالها إلى كوروسكو، قبل وصول رسل محمد أحمد تحقق أن أربع فرق بين العساكر الاحتياطية (باشبوزق) مع خمسمائة عسكري مصرى (كلهم من حامية بربر) انحازوا إلى أشياع محمد أحمد و يخشى أن الثائرين بعد استيلائهم على بربر يحاصرون جملة مدن فى وقت قريب.

قالت جريدة التايمس الإنجليزية: ثارت جميع القبائل و أهالى البلاد فيما وراء بربر و لا يمكن أن يوجد رسل يجرءون على المسير إلى الخرطوم لتوصيل المراسلات.

و إن عرض عليهم من النقود أعلى ما يمكن من المبالغ، و قالت تلك الجريدة إن الأخبار الأخيرة الواردة من مصر تؤكد لنا أن قلوب الأهالى (المصريين) طافحة من الغيظ و الحنق على الإنجليز، و أنه لا يوجد فى مصر من يحب أن يرى إنجليزيا يخطر فى بلاده (هذا الذى قلناه مراراً فالحمد لله أقره الخصم و ارتفع النزاع)، ثم اتبعت كلامها هذا بأنه لا يوجد فى مصر الآن شىء يصح أن يخبر عنه سوى (اختلال و اضطراب)، فما عليه مصر اليوم يمكن أن تعبّر عنه بهاتين اللفظتين، و إن المخابرات مع الخرطوم أصبحت من قبيل المستحيلات، ثم قالت نعم إن الحكومة الإنجليزية صرحت بأنه لا يمكنها إرسال عساكر إلى السودان قبل مضى أربعة أشهر، ولكن عليها أن تنظر فى واسطة أخرى لإزالة ما جلبته على مصر من الفوضى.

أنجح الوسائط ترك البلاد لأهلها و تفويض الأمر فيها لصاحب الحق القانونى على تلك البلاد و من له المنزلة العليا فى قلوب جميع الأهالى، فتسكن له القلوب و تخمد نيران الفتنة، و لعل التايمس بعد أيام قلائل ترجع إلى موافقتنا على تأكيد بغض المصريين للإنجليز و قد تنكره علينا من خمسة و عشرين يوماً و تبالغ فى ميل الأهالى لسيادة الإنجليز عليهم.

ذكرت الجرائد أن جاسوساً وقف على عزيمة عثمان دجمة في جهة سواكن فجاء و أخبر بأنه مستعد أن يزحف بألقى مقاتل إلى هندوب لقطع الطريق، و أنه بعد ذلك لا يقف دون الهجوم على حدود سواكن بشده عنيفه.

جاء في جريده التان أن دخول الثائرين في مدينه بربر و إن لم يتحقق الآن بطريقه رسميه إلا أن ما أخير به وكيل إنجلترا السياسى فى تلك المدينه يقطع كل ريب و يزيل كل شك فى أن الخطر نازل بها لا محاله فإن قسماً من حاميتها فرّ لطلب النجاه و الباقي انضموا إلى صفوف الثائرين جهرة و إنا نرى حلول أشياح محمد أحمد بمدينه بربر يهيبى لهم أن يطئوا قلب مصر العليا وليتهم يكتفون بهذا ولكن ستطمح أنظارهم إلى مصر السلفى. و إن ضباط الحاميه المصريه فى أسوان وردت إليهم مكاتيب من أحد زعماء الثورة بناء على أمر محمد أحمد ينذرهم فيها بسوء العاقبه و يتوعدهم بالقتل و الذبح إن لم يتركوا المدينه قبل عشره أيام، ثم قالت تلك الجريده إذا اجتمعت قوه محمد أحمد عند الشلال الأول فلا بد حينئذ أن ينظر فى كيفيه الدفاع عن القاهره!!

هذا الذى كنا نتوقه و نخشاه من قبل و أشرنا إليه مراراً، جلته الحوادث و نطقت به الجرائد الفرنسيه و الإنجليزيه و لم يبق إلا التفات تلك الجرائد إلى دواء هذه العلئ و علاج هذا الداء الذى كاد يكون عضالا و تنبه حكوماتها للنظر فى ذلك بعين الدقه و التبصر و ترشيدها إلى أن العلاج الذى ليس وراءه علاج إنما هو تسليم الأمر لذوى الحق فيه و العارفين بطرق تصريفه من المسلمين، و سترها بعد أيام تتبع هذا السبيل المستقيم.

#### فرصة سانحة

دخيل الإنجليز مصر فزعموا أن ما كان موجوداً من الجند الأهلى نفخت فيه روح العصيان فلا يصلح للأعمال العسكريه فطرده، ثم اختاروا من الأهالى جنداً جديداً فى عدد قليل و استلم الرئاسة عليه ضباطهم البارعون و بعد أشهر أثنوا عليه بحسن النظام و سرعه النجاج و طنطنت بالإطراء عليه جرائدهم و لم نلبث بعد هذا أن رأيناهم يسارعون إلى طرد الجند الجديد، فهموا بذلك مراراً مع العزم على عدم استبداله بآخر من أبناء الوطن و كلما صدتهم بعض الموانع السياسيه عن همهم، كتموا أمرهم زمناً ثم عادوا للإشارة إليه تعللاً بما ينسبونه إلى بعض العساكر و هو من دسائسهم، و آخر الأمر خفتت أصواتهم و أحسوا بعجزهم عن الاستبداد بطرد الحاميه الوطنيه و علموا أن لا بد فيه من مشوره الدول.

فى هذه الأيام رغبوا إلى الدول فى عقد مؤتمر للنظر فى قانون التصفيه و تحويره و وضع نظام للماليه المصريه يخفف عنها بعض أثقالها فصرحوا فى لائحته المرسله إلى حكومات أوروبا بضرورة طرد الجند الوطنى رعايه للاقتصاد و بلزوم تخفيض فائده الديون المصريه.

إن الإنجليز من ست سنوات جعلوا بعض الضيق فى المالىة المصرىة ذرىعةً للانقلاب العظيم الذى حصل فى مصر و أزموا الدولة العثمانىة بمجاراتهم فى ذاك الانقلاب و دافعوا عن الدائنين و زعموا من المحال تنقيص شىء من الفوائد و طلبوا من الحكومة المصرىة إذ ذاك تقليل عدد حاميتها ليتوفر من النقود ما يصرف لحقوق الدائنين و اليوم عطفوا على المصریین (عطفة الأب الرحيم) و بسطوا أيديهم إلى الدول يلتمسون مساعدها لتخفيف الفائدة مع محو حاميتهم الوطنیة. أليست البلاد المصریة كسائر بلاد العالم تحتاج إلى حامية تحفظ حدودها من الخارج و تصون داخلها من الغوائل التى لا یأمن طروقها حكومة من الحكومات. إن فى تلك القسوة الأولى و المرحلة الثانية لسرا عظیماً.

للإنجليز فى مصر مطامع من زمن قديم يعدون سلطتهم عليها من ضروريات شوكتهم فى الهند، و فى خلد هم أن المصریین لو كانت لهم ثروة مالىة و قوة عسكریة عظیمة فإنهم یمانعون فیما یریدون ببلادهم، فضيقوا على المالىة فى تلك الأوقات و ألجئوا الحكومة لتمزيق قوتها العسكریة ليحصل الضعف فى القوتين المالىة و الجندیة فتمد لهم طريق ما طمحووا إليه. و كان هذا التدبير سبباً فى الانقلاب الذى تبعته هذه الحوادث الهائلة و بعد ما فتح لهم بضعف الحكومة سبيل المداخله فى مصر طفقوا یسعون بما جبلوا عليه من الهوينا فى الماضى إلى مقاصدهم لإيجاد عنوان غير التملك یعنون به إقامة عساكرهم و مأموریهم فى تلك البلاد زمناً طویلاً، و یكون وضع ذلك العنوان برأى الدول تملصاً من الوعد الذى وعدوها به مع ترقب حوادث السیاسة فى أوروبا لعل حادثه منها تساعدهم على إبدال العنوان بما هو المطلوب لهم، ورأوا من أحسن الوسائل لدعوة الدول إليهم عرض المسألة المالىة.

و لما كان من المحتوم فى آرائهم بقاء عساكرهم فى الديار المصریة فلا بد من طلب وسیله لطردهم الجند المصرى حتى تكون الحاجة إلى عساكرهم قائمة، هذه طریقه ربما خفيت على المصریین و غفل عنها كثير من الأوروبیین إلا أنها من الطرق المتعارفة عند الإنجليز و هى التى سلکوها فى البلاد الهندیة و نالوا بسلوكها السلطة المطلقة على تلك الأفطار الواسعة بدون سفك دماء غزیره و لا مقاومة فتن شدیة. دمر الإنجليز (دخلوا بلا استئذان) على الهندیین فى أراضیهم و انبثوا بينهم فتمكنوا من تفريق كلمه الأمراء و إغراء كل نواب أو راجا بالاستقلال و الانفصال عن السلطنة التیموریة فتمزقت المملکة إلى ممالک صغیره ثم أغروا كل أمير بآخر یطلب قهره و التغلب على ملكه فصارت الأراضى الهندیة الواسعة میادين للقتال واضطر كل نواب أو راجا إلى المال و الجنود لیدافع بها عن حقه أو یتغلب بها على عدوه فعند ذلك تقدم الإنجليز بسعة الصدر و انبساط النفس و مدوا أيديهم لمساعدة كل من المتنازعين و بسطوا لهم إحدى الراحتین ببدر الذهب و قبضوا بالأخرى على سيف الغلب. بدءوا قبل كل عمل بتنفیر أولئك الملوك الصغار من عساكرهم الأهلیة و

رموها بالضعف و الجبن و الخيانة و الاحتلال ثم أخذوا فى تعظيم شأن جيوشهم الإنجليزية و قوادها و ما هم عليه من القوة و البسالة و النظام حتى اقتنع كل نواب أو راجا بأن لا ناصر له على مغالبه إلا بالجنود الإنجليزية، فأقبل الإنجليزي على أولئك السذج يضمنون لكل صيانة ملكه و فوزه بالتغلب على غيره بجنود منتظمة تحت قيادة قواد من الإنجليزي و يكون بعض الجنود من الهنديين و بعضها من البريطانيين و ما على الحاكم إلا أن يؤدي نفقتها، ثم خلبوا عقول أولئك الأمراء بدهائهم و بهرجة و عودهم و لين مقالهم حتى أرضوهم بأن يكون على القرب من عاصمه كل حاكم فرقة من العساكر لتدفع شر بعضهم عن بعض و صار الإنجليزي بذلك أولياء المتباغضين و سموا كل فرقة من تلك الجنود باسم يلائم مشرب الحكومة التى أعدوها للحماية عنها، ففرقة سموها (عمرية) و أخرى سموها (جعفرية) و غيرها سموها (كشتية) إرضاء لأهل السنة و الشيعة و الوثنيين.

و لما فرغت خزائن الحكام و قصرت بهم الثروة عن أداء النفقات العسكرية فتح الإنجليزي خزائنهم و تساهلوا مع أولئك الحكام فى القرض و أظهروا غاية السماحة، فبعضهم يقرضون بفائدة قليلة و بعضهم بدون فائدة و يتتظرون به الميسرة، حتى ظن كل أمير أن الله قد أمده بأعوان من السماء و بعد مضى زمان كانوا يومئون إلى طلب ديونهم بغاية الرفق و يشيرون إلى المطالبة بنفقات العساكر مع نهاية اللطف، فإذا عجز الأمير عن الأداء قالوا إنا نعلم أن وفاء الديون و القيام بنفقات الجنود يصعب عليكم و نحن ننصحكم أن تفوضوا إلينا العمل فى قطعه كذا من الأرض نستغلها و نستوفى منها ديوننا و ننفق من غلاتها على الجيوش التى أقمناها لكم ثم الأرض أرضكم نردها إليكم عند الاستيفاء و الاستغناء و إنما نحن خادمون لكم. فيضعون أيديهم على غضروات<sup>(١١)</sup> الأراضى و فيحائها، و فى أثناء استغلالها يؤسسون بها قلاعاً حصينة و حصوناً منيعه كما يفعلون ذلك فى ثكن (أماكن إقامة العساكر) عساكرهم على أبواب العواصم الهندية، و فى خلال هذا يفتحون للأمرء أبواباً من الإسراف و التبذير و يقرضونهم و يقتضون قرضهم بالقيام على أراض أخرى يضمنونها إلى الأولى ثم يحضون نار العدواة بين الحكام لتنشب بينهم حروب فيتداخلون فى أمر الصلح فيجبرون أحد المتحاربين على التنازل للآخر عن جزء من أملاكه ليتنازل لهم الثانى عن قطعه من أراضيه، و هم فى جميع أعمالهم موسومون بالخادم الصادق و الناصح الأمين لكل من المتغالبين.

و بعد هذا فلهم شئون لا يهتمون بها فى إيقاع الشقاق بين سائر الأهالى لتضعف قوة الوحدة الداخلية و يخرب بعضهم بيوت بعض حتى إذا بلغ السير نهايته و اضمحلت جميع القوى من الحاكم و المحكوم و غلبت الأيدى فلا يستطيع أحد حراكاً. ساقوا الحاكم إلى المجزرة بسيف تلك العساكر التى كانت حاميه له واقية لبلاده و كانت تشحذ لجز عنقه من سنين طويلة و ينفق على

صقالها من ماله ثم خلفوه على ملكه و كانوا يميلون بقوتهم إلى أحد أعضاء العائلة المالكة ليطلب الملك فيخلعون المالك و يولون الطالب على شريطة أن يقطعهم أرضاً أو يمنحهم امتيازاً فيحولون الملك من الأب لابن و من الأخ لأخيه و من العم لابن أخيه و فى الكل هم الرابحون. هذا سيرهم فى الهند و هو على بعد من مراقبة أوروبا. ما فاجئوا أحداً بحرب و ما اختطفوا ملكاً بقوة مغالبة بل ما أعلنوا سيادتهم على مملكة صغيرة و لا كبيرة إلا بعدما أيقنوا أن لا قوة لحاكمها و لا أهلها و لا بما تطرف به أجفانهم.

أولئك الإنجليز باقعة<sup>(١٢)</sup> العالم و أحبال الحيل يريدون اليوم طرد العساكر المصرية و أرض مصر لا تحرسها الملائكة فلا تستغنى عن حامية فإن تم ما أرادوا زينوا لبعض ذوى السلطة فى مصر أن يطلب منهم جنداً إنجليزياً يكون خادماً له و حافظاً لملكه فإن لم يقبل داروا بحيلتهم تحت أستار التمويه على كل من له حق فى الولاية على تلك البلاد يعرضونها عليه حتى يعثروا بمن يقبل نصحهم أو غشهم ذهولا عن حقيقة القصد فيقيمونه حاكماً خلفاً لمن لم تسمح ذمته بالقبول و تكون رغبة المغرور حجة لهم عند أوروبا. هذا سر انقلاب الإنجليز على الجند الوطنى و قدحهم فى سيرتهم بعد الثناء على حسن استعداده وسعيهم إلى طرده بالأدلة الواهية و العلل الواهنة.

أما المؤتمر الداعى إليه أن العدوان فى هذه الأزمان لا يأتيه المعتدون كما كان فى الأحقاب الخالية مشوه الوجه منكر الصورة يعرفه الذكى و الغبى، بل من أراد عدواناً فلا بد أن يحفه بمواكب من الأدلة و حفال (جمع) من البراهين و هو ما يعبرون عنه بالحقوق و المصالح، و ما أصعب الوقوف على كنه العدوان و هو فى هذه الحيلة و تلك الهيئة الجميلة.

يريد الإنجليز عقد المؤتمر و يرغبون قصر المداولة فيه على المسألة المالية ليضمنوا ديون القطر المصرى و يكفلوا للدائنين أداء حقوقهم و يأخذوا على أنفسهم عهده الإنفاق على الإدارات المصرية مدة من الزمان لترخص لهم الدول الإقامة فى وادى النيل إلى أمد، فيكون تفويض الدول حجة لهم فى التصرف و إدارة شئون الحكومة المصرية ما دام السلم مضلا بلاد أوروبا، فإذا حدث حادث حرب فى الدول الأوروبية - و ما هو بعيد الوقوع - تربعوا فى تلك البلاد و أناخوا بكلاكلمهم و ضربوا بجرانهم على أراضيها و ألقوا عصاهم. هذا سر شفقة الإنجليز على المصريين و هو سر رغبتهم فى وقوف المؤتمر عند شئون المالية.

هذه المصيبة العظمى و الداهية الدهماء التى تتحفز لتتنقض على المصريين، هل تمس بحقيقتها جانب ألمانيا، كلا. فإن منافع ألمانيا الحقيقية لا تعلق لها بالمسائل المصرية و هى فى الشغل بما هو أهم منها و ليست دولة أستراليا بأقرب المصائب المصرية من ألمانيا على أن كلا من الدولتين ليس

فى استطاعتها تأييد فكرها بالعمل، لو مست الحوادث المصرىة شىئاً من مصالحها فإن مواقع الدولتين لا تساعدهما على الإضرار بدولة الإنجليز، أما إيطاليا فهى ساكنة الجأش بما تؤمل نواله فى إفريقيا بمساعده إنجلترا، نعم لهذا السيل الجارف تدفق على بيت محمد على باشا فيخشى على أركان ذلك البيت لو لم يتدارك أمره!!

أما الدولة العثمانية فلو حولنا النظر عن حقوقها الثابتة فى الأراضى المصرىة من وجوه كثيرة، فليس يخفى علينا أن الولاية على تلك الأراضى هى الركن الأعظم للسلطة العثمانية فى سوريا و قسم عظيم مما يتصل بها من آسيا الصغرى و فى الحجاز و اليمن. فمن المفروض على العثمانيين أن يبذلوا و سعيهم لصيانة مصر دفاعاً عن حقوقهم المقررة و حفظاً لشوكتهم فى معظم ممالكهم، و لا يسوغ لهم شرائع الملك أن يفرطوا فى المسألة المصرىة لا فى جزئى منها و لا كلى؛ فإن مصر عقده تتصل بها أطراف السلطنة العثمانية، فإذا انحلت، فقد انحلت (و العياذ بالله) سائر العقد.

ليس لعثمانى أن يتوسد و سادة السيادة البسماركية الناعمة، فإن الحاجات الطبيعية و الدواعى الجوهرية هى الحاكمة على الأمم و لا اعتبار فى السياسة بالأطوار العارضة، ربما يهم بسمارك أن يشتري بمصلحة العثمانيين و داد الإنجليز لتأييد سياسته و ترك فرنسا منفردة بلا حليف و له أن يلقى بمصلحة العثمانيين فى أيدي الروس إذا مست الحاجة ليدفع عن نفسه شرا يتوقعه، و ليس لبسمارك أدنى غاية فى الاتصال بالعثمانيين إلا بهذا المقدار يفدى بهم منفعة من منافعه. و من نظر إلى أحوال الأمم بما تقتضيه طبائعها، حكم بذلك حكماً قاطعاً.

نعم من الدول دولة فرنسا كانت لها مزايا فى أرض مصر أشرفت على الزوال و ليس بالسهل علينا ضياعها، و لها أملاك واسعة فيما وراء البحر الأحمر و لا تصان سلطتها على تلك الأملاك إذا نشبت أظافر الإنجليز فى أحشاء مصر بأى اسم كان و تحت أى عنوان، فأصول السياسة الفرنسية لا تسمح للفرنسيين بالتساهل فى المسائل المصرىة. و دولة الروس تسابق دولة إنجلترا فى النصر و الغيب بشرقى آسيا، و تنافس الألمان فى القوة بأوروبا و لها مع ألمانيا مزاحمات خفية ثابتة فى عناصر الأمتين لا يزيلها هذا التآلف الظاهرى، فقد يكون من أحكام سياستها الانضمام إلى دولة فرنسا لمضايقه إنجلترا فى البلاد المصرىة، بل النظر فى طبيعه حال الأمتين يقضى بلزوم اتحادهما فى المشكلات الأوروبية أيضاً و ربما تكون هذه المسألة بداية الارتباط بين هاتين الدولتين.

و لعل هذه الفرصة لا تفوت العثمانيين و لا تحجبهم الحوادث الماضية عن إدراك هذه النكتة، و هى أن الروسيين هم أشد الناس حاجة إلى الاتحاد مع الدولة العثمانية فى هذه الأوقات لما فُتح لهم من أبواب اللغيم فى آسيا و يرون الألف مع العثمانيين أعظم عضدا لهم فى نيل مطامحهم بتلك الأقطار، بما للسلطان من المنزلة العليا فى قلوب مسلميها و لا تأخذ العثمانيين رجفة من إرعاد الإنجليز و إبراقهم فليس لهم سلاح يشهرونه على الدولة العثمانية سوى التهيب. و من المحال أن

يفاتحوها بحرب و إلا تقلصت سلطتهم عن البلاد الشرقية بأسرها. فإذا ثبتت الدولة في مطالبها و اشتدت في إرجاع حقوقها لجأ الإنجليز للخضوع و الاستكانة إليها و هذا من البديهيات الجلية عند كل من وقف على أحوال الإنجليز في الهند و على مكانة السلطان العثماني في قلوب الهنديين عموماً، و الحكم لله يفعل ما يشاء.

### العروة الوثقى

لا يظن أحد من الناس أن جريدتنا هذه بتخصيصها للمسلمين بالذكر أحياناً و مدافعتها عن حقوقهم تقصد الشقاق بينهم و بين ما يجاورهم في أوطانهم و يتفق معهم في مصالح بلادهم و يشاركهم في المنافع من أجيال طويلة، فليس هذا من شأننا و لا ما نميل إليه و لا يبيحه ديننا و لا تسمح به شريعتنا، ولكن الغرض تحذير الشرقيين عموماً و المسلمين خصوصاً من تطاول الأجانب عليهم و الإفساد في بلادهم. و قد نخص المسلمين بالذات لأنهم العنصر الغالب في الأقطار التي غدر بها الأجانب و أذلوا أهلها أجمعين و استأثروا بجميع خيراتها، و سنكتب مقالة مفردة في هذا الباب إن شاء الله.

### إسماعيل باشا

لهج كثير من الجرائد الأوروبية في هذه الأيام بذكر إسماعيل باشا خديو مصر السابق، و منها جريدة (البال مال جازيت) قالت: إما أن تستولى إنجلترا على مصر أو تسلم الإدارة فيها لإسماعيل باشا. و نقل أحد محرري هذه الجريدة عن مدام توفيكوف و هي صديقه شهيرة لمستتر جلاستون أنها قالت له: إن أحسن وسيلة لتقرير الراحلة في مصر و جعل مصر للمصريين هو إعادة إسماعيل باشا إليها. و ذكرت إحدى جرائد ألمانيا أن كلامها يكاد يكون رسمياً.

أما نحن فسنبين رأينا في هذه المسألة و نبدي فكرنا فيما يتعلق منها بالسلطان العثماني والطريقة التي ينبغي أن يسلك فيها و ما يرتبط منها بمصلحة المصريين و ما يجب على إنجلترا أن تأخذ به لو كانت كما تزعم تريد التخلص من ورطة المسألة المصرية و لا نظنها صادقة.

### نجد

كتب إلينا أحد أهالي نجد رسالة طويلة يحكى بها ما فعله قنصل الإنجليز مستر (كورنل بيلي) الذي كان قنصلاً لدولته في خليج فارس و مقره ببندرا بوشهر و ما توسل به للمداخلة في بلاد نجد في سنة ١٢٨٠ أيام كان أمير نجد الأمير فيصل، و قصد برواية هذه الحادثة تنبيه إخوانه المصريين لشدة المشابهة بين تلك الوسائل التي تشبث بها القنصل للتدخل في سواحل البلاد النجدية و بين ما اتخذته الإنجليز وسيلة للهجوم على أرض مصر، إلا أننا لا نذكرها الآن لقدم عهدنا و سنفرد لها و أمثالها كتاباً مخصوصاً نفصل فيه ما فعل الإنجليز في البلاد التي حاولوا الاستيلاء عليها و لم يستطيعوا مع استمرارهم في طلب ما يمكنهم من مقاصدهم، و نطبع هذا الكتاب و نوزعه مجاناً!!

## الصُّحف الهنديّة

جاءت إلينا الجرائد الهنديّة فسرنا اعتدال سيرها في خدمة أوطانها وزادنا سرورًا عنايتها بترجمه مقالاتنا المتعلقة بأحوال الشرقيين عمومًا و المسلمين خصوصًا و نقلها من اللسان العربي إلى اللسان الهندي، فله شكرها على ما صنعت و نخص من بينها جريدة (أخباردار السلطنة) التي تطبع في كلكتة و جريدة (مشير قيصر) التي تطبع في لكهنؤ. و هذا كان أملنا في أرباب تلك الجرائد و ليس بغريب على غيرتهم الدينيّة و الوطنيّة.

هذا ما كان من مسلمي الهند و هم في قبضة الإنجليز من مدة تزيد على قرن. و إننا نأسف غاية الأسف مما بلغنا عن بعض المصريين من أنهم يمتنعون عن استلام ما يرسل بأسمائهم من أعداد هذه الجريدة خوفًا و رهبة، مع أنهم أحق الناس بالإقدام على أمور عظام في هذه الأوقات، فإن الآمال في خلاصهم قويّة و الوسائل إليه قريبة فكيف يصل بعضهم الخوف إلى الامتناع عن استلام جريدة هم أولى بها من غيرهم، إذ أهم ما فيها الدفاع عنهم.

## صفحة خاسرة

كتب إلينا صديق فاضل من أخلص المؤمنين بالقطر المصري قال:  
إن مأموري الإنجليز الآخذين بزمام بعض الوظائف المصريّة لا يزالون يسعون في تغرير الأهالي و التحيل عليهم و دس الدسائس بينهم بطريق مختلفة من الترغيب و التهيب، كل ذلك ليرضوهم بطلب الحماية الإنجليزيّة، إلا أن أولئك الأبالسّة لا يلاقون في سعيهم إلا خيبة لأن العلماء و أعيان البلاد قد أحاطوا بغايات الإنجليز و مقاصدهم و علموا أنهم لا يقصدون بالبلاد إلا الشر كما لم ينلها من حلولهم إلا الضرر خصوصًا و أن روح الحميّة و الغيرة الدينيّة و الوطنيّة صار لها السلطان الأعظم على نفوس أهالي القطر المصري فاشتدت أنفتهم من تسلط الإنجليز في ديارهم و قاموا مطالبهم بعزائم ثابتة و قلوب غير واجفة و هذا هو ظننا بل يقيننا في أبناء القطر المصري، علمائهم و أمرائهم و حكامهم و أعيانهم و أوساطهم بل وسائر طبقاتهم أن لا تسمح نفس واحد منهم بمجاراة الإنجليز رغبتهم و أن لا يطمئن قلبه بالدخول تحت سيادتهم، بل ببقاء شخص منهم في بلاده و على مرمى نظره، فإن وجد بينهم شخص يتخذ إلهه هواه و يميل مع الباطل فهو ممن يعرف المصريون سيرته في إفناء ليله و أطراف نهاره فلا يثقون به، و مما أخبر به الصادق أن كليفور لويد يجتهد لتسليم رئاسات البلاد إلى أناس من طبقه يتوهم فيها سقوط الهمة و سخافة الرأي ليتمكن بهم من إجراء بعض مقاصده، لكن لم يتسن له نجاح و لئن نجح في تحويل الرئاسات من نصابها فلا يلقى ممن يسلمونها إلا مثل ما لاقى من غيرهم، فإن الجميع مصريون يفضلون ظلم أبناء وطنهم على عدل الأجنبي، فكيف لو كان الأجنبي لا يقاس بظلمه ظلم، ثم قال صديقنا الفاضل: زاد الويل أضعافًا على الأهالي بالمجالس المحليّة، فإن الإنجليز لم يراعوا في تشكيلها مصلحة الرعيّة و إنما وضعوا في



جوهرها ما يضيق عليها سبل المعاملة إخمادًا لنفوسها لينالوا حظهم من السيادة عليها و لم يعلموا أن بخس الحقوق من أشد موجبات العقوق، و فى الأمثال العربية: (زر كلبك للطاق يأكلك) أى ضيق عليه. أما الفلاحون فأحوالهم سيئة، ضيق و ضنك و فقر و إعدام مما يفتت الأكباد و يذيب القلوب و يفطر الجماد، الحكومة مضطرة لطلب الأموال و ملجأه إلى تكليف الفلاحين بدع ما عليهم، و الأجانب قائمون على اقتضاء ديونهم منهم و الكساد و رخص أسعار الحبوب و ثمرات الزراعة لم يجعل فى المحصولات وفاء بضرورات المعيشة فضلا عن أداء المطلوبات، فكيلة القمح بستة قروش و الذرة بأربعة و على هذا يقاس. و من ثم تسمع كل يوم تنعاب أغربة الدالين فى فناء ديوان الحقانية على خراب بيوت الفلاحين، هذا ينادى على بيع أراضيه بأسرها و هذا ينعق عليه بمبيع بعضها، و الآخر بالحجر على أملاكه و الحكومة لا تنى فى طلب ضرائبها قبل أوان المحصولات، أما أحوال المدن فليست بأسعد من أحوال الأرياف خصوصا من تعديات الأجانب على سكانها، فالمنازعات و المخاصمات بين الأجانب و الوطنيين يقضى فيها على الوطنى بالتغريم و الجزاء و لا يؤخذ على الأجنبى فى شىء و إن كان هو المعتدى، و إن سأل الوطنى أين خصمى فيقال له إنه يحاكم فى محل آخر مع أنه لم يذهب إلى مقام المحاكمة رأسا و اكتفى فى فصل الدعوى بأحد الخصمين و هو طرز من الحكم جديد. هذا بعض آثار العدالة الإنجليزية، و جاء فى خبر صديقنا هذا رواية كثير من المظالم التى أصيب بها أهل القرى من جراء التداخل الإنجليزي فى إدارات الحكومة ضربنا عن ذكرها رعاية لجانب الاختصار بعد وضوحها عند أولى الأمر من المصريين. أما الأمن فلم يبق له أثر و أما النظام قد انقض بناؤه و اقتلع أساسه و اختزن الإنجليزي أنقاضه فى خزائن الآثار القديمة فقويت عصابات اللصوص و جاهروا بالنهب و السلب و هذا خبر تؤكد روايات الجرائد الوطنية عربية و إفرنجية، فإن جميعها يشتكى الممل و السامة من رواية أخبار السوء كان يوم. إلا أن من غريب الوقائع هجوم لفيف من السارقين على قرية نشرت و نواحيها من مديرية الغربية و قتلهم واحداً و أربعين رجلا، فإن خبر هذه الواقعة إن صح كان دليلا على بلوغ الاختلال إلى درجة فوق ما كنا نتصور، نسأل الله السلامة كما نسأله إبدال عسر المصريين باليسر و هو على كل شىء قدير.

### أخبار سياسية

قبلت الحكومة الفرنسية أن تدخل فى المؤتمر لكن على شرط أن لا تذهب إليه مغلوله اليدين غضية الطرفين، و أن لا بد قبل ذهابها إليه من مخابرة بينها و بين إنجلترا فيما يلزم أن يكون موضوع البحث فى ذلك المؤتمر. و قد أجمع السياسيون فى فرنسا على ضرورة امتداد البحث إلى ماوراء المالية من إدارة البلاد المصرية و إقرار الراحة فيها.

الجرائد الإنجليزية تظهر خوفها من تشديد فرنسا و تستنجد أوروبا و ترى أن تدخل الدول جميعها فى مصر و إقامة مراقبة دولية لحكومتها لا تمتاز فيها دولة من دولة خير من مداخلة فرنسا

وحدها مع إنجلترا، و إن عارضت ذلك جريدة التايمس وحدها. و فى بعض الجرائد الروسية أن إنجلترا لا يمكنها أن تضع حمايتها على مصر لظهورها عجزها عن إدارة البلاد بعد احتلالها سنتين و هى مطلقه التصرف لا مزاحم لها، و بعد العجز لجأت إلى دول أوروبا. أما دولة فرنسا فلا يهمها إعادة المراقبة المشتركة بين الدولتين ولكن يهمها أن لا تخص إنجلترا بالامتياز فى مصر.

ذكرت كثير من الجرائد الألمانية نقلا عن مصدر يوثق به أن الباب العالى لم يقبل الاشتراك فى المؤتمر إلا على شرط أن تكون المداولة فيه غير واقفه عند حد المالىة بل من اللازم أن يكون موضوع نظره لائحة جرانفيل المرسله إلى الدول فى يناير سنه ١٨٨٣ (عندما كان دوفرين فى القاهره). و على هذا فالدولة العثمانية تطلب النظر فى المسأله المصريه بجميع فروعها لاتصال بعض أجزائها ببعض، و فى جريده الثان أن الباب العالى بعد مخابره الدول و الاتفاق معها خصوصا دولة فرنسا أرسل تلغرافا إلى موزوروس باشا السفير العثمانى فى لندن بأنه مستعد لقبول المؤتمر على شرط أن يكون بحثه فى الشئون المالىة و السياسيه و الإداريه.

فى جريده (جازيت ناسيونال) الألمانية أن سير فرنسا فى المسأله المصريه موافق لسير جميع الدول لا سيما ألمانيا، و قالت إن إنجلترا أصبحت منفردة و هذا مما لا يسر ألمانيا. استفيد من خطاب المستر جلاستون فى مجلس البر لمان أن لنواب الدول عند اجتماعهم أن يبحثوا فيما سوى المسأله المالىة إن أرادت الدول ذلك و إن كان هذا يناقض ما صرح به جرانفيل فى جلسه أخرى، و لما سئل جرانفيل عن هذا التناقض أعرض عن الجواب و قال إن الحكومه مستعدة لإنقاذ چوردون (هذا مما يضحك).

أخبار السودان تشعر بالشده فقد أخبر الحاكم فى دنقلا أن رسلا بعثوا إلى الخرطوم فعادوا و لم يتمكنوا من الوصول و قالوا إن الثائرين محدقون بچوردون من جميع الجهات. فى برقيه من القاهره إن الثائرين مجتمعون فى عيون أبى سعيد على القرب من أسوان و إن زعماء جيش محمد أحمد طلبوا من حاميته دنقلا أن تسلّم بعد ثلاثه أيام و إلا فتكوابهم.

جرت مشاجره بين بعض العساكر الإنجليزيه و بين العربان النازلين على شواطىء بحيره مريوط و قتل فيها عدّه أشخاص.

الأخبار متواتره بأن عثمان دجمه يحاول الهجوم على سواكن و ينازل بعض القبائل التى لم تدعن لدعوه محمد أحمد على القرب من طمانيب.

المستر جلاستون وعد بأن يرسل جيشا إلى السودان لكن لا بد من مراعاة الفصول و الأهويه ثم أظهر تجافيه عن حرب السودانيين الذين يدافعون عن حريتهم و بلادهم.

### المسأله المصريه دوليه

إنا أنذرنا الإنجليز خطراً قريباً على الهند و نهبنا فى أول عدد صدر من جريدتنا على أن تفيؤ التركمان فى مرو لظل الحكومه الروسيه باختيارهم ربما يحمل تركمان سرخس على الاقتداء بهم، و أشرنا إلى ما يتبع ذلك مما عاقبته نكال على الإنجليز، و اليوم وقع ما توقعناه فاستولت روسيا على سرخس و تاخمت بحدودها حكومه الأفغان و ارتعدت فرائص الإنجليز و غشيهم الفزع و القلق و أعولت جرائدهم نحيباً ورددت نسيجاً و أحست بقرب الأجل و لم يسكن روعهم ما ذكرته جريده پترسبيرج الشبيهه بالرسميه من أن سرخس اسم يشترك بين مدينتين قديمه و حديثه و إنما دخل فى حوزة الروس، أولاهما فإن الإنجليز يعلمون أن المدينتين متصلتان لا يفصلهما إلا ترعه صغيرة (نهر تجند) عرضها عشره أذرع بالتقريب، على أن سرخس التى حكم مهندسو حرب الإنجليز أنها باب الهند من طرف الشمال و أنها ممر فاتحيه من زمان قديم و من طريقها طرق الهند إسكندر الأكبر و نادرشاه الإيراني، و أن وصول الروس إليها مما يخرق سياج الهند إنما هى سرخس القديمه. و مما زاد الإنجليز فزعاً و اضطراباً أن التركمان النازلين بتلك المدينه و ما يليها هم الذين عرضوا أنفسهم على حكومه الروس طوعاً و اختياراً و بعثوا و فداً منهم لينوب عنهم فى عرض خضوعهم على البرنس دوندكوف حاكم ما وراء بحر الخزر من الولايات الروسيه و وصل الوفد إلى عشقباد و أقام بها ينتظر قدوم البرنس إليها.

وقع الإنجليز الآن بين شرين عظيمين: خطر عاجل و حتف آجل، أما الثانى، فهو أن روسيا إما أن تتحد مع الأفغانيين و تحالفهم على مطارده الإنجليز، و هو الأقرب المتوقع فتصير معهم يداً واحده على هدم أركان الحكومه الهنديه الإنجليزيه، وليس بخاف ما يضممر. كل أفغانى لكل انجليزى من الحقد و الضغينه و الأفغانيون قوم حرب يناطحون الموت بنواصيهم فكيف إن وجدوا مساعداً قويا. و إما أن تميل حكومه الأفغان إلى الإنجليز وهو من فرض المحال فما أسرع أن تنتشب مقاتلات بين القبائل المختلفه ممن تحت حكومه الأفغان مثل جمشيدى و فيروزكوهى و بين قبائل التركمان المتاخمين لهم و يعقبها حرب بين الروس و الإنجليز لأن كلا من الدولتين مضطر للمدافعه عن حليفه، بل للروس حق المناضله عن رعاياها التركمان، فإذا زحف الروس إلى الأراضى الأفغانيه تقطعت حبال حين الإنجليز و امتنعت عليهم وسائل الدفاع و هذا آخر حياتهم فى الهند.

و أما الخطر العاجل فهو أن سماع الهنديين بخبر استيلاء الروس على سرخس يوقد فيهم نار ثوره يلتمسون فى أضوائها طريقاً للخلاص من الضيق و الضنك الذى شملهم، و سبيلاً للنجاه من الويل الذى جلبته عليهم مظالم الإنجليز هذا يكون كما اشتعل لهيب الفتنة سنة ١٨٦٠ عندما وصل اليه الهنديين خبر استيلاء ناصرالدين شاه الإيراني على هراه، بل انتفاض الهند على الانجليز فى هذه الأيام أقرب فإن خواطر المسلمين من سكانه فى هياج شديد بما شاع بينهم من دعوه محمد أحمد

السودانى بل بما يمكن فى أهوائهم من الميل إلى تصديقه و إن لهذه الدعوة حملة عن الهند لا يقاومها تدابير دولة بريطانيا.

تريد دولة إنجلترا أن تصد المسلمين عن حج بيت الله الحرام فى هذا العام و ربما فيما بعده حتى لا تصل أخبار محمد أحمد و تورط الإنجليز فى مقاومته إلى مسامع الهنديين ولكن سيحمل هذه الأخبار إلى تلك الأقطار حجاج الأفغانيين و البلوجيين الذين يسلكون إلى الحج طريق البصرة و الكويت، بل يبلغونها على وجه أبلغ مما لو سمعوها بأذانهم.

هذا تأييد إلهى للدولة العثمانية فعليها أن تنهض بعزيمة صادقة و جأش ثابت وهمة تليق بمكانتها فى المغلوب، و على السلطان العثماني أن يتذكر أنه خلف لأولئك الأسلاف العظام الذين ما أضعوا حقاً و لا أهملوا فرضاً و يقتضى من الإنجليز حقه و يسترد مصر من أيديهم و يطهرها من جرائم الفساد و لا يقنع بما دون الحق و لا يدع لهم فيها شيئاً إلا بما يساوون فيه غيرهم من الدول، و لا تفوتن العثمانيين فرصة هذا الارتباك الذى سقط فيه الإنجليز كما فات الإيرانيين الانتفاع بثورة الهند فى الأيام الماضية لتأخر خبر الثورة عنهم و إلا لكانوا أوقعوا بالإنجليز و نالوا الغاية من ضرهم. على العثمانيين أن يتلافوا الأمر قبل أن يشب الإنجليز حرباً صليبية بين الحبش و المسلمين على نفقة الحكومة المصرية، ليس للدولة العثمانية أن تتهاون فى مطالبها أو تتحاشى الدفاع عن حقوقها الثابتة و لا أن تخشى فى ذلك تهويل الإنجليز و جلبتهم فإن كثيراً من الدول على اختلاف مقاصدها السياسية يوافقونها على تخليص مصر من مخالب الإنجليز كما دلت عليه منشورات الجرائد و رواياتها عن مقاصد السياسيين من كل دولة. بل الذى يفهم من جملة مقالاتهم أنه لا توجد دولة من الدول ترضى بأن يكون المؤتمر وسيلة لاستيلاء الإنجليز على مصر أو وضعها تحت حمايتهم خصوصاً دولة فرنسا و دولة الروس. و إليك طرفاً من آراء الجرائد و ما تنقله عن السياسيين. قال مراسل التايمس فى باريس: إن فرنسا لم تقبل و لن تقبل أن يكون بحث المؤتمر منحصراً فى المسائل المالية، و لقد أصابت فرنسا فى عدولها عن طلب المراقبة المشتركة بينها و بين إنجلترا و رغبتها فى مراقبة يشترك فيها جميع الدول، فإن فى ذلك فوائد عظيمة لها و لغيرها و لا أظن أن حكومة إنجلترا وافقت على ما ترغب فرنسا كما لا أظن أن فرنسا تتساهل فيما تريد، و على هذا فإما أن يعقد المؤتمر و لا تكون مداولاته مقصورة على مشكلات المالية و إما لا يلتزم أصلاً. و لا أمل لإنجلترا إلا فى التستر تحت حيلتها و هى أن ترغب إلى الدول عقد مؤتمرين متعاقبين أولهما للمالية و بعده يعقد الثانى للنظر فيما لم ينظر فيه الأول، و قال مراسل الديلى، تلغراف فى ويانا: إن خطاب المستر جلاستون الذى ألقاه فى مجلس النواب حرك دول ألمانيا و النمسا و إيطاليا للاتفاق فى المسألة المصرية، فصرحت جميعها بأن مصالحها فى مصر تقضى عليها العمل فى حل هذه المسألة و ليس من سياسة واحدة منها أن تنتظر زمناً طويلاً بعد ما مضى من الحوادث مع ما يتوقع نزوله

بمصر من النكبات و استقر رأى الدول الثلاث على المداخله فى وقتها المناسب و قد انحلت ثققتها فى مسلك الوزارة الإنجليزیه.

وورد من قيينا إلى جريده التان الفرنسيه الشبيهه بالرسميه من مكاتبتها برقيه قال فيها إنه اجتمع مع رجال عظام فى تلك المدينه و استطلع أفكارهم فى المسأله المصريه، فإذا هم متباينون فى الرأى، فمن ظن بعضهم أن الواجب على دوله النمسا أن تأخذ جانبًا عن هذه المسأله و توسع المجال لدوله إيطاليا فإنها إن فعلت ذلك أرضت إيطاليا بدون أن يلحق ضرر بمصلحتها و وافقت رغائب ألمانيا، و من رأى بعضهم أن حكومتهم لا يسوغ لها التخلي عن رعايه مصالحها فى مصر مرضاه لإيطاليا، بل لا يمكنها هذا و قد أخطأ من يظن أن ليس للنمسا منافع فى البلاد المصريه. ثم قال الكاتب: تلاقت مع رجل سياسى له شهره بحريه الفكر و إصابه الرأى، فمن كلامه إن دله ألمانيا ربما تجعل المسأله المصريه وسيله لمرضاة الإيطاليين بأن تعد لهم فيها مقامًا رفيعًا لأن ألمانيا ليس لها قوة بحريه و لا يههما ما يجرى فى البحر الأبيض إلا بطريق العرض. أما النمسا فإن لها فى ذلك البحر مركزًا مهمًا فحالها من هذه الجهه يخالف حال ألمانيا، على أن حركات السياسه البريه لا بد أن تقذف بها إلى ذلك البحر و هو مما يزيدا حرصًا على تعزيز جانبها فيه و ليست المسأله المصريه إلا مسأله البحر الأبيض فمن له فيه. شأن يراعيه فله الشأن فى المسأله المصريه، و على حسب درجه الأول تكون درجه الثانى. ثم أطال الكلام فى بيان المنافسه السياسيه بين دوله النمسا و إيطاليا و ما يطمح إليه نظر كل منهما، غير أن هذا ليس مما يمنع الدولتين عن الاتفاق فى معارضه الإنجليز و خفض منزلتهم فى مصر و البحر الأبيض. أما جرائد فرنسا و رجال سياستها فعلى رأى واحد فى وجوب تحويل المسأله المصريه عن وجه كونها إنجليزيه إلى وجه كونها دوليه أوروبيه و ارتاحت لهذا نفوس الدول و مالت إليه أفكارهم. نسأل الله حسن العاقبه و إليه المصير.

### العروه الوثقى

#### مصادرتها فى مصر و الهند و فرض غرامه على قرائها!!

انعقد مجلس الوزراء المصرى فى القاهره واهتم بالبحث فى شأن (العروه الوثقى) ثم أصدر قراره إلى وزاره الداخليه المصريه قاضيًا عليها بأن تشدد فى منع هذه الجريده من دخول الأقطار المصريه و تراقب جولاتها فى تلك الديار. فصدر أمر الداخليه إلى إدارة عموم البريد يلزمها بالدقه فى ذلك، و بلغنا أن الجريده الرسميه بعد نشرها صورة الأوامر، أعلنت أن كل من توجد عنده العروه الوثقى يغرم مبلغًا من خمس جنيهات مصريه إلى خمس و عشرين جنيهاً (و هى غرامه جسيمه ربما دعا إليها عسر الماليه المصريه ببركه تصرف الإنجليز فى مصر!!). أما نحن فلا نظن أحدًا من الوزراء المصريين له رأى اختيارى فى هذا القرار، بل لا نتوهم فى المستوى على كرسى الخديويه ميلا إلى

مثل هذا الحكم و لا يختلج فى صدورنا أن مصريا من أى مشرب كان سواء المسلم أو غير المسلم منهم، بل و لا شرقيا ممن يسكن تلك البلاد يرى فيه جانبًا من العدل.

هذه جريدة قامت بالدفاع عن المصريين و الاستنجد لهم، و لها سعى، بل كان السعى لخيبة آمال أعدائهم و لا ترى من مشربها مدح زيد و لا القدح فى عمرو، فإن المقصد أعلى و أرفع من هذا و إنما عملها سكب مياه النصيح على لهب الضغائن لتتلاقى قلوب الشرقيين عمومًا على الصفاء و الوداد. تلتمس من أبناء الأمم الشرقية أن يلقوا سلاح التنازع بينهم و يأخذوا حذرهم و أسلحتهم لدفع الضواري التي فغرت أفواها لالتهامهم. و من رأيها أن الأشغال بداخل البيت إنما يكون بعد الأمن من طروق التأهب. هذا منهاج العروة الوثقى علمه كل مطلع على ما نشر فيها من يوم نشأتها إلى الآن فكيف يخطر ببال عاقل أن شرقيا مسلمًا أو غير مسلم يميل لحجبها عن دياره؟! ولكننا نعلم أن حركات الأمرين فى القطر المصرى هذه الأيام قهريه لا يخالطها شىء من الاختيار، و المدير لرحى القهر عليهم هم عمال الإنجليز.

و لا نريد أن نقول للإنجليز إنهم ظلموا فى الحكم، فإن الجريدة لم يوجد فيها إلى الآن ما يزيد على ما تنشره الجرائد الوطنية و الأجنبية من كشف مساتيرهم و بيان الرزايا التي أصيبت بها الديار المصرية من حلولهم، لأنهم - الإنجليز - الذين أحسوا بشهره عالم من علماء المسلمين فى الهند و إقبال الناس عليه بالاعتبار أسرعوا بجلبه إلى ديوان الشرطة (الضبطية) فعند وصوله إليها يفتح له الضابط مصحف قرآن أو كتاب حديث من الكتب المشهورة ثم يشير إلى آية من آيات الجهاد أو حديث مما يدعو إليه و يسأله: هل أنت معتقد بهذه الآية أو الحديث؟ فإذا قال نعم قال له فبناء على ذلك يكون من رأيك وجوب الجهاد فينا، فإذا أجابه: إننى درویش ملازم العزلة على الناس و ليس اعتقادى بهذا إلا لأنه كتاب دينى ضرب له الضابط أجل أربعة أيام أو أقل يبين فيها رأيه فى الآية أو الحديث فإن مضى الأجل و لم يحرف العالم دينه و لم يبدل عقيدته و لم يبادر بإرسال تحريفه و تبديله و خروجه عن دينه إلى مطبعة من المطابع لطبع و ينشر، بعثت به الحكومة إلى جزيرة أندومان نفيًا مؤبدًا.

و لو رأيت تلك الجزيرة لرأيتها غاصة بأمثال هؤلاء المظلومين، فدولة الإنجليز التي تحاسب رعاياها المسلمين على خطرات قلوبهم و ما يمكن أن يهجس فى حديث نفوسهم لا ريب أنها تعد وجود لفظ الإسلام فى جريدة كافيًا لمنعها عن الدخول إلى بلاد لها فيها قدم ثابت أو تسعى فى تثبيتته، بل تحسب أن من ألد أعدائها شخصًا علق هذا الاسم من أى جنس كان. فلا غرابه فى صدور مثل هذه الجور منها غير أننا نعلن لها أن همم الرجال لا تقعدا أمثال هذه المظالم و ليس يعجزنا إدخال هذه الجريدة فى كل بقعة تحوطها السلطة الإنجليزية الظالمة، ذلك بعزائم أولى العزم الذين قاموا بإنشاء العروة الوثقى.

بلغنا أن بعضاً من الناس يسل سيفه و يشحذ سنامه لمناضلة الولى الحميم، و يقابل ثناءه بالذم و مدحه بالقدح و إحسانه بالإساءة، و يواجه نصيحته بالظن، و لا نظن أن هذا منه عن عمد و لا إغراء عدوه، و إنما هو لشبهه حجت نظره عن درك الحقيقة، فإذا كشفت له الأيام عن الواقع رجع إلى الندم على ما صدر منه و كانت له مثابة إلى الحق و ركون إلى الصواب.

لا يحزنن أهل الحق القائمون بأمر هذه الجريدة على ما صدر عن الحكومة المصرية من منع العروة الوثقى من دخول القطر المصرى، و ليعلموا أن الحكومة المصرية لا دخل لها فى هذا المنع. فإن حكومة شرقية لا تسمح لها غيرتها بمنع جريدة لا شىء فيها سوى الدفاع عن الشرقيين و إنما منشؤه حكومة إنجلترا و شأنها معلوم عند كل عارف بأحوالها.

### تصرف الإنجليز فى الهند

لا أريد بما أكتب فى هذا المقال القصير تغيير قلوب المصريين من سلطة الإنجليز فإن لى يقيناً بأن المصريين الذين أنبتهم أرض مصر لا يدعون لولاية الإنجليز؛ عليهم، بل يعارضونها بأرواحهم و أموالهم و لهم من الغيرة الدينية و الوطنية ما يحملهم على ذلك، و إن رأوا من عدلها ما لا يصل إليه إنصاف أنوشروان، و يفضلون ولاية مواطنيهم و إن مسهم منها أنكى ما يكون من الحيف اللهم إلا قليل ممن فسدت أخلاقهم و انتكست طباعهم و قليل ما هم، و إنما القصد كشف ما تدعيه هذه الدولة العظيمة من العدالة و ما تختص به نفسها من الوصاية على نوع الإنسان.

إذا أشرف السائر على أى بقعة من البقاع الهندية الواسعة شخص بصره و دهش لبه بما يراه من آثار عناية الله بتلك البقاع و ما منحتها من الخصب الطبيعى، حتى أن الأحجار الصلدة لتتشق عن الأشجار الضخمة العالية الأغصان المورقة الأفنان، تظل الواحدة منها امتداداً واسعاً من الأرض و كأن أديم الأرض بما استوى عليه من أنواع النباتات قد بسط عليه بساط من السندس الأخضر فيخيل للناظر أن سكنه هذه الأراضى فى خفض من العيش وسعة من الرزق بل يظنهم أسعد من عمر الغبراء، ولكنه إذا تجاوز السهول و الأدوية إلى المدن و القرى ضاق صدره و تفر قلبه من مناظر سكانها. يرى آلاف مؤلفة يعبرون فى الشوارع و الأزقة جيئة و ذهاباً حفاة عراة بادية سواتهم، كاسفة أحوالهم، لا يجدون رمة من العيش. يلتمس الواحد منهم عملاً من الأعمال الشاقة يقضى فيه نهاره و بعض ليله ليصيب من الأجر عليه ثلاث فرنكات فى الشهر بل فرنكين و نصفاً و لا يتيسر له. و يرى هذه الحال عامة حتى فى المدن التى بسواحل البحر على كثرة الأشغال التجارية فيها. و يشتد به العجب عند المقابلة بين خصب التربة و جودة المنابت و سوء حالة القائمين عليها، و يحكم حكماً لا ريبه فيه بأن إدارة الحكومة الإنجليزية (حامية النوع الإنسانى) هى التى حرمت أولئك المساكين من التمتع بما آتاهم الله من فضله. إذا سأل عن حال كثير من أولئك المعدمين الذين لا يملكون نقيراً و لا قظميراً، فربما يقف على أنهم كانوا من أرباب الثروة الواسعة و المقدره السامية و كانوا يسكنون

القصور العالية ثم أصبحوا يأوون إلى خصاص بل أفاص. إذا انتقل الفكر للبحث عن السبب أوصله النظر إلى أسباب كثيرة يرجع جميعها لتصرف الحكومة الإنجليزية و أشدها ظهوراً و فرة الإتوات (خرج الأراضي) و ثقل الضرائب على كواهل الأهالي، فإن الحكومة قد فرضت على العالمين فى زراعاتهم و لم تجعل الأداء على حسب ما تجود به الأرض كل عام بقدره ولكنها خرصت (حزرت) ما تأتى به كل أرض على درجتها من الخصب و قدرت مبلغاً معيناً تجيبه من العامل فى الأرض سواء سلم زرعه من الآفات أو اجتاحتها الجوائح. و قد يستغرق مطلوب الحكومة جميع المحصول بل يزيد عنه و أداؤه حتم لا تردد فيه على أى حال، هذا فضلا عن الرسوم المختلفة التى لا حد لها و لا نهاية و تعرف عندهم (بالتكس) أى الرسوم غير الثابتة أو غير المحدودة، و ربما أتينا على بيانها مع بيان سائر الأعمال بالتفصيل فيما بعد.

فى هذا المقام تذكرت شيئاً قد يخطر بالبال، رب غنى فى مصر يملك مزارع واسعة و إقطاعات كثيرة (أبعاديات و جفالك) فير كن إلى ما تفيض عليه من الرزق و يطمئن قلبه من جهة معيشته و معيشة أبنائه من بعده فيستوى عنده أجناس الحاكمين و لا يبالي بولاية الإنجليز على بلاده حيث سلم له قوته، و هنا أشير إلى طرف مما يعامل به الإنجليز أمثاله فى الهند لتكون له عبرة. أراد الإنجليز أن لا يكون لغيرهم يد على ملك واسع فيما تحت سلطتهم فضربوا على أرباب الإقطاعات رسوماً زائدة يؤدونها عن أراضيهم فى أوقات محدودة ثم وضعوا فى قانون الزراعة أنه لا يجوز للمالك أن يقيم الدعوى على مزارعيه إذا تاخروا عن تأديته ما شرط عليهم إلا بعد مضى ثلاث سنوات من وقوع موضوع الدعوى، و إذا خان المزارعون أو أهملوا فى أعمالهم أو استأثروا بمحصولات الزراعة فلا يمكن لصاحب الملك أن يخاصمهم فى مجالس القضاء إلا بعد مضى تلك المدة، إلا أنه يؤدى ما عليه للحكومة فى أوقاته رغم أنفه و إن لم يؤد إليه العاملون له شيئاً. و فى قانون المرافعات عندهم أنه إذا مضى على موضوع الدعوى ثلاث سنوات لم تحصل فى أثنائها إقامة الدعوى فلا تسمع. فهذا يحمل العاملين فى الزراعة على الإضرار بأرباب الأملاك و لا سبيل لهؤلاء إلى استخلاص حقوقهم من أولئك، و الحكومة لا تترك من فريضة شيئاً و لا تتساهل فى طلب أدائها بوجه فيضطر الملاك للتنازل عن أراضيهم للحكومة الإنجليزية (العادلة)، هذه أعمال من تأخذه ريبه فى خبرها فليسأل الهندين عنها. و إن الجرائد الإنجليزية فى الهند تنادى على حكومتها الهندية دائماً بوجود التخفيف فى الوطأة و الرفق فى السطوة و تذررها بأن الأعمال الإدارية و المالية لو دامت على نمطها هذا لا يمضى قليل من السنين حتى يشتد الضيق و الضنك فى عموم الأقطار الهندية و يضطر الأهالي لإصلاء فتنة عمومية لا طاقة لدولة بريطانيا بإطفائها ولكن لا يسمع الصم الدعاء.

### نصيحة فى الأدب



إذا صادفت ظالمًا أو قابلت فاجرًا فلا تقل له أنت ظالم أو فاجر!!

وردت إلينا من حضرة الفاضل مولوى عبدالغفور شهباز بمدينة كلكتا و هذا نصها:

ليس الأدب كما يظن بعض الناس مجموعة قصص تتلى للفكاهة أو أساطير تنقل فى المسامرات أو منظوم من القريض يمتاز بحسن الاستعارة ورقه التشبيه مع مراعاة المحسنات اللفظية و المعنوية من التورية و الجناسات و نحوها من فنون البديع أو منشآت و رسائل تتضمن إطراء فى المدح أو مغالاة فى القدر، فإن جميع هذا بمجردة لا يتصل بمعنى من معانى الأدب، و إنما الأدب فى كل أمة هو الفن الذى يقصد به تهذيب عاداتها و تلطيف إحساسها و تنبهها إلى خيرها لتجتلبه و إلى ما يخشى من الشر فتجتنبه، فالأدباء فى الحقيقة هم ساسة أخلاق الأمم بل هم أجنحتها نظير بهم إلى ذروة فلاحها، فإنهم بما يعلمون من طرق التفهيم يمكنهم أن يقربوا إلى العقول ما يبعد عن إدراكها و يسهلوا على الأذهان ما يعسر عليها النظر فيه و يعبروا عن المعنى الواحد بالطرق المختلفة فتستفيد منه العامة و لا تنكره الخاصة.

فيأخذون على الظالم ظلمه و يعظونه بسوء عواقب الظلم، و ينكرون على الفاجر فجوره و يحذرونه مغبة الفجور حتى يردوا كلا عن غيه بما يرضون من طبعه بدون أن يقولوا له إنك ظالم أو فاجر!! و إذا رأوا فى أمتهم عوائد يأبأها سليم الذوق أو وجدوا منها أخلاقا و أعمالا لا تنطبق على شريعة الفضل و قوانين الشرع عمدوا إلى تغيير العوائد و تطهير الأعراق و أخذوا فى ذلك سبلا متنوعة فى إنشائهم تارة بالقصص و الحكايات التى تمثل شناعة الرذيلة و بهاء الفضيلة و ما آل إليه أمر المتدنيين بالأولى و ما ارتقى إليه حال المتحلين بالثانية، و تارة بقريض الشعر يخيلون فيه ما يحرك الهمم و يبعث الأفكار و ينبه خواطر الكمال و إحساسات الشرف الصحيح، لا ما يوقظ الشهوة و يقوى الغرور و يخرج الأنفس عن أطوارها. و الأخذ به من وجهه و الدخول إليه من بابه هو الذى صعدت به الهند الأولى إلى أوج المجد و بلغ به العرب أقصى غايات الرفعة و هو الذى وصل بالأمم الأوروبية إلى ما وصلوا إليه مما لا يخفى على كل ذى بصيرة، و إنا نتأسف على ما نراه من أدباء المسلمين و شعرائهم، فإنهم يقصرون منشآتهم و أشعارهم على ما يكون عدا للصفات، إما مذمومة و إما محمودة و نسبتها إلى شخص يريد ذمه أو مدحه، و يحصرون رواياتهم فى حكايات مضحكة و قصص هزلية و بعض تواريخ ماضية بدون أن يلاحظوا تأثير ما يكتبون و ما ينقلون فى أفكار الأمة و أطوارها. و رجاؤنا فيهم أن يسلكوا مسالك أدباء الأمم المتقدمة أو المعاصرة لهم حتى يكون للأمة الإسلامية نصيب من فوائد ذكائهم و فطنتهم وسعة بيانهم و طلاقة ألسنتهم، و أن يأخذوا فى منشآتهم و أشعارهم طريقاً ينهضون فيه الهمم الخاملة و يحركون القلوب الجامدة و يحيون مكارم الشيم و يوردون الأمة مورد سابقها من الأمم، و إنا نرى بداية هذا المنهج الجديد فى بلادنا و نسأل الله حسن ختامه.

## أخبار سياسية

صرح اللورد جرانفيل في مجلس اللوردات بأنه ورد للحكومة الإنجليزية أخبار عن الجنرال چوردون، إلا أنه كتمها عن المجلس و لم يطلعها عليها و مع هذا فإنها مهملة من التاريخ، و لم يعهد أن مأموراً سياسياً لدولة عظيمة يخبر وزراء دولته بلا تاريخ و لعل ما ألفه الوزراء البريطانيون من التمويه على الشرقيين أصبح عادة تجرى بينهم حتى على أبناء جنسهم و فى مجالسهم العالية.

وردت أخبار إلى (الدليلى نيوز) مفادها أن جميع القرى فى شمال بربر إلى مراوى جاهرت بالثورة و انقطع الطريق إلى بربر، و فى خبر آخر أن من الظنون ميل مدير دنقلا إلى منابذة الحكومة، فقد كان يطلب من أيام مدداً يستعين به على إخلاء المدينة و إنقاذ حاميتها. و اليوم يأبى الخروج منها بل يطلب أن تبعث إليه نجدة يفتح بها البلاد السودانية فتحا جديداً، ثم استبد بما لم يكن من حدود وظيفته، فأرسل بعض ضابط الباشبوق<sup>(١٣)</sup> إلى وادى حلفا ليأتيه ببعض الذخائر و الآلات الحربية و نال رسله ألف بندقية و أربعمئة ألف فشك و نهبوا مخازن الحكومة و أحضروا معهم عدداً من المدافع إلى دنقلا. و ربما يعاب على المدير إتيان مثل هذا العمل و يعد من باب الخيانة لحكومته المصرية، ولكن ماذا يصنع بعدما علم أن الحكومة المصرية خرجت عن كونها حكومة وطنية بتصرف الإنجليز فيها و أن حكامها أصبحوا لا يملكون من الأمر شيئاً، فإن صدق هذا المأمور فى خدمته فلا تكون فائدة الصدق إلا تثبيت قدم الإنجليز فى بلاده و تأييد ملكتهم عليها فيكون فى الحقيقة خيانة لوطنه و بخساً لحقوقه، فله العذر إذا انحاز إلى الفئة الثائرة مادام الإنجليز حكاماً فى مصر.

يقال إن محمد أحمد سارمن الأبيض لفتح دكاشيا أو الخرطوم و يغلب على الظن أن مسيره لفتح الخرطوم فإن حل بها حل ببربر و شندى مع هيجان القبائل فى الجهات الشمالية ترقبنا عاقبة هائلة أنذرنا بها و حذرنا منها مراراً عديدة.

من رأى أحد المراسلين لجريدة (الدليلى تلغراف) أن الجنرال چوردون سيقم فى الخرطوم إلى فيضان النيل، فإن لم تأتته نجدة يقوى بها على الفوز بنجاح مأموريته، لزمه أن يصعد على النيل الأبيض إلى خط الاستواء. و إنه يمكنه بعد ذلك أن يعمل أعمالاً عظيمة فى الأمم الإفريقية القاطنة فيما وراء خط الاستواء. ثم عقب كلامه بأمانى و أوهام لا تنقص عن أمانى چوردون عندما سار من القاهرة إلى الخرطوم.

فى برقية من أسوان إلى (الدليلى نيوز) أن ابن أخى حسن باشا خليفة و معه شخص آخر فرا من بربر و كانا منطلقين إلى جهة الشمال فاعتقلهما عرب روباتاب بالقرب من أبى حمد.

يقال إن الحكومة المصرية (أو الإنجليزية) تجتهد بوسعها للمحالفه مع قبائل العرب فى جنوب مصر ليكونوا لها عوناً على مدافعه سبل الفتنة إذا ارتفعت غواربها على حدود مصر الطبيعية. و لا نظن أن سعيها ينجح لدى العرب فإن ذمتهم و دينهم لا تسمح لهم بمساعدة الإنجليز فى تملك بلاد المسلمين.

أبى اللورد جرانفيل أن يرخص لنوبار باشا بالسفر إلى أوروبا مدة غيبه السير پارين فإن أصر نوبار باشا على طلب الرخصة فإن اللورد جرانفيل سيطلب من الخديو أن يستبدله برياض باشا أو شريف باشا.

هذا كله و الإنجليز لا يريدون أن تكون مصر تحت سيادتهم و لا يحبون أن يرفع عليها علم حمايتهم، و ليس يدري ما الغرض من السيادة و الحماية سوى التصرف فى الإدارات و التحكم فى أولياء الأمور. هذا وزير مصر الأكبر لا ينال رخصة سفر إلا بإذن من جرانفيل، و لا يأذن له و يرى أن له أمراً على الخديو باستيزار فلان، فإن لم تكن هذه سيادة فما هى السيادة!!

فى خبر أن الأميرال هفت وصل إلى أدوفا (من البلاد الحبشية)، و أسلفنا أنه كان فى نيته إغراء ملك الحبشة بإيقاد حرب صليبية يهلك بها أمم العالم فداء لشهوات الإنجليز، إلا أنه جاءت الأخبار بعد هذا أن الأميرال لم يصادف سعة من صدور الحبشيين و أن الملك يوحنا وقف على خديعة دولة إنجلترا و لم يظهر عناية بما أتى إليه الأميرال و لم يبعث لملاقاته أحداً بل أظهر الحبشيون غاية الخشونة فى معاملته الوفد الإنجليزي حتى أنهم امتنعوا عن بيع المأكولات لهم و قد ذكرت بعض الجرائد صورة المعاهدة التى يراد عقدها مع ملك الحبشة و لا يهمنا الآن ذكرها.

هجم جماعة من الثائرين على سواكن فى التاسع عشر من هذا الشهر وزحفوا إلى المدينة حتى صاروا على خمسين متراً من أسوارها ثم أطلقوا عليها النيران مدة ساعتين حتى أثر الرصاص فى كثير من البيوت و لم يتحرك جيش الحامية أدنى حركة لمدافعه هذا الهجوم العنيف. و يظهر من هذا أن انتصار الجنرال چراهام فى سواحل البحر الأحمر لم يكن له أثر و إنما هو قول يذكر و رواية تؤثر و أن غزواته لم تزد الثائرين إلا إقداماً.

كتب مراسل التان فى القاهرة أن لا صحة لما أشاعته الجرائد من القبض على مسيو أو كلى النائب الأيرلندى الذى حملته همته على السفر إلى الأبيض.

### فى التوانى الهلكة

هذا ما ساقته إليه الحوادث المصرية و هى مفتاح الكوارث الشرقية و فيها مغلقها. العظام من الدول فى يقظة لا سنة معها، و حركة لا فتور فيها، مفاوضات متواصلة بينها قبل انعقاد المؤتمر، و مجادلات متلاحقة يدأب فيها، السياسيون من كل أمه، بعضها بالمراسلة، و شىء منها بالمشافهة، كثرت خلوات السفراء من كل دولة مع وزراء الخارجية من سواها، يتغامزون، و يسرون

خلاف ما يعلنون، و يذهبون إلى ما لا يقصدون، و قد حملق كل بصره للآخر لعله يلمح من كان وجهه ما ينبىء عن مضمرة سره، و يصوب كل فكره إلى ما يريد الآخر من قوله، عسى أن لا يفوته شيء ربما يعتل به، و جل ما انصرفت إليه قواهم تمثل الرغائب، و تخييل المطامع، فى صور أبعدها عن الحقيقة، أقربها إلى الخيال، يعظمون الحقيق، و يحقرون العظيم، و يجسمون الموهوم، و يضلون عن المعلوم، و يقربون البعيد، و يبعدون القريب، يذهب كل بصاحبه إلى رياض من الأمانى باهرة الأنوار بزهور الآمال، و ما نبت بهارها إلا على حباتل من المكر، و فخاخ من الخديعة، حتى إذا راقه المنظر و خطا خطوة سقط من حيث لا يشعر. هذا يسهل صعبًا، و الآخر يوعر سهلاً، و كل يتبع لحاظ رصيفه إذا أحس منه لمحا لمقصده أبرز له ألوانًا من الفوائد الموهومة ليستلفته عن مرامه، و إذا شعر منه بفكر يوصله إلى ما يمسه، فتح عليه أبوابًا من الفزع ليزعجه عما يطلبه، و يشوش عليه سيره و يقطع سبيل فكره. منهم من يكسب الأصدقاء بمال غيره، و منهم من يستفيد الرفقاء بكف شره، و من الناس أقوام آخرون على غوارب أمواج الحوادث نائمون، تقذفهم كريمة و تتلفهم أخرى، و هم عنها غافلون. زلزلت بهم الأرض زلزالها، و دهمتهم الخطوب بأرزائها، و تواتت عليهم المزعجات، و تناولتهم عواصف المفزعات، و هم فى سكنة تخيل لناظرها أنهم على بساط الراحة مطمئنون، و المقبل على الفوز من هؤلاء و أولئك إنما هو أحزمهم رأيا و أثبتهم عزيمة و أشدهم بشئونه بصيرة.

يقول الإنجليز: إنا عدونا على الهند من زمان طويل فاغتصبناه و حقت لنا الملكية عليه بما هو مقرر فى شرائع القوة و قوانين التغلب. و أين ديارنا من هذا الملك العظيم فى شرقى آسيا. المسافات طويلة و الشقة بعيدة فلا بد أن يكون لنا فى كل مكان موطىء لأقدامنا لنحتفظ بأملاكنا، فلنا حق فى اغتصاب جل العالم لأجل الهند، خصوصًا القطر المصرى، فإن به السبيل التى لا يماثلها سبيل، و ليس لنا عنها غنى و كنا فى تطلع إليها من زمن قديم و كثيرًا ما تمسكنا بحبال من الوسائل إليها فرثت فى أبادينا بقوة حكام تلك البلاد حتى هيات لنا حوادث السنين الأخيرة ما أحلنا دارهم و أقرنا فى قرارهم. إنا ذهبنا لتقرير توفيق باشا و تثبيته على كرسى الخديوية المصرية، إلا أنه بقتال و نزال فلا تختلف صورته عن صورة الفتح، فلنا حق التملك فى تلك الأقطار و قد فهم الناس أن مسيرنا إلى مصر كان لغاية إقرارا الراحة و إزالة الاختلال و كأننا صرحنا بذلك عند عزمنا عليه، لكن الغرض الحقيقى إنما هو تأمين طريق الهند فتسنى لنا ما قصدنا بحلول عساكرنا فى وادى النيل، فثبتنا فيما أصبنا و ليس لنا أن نتركه بعد الوصول. و حيث إننا عقدنا العزم على البقاء فى مصر و أضربنا عن إخلائها لزمنا ضمانه الديون المصرية و حملها ثقيل على كواهلنا فعلى جميع الدول أن تمدنا بالمساعدة و تكون لنا عونًا على تنقيص الفوائد و لا نحب أن تكون مذاكرتها معنا إلا فى المالية خاصة، فإننا لا نرجو من مفاوضاتها فائدة. أما سائر الشئون فعلىنا تدبيرها و إلينا مصيرها. هذه أقوال

تصدر عن آمال يمدون أسبابها إلى برلين و يرجون أن تكون مواصلها و معاقدها فى تلك المدينة عاصمة الألمان.

أما البرنس بسمارك و هو مدير السياسة فى أوروبا و بيده زمامها فىرى أن هذه فرصة ينتهزها ليستفيد صديقاً و ينكى عدوا و ليست له علائق سياسية تحمله على المدافعة عن مصر و لا منافسة له مع الإنجليز تبعته على معاكستهم، بل له إليهم حاجة فى ضمهم إليه و إبعادهم عن فرنسا لتكون منفردة بين الدول لا حليف لها، وقد تكون له من صلة الإنجليز مآرب أخرى سوى قطع فرنسا من الحلفاء ينالها يوم لحاجة إليها و ما هو عنه بعيد، فماذا يضره إذا ادخر عوناً و أساء عدوا و النفقة على خزينة غيره؟ نعم ربما يظن أن بسمارك يمنعه عن مثل هذه المعاملة رعاية جانب حلفائه من النمسا و إيطاليا لما لهم من المصالح فى البحر الأبيض و يصعب عليه أن يصيب سياسته الجمع بين مرضاء إنجلترا لنيل مصافاتها و بين التمسك بعهوده مع ذوى حلفه، إلا أنه قد يسهل عليه التخلص من هذا المضيق بالإشارة إلى طرابلس الغرب و بلاد الأرنأوط و الإيماء إلى الأراضى البلقانية و سالونيك و يجلوها لأنظار معاهدية، فيسكن جأشهم و يطمئن خاطرهم فيستثبت بذلك موالاة الدولتين، و يقلم أظفار روسيا من أوروبا الشرقية و يضيع مصالح فرنسا فى بلاد المشرق عموماً و مصر خصوصاً و فى كل ذلك الربح له، و الخسارة على غيره، و ليست هذه أول فعلة فعلها بسمارك أو يفعلها فهى شرعته التى يرد إليها و يصدر عنها من يوم معاهدة برلين إلى هذا الوقت.

و فرنسا واقعة بين مراوغات الإنجليز و مكائد بسمارك، لها حقوق سابقة فى البلاد المصرية كاد يمحى أثرها بمداخله الإنجليز و بها حاجة شديدة لعلو الكلمة فى طريق منشآتها ببلاد الصين و البحر الهندى و مدغشقر. لهذا تبذل الجهد لإجلاء العساكر الإنجليزية عن مصر و تخفيض سلطة الإنجليز فيها و يوجد لها عون من دولة روسيا و لها من المنعة ما لو أيدته أفكار المصريين و آراء ذوى العزيمة من رجالهم و ميل أفئدتهم لمكبتها من تخليص مصر و انتزاعها من أيدي الإنجليز سعيًا فى حفظ مصالحها و وقاية حقوقها، و هذا مما يؤيد سياسة الدولة العثمانية و يشد عضدها فى مدافعة الإنجليز و مطاردتهم من بلادها للدولة العثمانية أن تظهر عزمها فى هذه الأوقات لتستنفذ ممالكها من طمع الطامعين و تعيد ولايتها على الأقطار المصرية خالصة لها من سلطة المعتدين، و أن جميع المسلمين ينتظرون منها الحذق فى هذه المسألة و لهم فيها الأمل القوى و الثقة الكاملة، و رجاؤهم أن لا تفوتهم هذه الفرصة بدون أن ينالوا بها حظهم من الغنيمة، و ليس على الدولة من بأس إذا طالبت الإنجليز برد حقوقها كافة، فإنهم بالنسبة إليها أضعف من أن يجاهروها بالعدوان، و إنا نكرر ما قلناه سابقاً من أن الإنجليز يستحيل عليهم أن يعلنوا على الدولة العثمانية حرباً خصوصاً فى هذه الأوقات التى أصبحت فيها دولة روسيا متاخمة لمملكة الأفغان، فإن أول إشاعة لهذه الحرب توعد لهيب الثورة فى عموم الممالك الهندية، و هذا جلى عند كل إنجليزى أن التغافل و الوهن ربما

يوسعان مجال الطمع فيفتح باب المسألة الشرقية أو يكون لها استعداد قريب، و ليس للمصريين في طورهم هذا أن يركنوا إلى من ليس من أبناء جلدتهم، فإن الثغرة التي تحمل على الحمية تكاد أن تكون منحصرة بحكم الطبيعة في أبناء الوطن فلا ترجى من غيرهم.

فعلى العقلاء من أهالي مصر أن يسارعوا إلى معاضدة الدولة العثمانية و الاتحاد معها على تخليص بلادهم مستعينين بأفكار الدولة التي تقضى عليها مصالحها بالسعى في إنقاذها و إعادة شأنها الأول و تحقيق ما يقال من أن مصر للمصريين.

و بالجملة فالأطماع فغرت أفواهها، و الأفكار في اضطراب شديد، و ظنون الناس شتى، فمن قائل إن المؤتمر لا ينعقد لتعسر الاتفاق بين فرنسا و إنجلترا على القواعد الأساسية للمداولة فيه، و من قائل إنه ينعقد على أن يضع مصر تحت حماية عموم الدول و يقرر إنشاء مراقبة دولية مع بقاء العساكر الإنجليزية مدة سنتين، و على أى حال فالرزية إنما تصيب الغافل، و السوء إنما يحيق بالمتساهل، و الجبان محروم من حقوقه و العامل بيد غيره خاسر، فعلى المصريين و الدولة العثمانية أن يظهرها الشهامة و الإقدام، و يرفعوا علم الهمة إبقاء لحياتهم، و صوناً لشرفهم، و الأمر لله يفعل ما يشاء.

#### منشور إنجليزي قديم

نشرت حكومة إنجلترا في الهند منشوراً منذ مائة و ثمانين سنة و هذا ترجمته:  
إذا وجدت في دوائر الحكومة وظيفه لا يقوم بها إنجليزي (أى لا تليق أن تكون بيد أحد من الجنس الشريف) و جب أن يعين فيها أحد الفارسيين الباقين على دين زرادشت (المجوس)، فإن لم يكن منهم مقتدر على القيام بها، أقيم فيها وثنى (عابد صنم)، فإن لم يكن من هؤلاء و لا هؤلاء من يؤدي عملها كلف بها مسلم، فليس للمسلمين في الهند حظ من وظائف الحكومة إلا ما يعافه المجوسى و الوثنى، و هذا هو عنوان محبة الإنجليز و هو برهان دعواهم أنهم أولياء المسلمين و أنصارهم، لا أكثر الله من أمثال هؤلاء الأولياء و الأنصار!!

#### إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار

كيف يمكن لقوة أجنبية تصول على أمه من الأمم أن تسود عليها و تستعبدها و تذللها للعمل في منافعها مع التخالف في الطباع و العوائد و الأفكار، و وجود المقاومة الطبيعية، فضلا عن الإرادية. إن الوحشة المتمكنة في نفس كل واحد من الأمم، و ظن كل فرد أنه في خطر على روحه و ماله إذا غلبه الغالبون، تحمله على المدافعة كما يدافع عن بيته و حريمه، فلا يتسنى للقوة المغيرة أن تذلل الأمة إلا بإفنائها عن آخرها، أو إفناء الأغلب حتى لا يبقى إلا العجزة و الزمنى<sup>(١٤)</sup>. هذا أمر طبيعي و حكم

بديهي متى كانت الغارة على الأمة، نعم يسهل للقوة الأجنبية أن تتغلب على أمة عظيمة بدون تناحر إن كان لهذه الأمة حاكم أو رئيس روحى تجتمع عليه قلوبها، و تدين له رقابها، لمنزلة له فى أفئدة أبنائها، و لمكان آبائه من الكرامة فى نفوسهم، فلا تحتاج القوة الغالبة إلا لإيقاع الرعب فى قلبه، فيجبن و يقبل ما تحكم به، أو نصب حباله الحيل له فتخدعه بالأمانى و الآمال، فيذعن لما تقضى به فإذا خضع للقوة الغربية خضعت الأمة تبعًا له. و لهذا ترى طلاب الفتح و بغاة الغلب ينصبون قبل سوق الجيوش و قواد الجنود على قلوب الأمراء و أرباب السيادة فى الأمة التى يريدون التغلب عليها فيخلعونها بالتهديد و التخويف، أو يملكونها بالخدعة و تزيين الأمانى، فينالون بغيتهم و يأخذون أراضى الأمم، و هذا الطريق هو الذى سلكه الإنجليز مع السلطان التيمورى فى الهند، و لو لا ما كان للهنديين من عقدة الارتباط بسلطانهم التيمورى، و قبض الإنجليز أول الأمر على تلك العقدة، لما تيسر للبريطانيين أن يخضعوا الأمم الهندية فى أحقاب طويلة.

هذه قبائل الأفغان عندما انحلت ثققتها بأمرها، و صار الأمر إلى الأمة قامت كل عشيرة، بل كل فرد للدفاع عن نفسه، بعدما تمكنت عساكر الإنجليز فى قلاعهم و حصونهم، و استولت على قاعدة ملكهم، و فتكوا بالعساكر الإنجليزية و هزموا قواتها و أجلوها عن بلادهم، و هى ستون ألفًا من الجيوش المنتظمة، المسلحة بأحدث الأسلحة، و اضطر الإنجليز أن يتركوا تلك البلاد لأهلها.

لا ريب أنه يسهل على الإنسان أن يأخذ شخصًا واحدًا و أشخاصًا محصورين بالترغيب و التهديد، و يتيسر له أن يقف على طباعهم، و يدخل عليهم من مواقع أهوائهم، و يأتيهم من أبواب رغائبهم، لكن يتعسر بل يتعذر عليه أن يأخذ أمة بتمامها، و عقولها مختلفة عليه نفوسها فى وحشة منهم إلا بالإبادة و التدمير. من هذا نجد الملوك العظام لا يرهبون الاشتباك فى حرب مع أمثالهم بل و من هو أشد منهم قوة ولكنهم يفرقون، بل تذهب أفئدتهم هواء إذا أحسوا بميل الأمة عنهم، و ما هذا إلا لأن قوة المغالبيين داخله تحت الضبط، و أما آحاد و قواها فلا تضبط و لا يمكن مقاومتها إذا تغاضت و شحت بنفسها عن الذل لسواها.

إن الأمراء كما يكونون فى دور من أدوار الأمة قوى فعالة لنموها و علوها و عظمتها و اشتداد عضدها، كذلك يكونون فى بعض أطوارها علة فاعلة فى سقوطها و هبوطها و انحلالها، و إنا نخاف، و لا حول و لا قوة إلا بالله، أن يكون أمراؤنا و الأعلون منا آله لاضمحلالنا و فئتنا، لما غلب عليهم من الترف و الانهماك فى اللذائذ، و الانكباب على الشهوات، مع سقوط الهمة، و تغلب الجبن، و الحرص و الطمع على طباعهم، إن الله و إنا إليه راجعون.

### هجوم على السودان عبر النيل!!

جاء من لندن لإحدى وكالات الأنباء ما ملخصه: لا يظن أحد من الناس هنا (فى لندن) أن الجيوش التى عزمت حكومة إنجلترا على سوقها إلى السودان يقصد منها إنقاذ چوردون. فإن

چوردون معزز برجال من الوطنيين (المصريين أو السودانين) أولى عزم و قوة، و لهم سطوة تدفع بأس الذين يبغون به الشر. و إذا مست الحاجة إلى تخليه عن عمله و تركه لمركزه فلا يعدمون وسيلة لخلاصه، أما القصد الحقيقي من بعث الجنود إلى السودان فإنما هو افتتاحه تحت العلم الإنجليزي، و هو و إن كان يحتاج إلى زمن طويل إلا أنه قليل الخطر و لا توجد في سبيله عقبات سياسية حيث تنازلت الحكومة المصرية عن سياستها في تلك الأقطار.

يسهل على العساكر الإنجليزية أن تسير إلى الخرطوم على طريق النيل و إن سلكت سبيلا من الأرض اليابسة فلا تبعد عن شواطئ النهر (لتكون تحت حماية المراكب و ترافقها في السير مراكب تعد لقطع النيل و الصعود إلى الشلالات، فإذا وصلت العساكر و الأساطيل النيلية إلى الخرطوم و استولت عليها اعتصمت فيها حكومة عسكرية تمد نفوذها إلى قلب السودان و يكون في هذا عوض للإنجليز عما يخسرونه في مصر لو ألزمهم المؤتمر بالتنازل عن شيء مما يطمحون إليه فيها.

و قالت جريده (الريبوبليك فرانسيز): إنا نذكر هذه الرسالة على أنها شبه حجة على مقاصد الإنجليزي و إلا فإننا نعد ما تحويه من قبيل الأوهام و الخيالات. اهـ

أما نحن فنقول: من أمعن النظر في أعمال الإنجليزي و تتبع سيرهم في افتتاح الممالك الشرقية، علم صحة ما روته وكالة الأنباء. فإنه منطبق على قواعد السياسة الإنجليزية و آت على أساسها الذي بنوا عليه فتوحهم من أزمان طويلة و هو أصل تعارفه الإنجليزي حتى صار كخاصية لازمة لطباعهم ترد إليه جميع أعمالهم من حيث يشعرون و لا يشعرون، و عليه كان بناء ملكهم في الهند.

إن الإنجليزي أول ما خطوا خطوة في الهند وجدوا مملكة (أود) من الممالك الواسعة و أغلب أهاليها على مذهب الشيعة و لها نواب (حاكم) عظيم من أهل ذلك المذهب، فأوا أن يحملوه على الاستقلال و زينوا له الطمع في لقب شاه لينفصل عن الملك التيمورى. و في التنازع لنيل هذا المطمع يصيب كلا من الطامع و صاحب الملك سهم من الضعف و الوهن فيتهدأ كل منهما للوقوع في مخالب الإنجليزي و قد حصل.

و أول ما حلوا مصر و لمحوا شرارة في السودان أدنوا منها و قودها لتكون ناراً مهلكة فبعدها طردوا الجيوش المصرية إيذاناً بالغضب عليهم. جمعوهم ليسوقوهم إلى السودان تحت قيادة أعداء لهم من الإنجليزي، فذهبوا و هم موقنون أنهم يساقون إلى الموت ليدوقوا و بال الانتقام فقولهم منكسرة و عزائمهم واهنة و عقائدهم لا تسمح لهم بالانقياد لرؤسائهم الأجانب، و أحس السودانيون و هم مسلمون أن قواد الغارة عليهم ليسوا على شاكلتهم، فزادهم حمية و إقداماً، فكان هذا و ذاك سبباً في استفحال أمر السودان بعد ما هلكت رجال و أنفقت أموال و ساءت أحوال من السودانيين و المصريين، كل هذا ليتوسل به الإنجليزي لفصل السودان عن مصر بعد خراب الدارين و كأنهم عندما



أرسلوا چوردون باشا و أدنوه أن يمنح محمد أحمد لقب أمير كوردفان قصدوا أن يتمموا عملهم ولكن لم ينجحوا.

و عندما كانت الحرب قائمة بين دوست محمدخان أمير أفغانستان و بين (رانچيب سنك) البنجابي تخوف الإنجليز من تسلط الأفغانيين على بنجاب فتدخلوا في الصلح و سحروا قلوب الأفغانيين بلين القول و لطف الوعد حتى أرضوهم بترك مدينة بيشاور و ما يليها لرانچيب سنك. و انعقد الصلح على هذا و أجلى الأفغانيون عن مملكة بنجاب و رجعوا إلى بلادهم. و بعد عشر سنين من تاريخ الصلح زحف الإنجليز إلى بنجاب و افتتحوها لأنفسهم و استولوا على مدينة بيشاور فقال بعض أمراء الأفغان إن ذاك الصلح كان مقدمة لهذا الفتح و إن الإنجليز في تعيينهم للحدود إنما كانوا يحددون بلادهم ولكن كنا عنه غافلين.

و من نحو سنه و نصف أو ما اللورد دوفرين في تقرير كتبه بالقاهرة، إلى أنه لا حاجة بالحكومة المصرية إلى السودان بل لا فائدة لها فيه، و فهم الغرض في ذلك الوقت من أصابه، و غفل عنه قوم آخرون اغترارًا بظواهر العبارات، ثم لم يلبث الإيماء أن صار تصريحًا رسميًا و إلزامًا للحكومة المصرية أن تتخلى عن السودان. فلم يكن التلميح و التصريح ثم الإلحاح و الإلزام إلا ليهيئوا البلاد السودانية للدخول تحت سلطتهم في وقت من الأوقات لسبب من الأسباب التي لا يعجزون في اختراعها متى شاءوا!! هذا سير يعرفه من قرأ صفحة من تاريخ الإنجليز في الممالك الشرقية.

تريد حكومة إنجلترا إذا عارضتها الدول في السيادة على مصر أن تنشئ لها سلطة في الخرطوم يمتد حكمها إلى جميع أراضي السودان و عساكرها الآن حالة في سواكن و ما أسرع أن تصل بين المدينتين بالسكة الحديد فتكون القوة الإنجليزية بعد هذا محيطه بمصر من جميع الجوانب. و قفت على بابها من طرف الشمال في قبرص و طوقت حدودها من الغرب إلى الشرق في السودان و تحكمت في منابع النيل و تصرفت في أعلاه و أخذت كل طريق يمكن منه الاستيلاء على الديار المصرية، و هنالك يرصد الإنجليز حركات الدول في أوروبا. فكلما أضاءت لهم بارقة فرصة مشوا فيها، و إذا أظلمت عليهم قاموا فيتقدمون إلى مصر خطوة بعد خطوة و لا يباليون، طال الزمان أو قصر، فإنهم يعرفونها لهم على أي حال، ولكنهم يتقون معارضة الدول في هذه الأوقات. هذه غايات سير الإنجليز في الحوادث المصرية و هي كما قالت (الريبوليك فرانسيز) خيالات و أوهام إذا اشتدت الدولة العثمانية و رجال مصر في المطالبة بحقوقهم الشرعية و المحافظة على شؤونهم و أخذوا بالحزم و عقدوا العزم على مقاومة سعي الإنجليز في أوطانهم و ديارهم بعدما ظهر لهم ماذا يقصدون بهم، فإن تهاونت الدولة العثمانية أو تغافل المصريون حسبها الإنجليز طريقًا مطروقة و سبيلا مسلوكة، و عدوا مطامحهم حقائق ثابتة و مطالب مقرر، لا نجح سعيهم، و لا صدق ظنهم.

## السودان و مصر

نشرت جريدة البوسفور أجيبيان، التي تطبع في القاهرة، خيراً - مصدره توفيق باشا نفسه - و هو أن الجنرال چوردون أنذر حكومته الإنجليزية بأنها إن لم تمده بجيش ينقذه من الضيق الملم به فإنه يرفض الدين المسيحي و يدخل في دين الإسلام!! و ضمنّت جريدة البوسفور صحه هذا الخبر العجيب (كذا و صفته الجريدة بالعجب). و غرابه الخبر إن كانت من جهه أنه تهديد بما لا يهم الحكومه، فنحن نعلم أن الإنجليز يفزعهم خروج أحد منهم عن دينهم و إن كانوا يرشدون الناس إلى ترك الدين و يعييون على المستمسكين به، لكنهم أشد الناس تعصباً فيه فلا محل للغرابه، و إن كانت من جهه أن چوردون، و هو من أشد قومه تمسكاً بدينه، كيف ينجح للإسلام فهو الإنجليزى الطبيعه كما هو إنجليزى الجنس يتلون ظاهره بأى لون ويبرز فى أى ثوب لإصابه غرضه مع المحافظه على ما طبع الله على قلبه فلا عجب إن قال و فعل!!

فى خبر أن محمد أحمد طلب إلى أعوانه المحاصرين للخرطوم أن يأتوا إليه بچوردون حيا و لا يمسه بسوء إذا وقع فى أيديهم.

و فى برقيه من أسيوط إلى جريدة التايمس أن مركباً من مراكب البريد وصلت إليها تحمل ثلاثه أشخاص مرسلين من طرف زبير باشا لاستكشاف حاله چوردون و توجهت فى الحال بمن فيها إلى أسوان. هكذا الدهر أبوالعجب، من سنين قليله فتك چوردون بأولاد الزبير و ذوى قرابته و أفسد عليه شئونه و أخرجته عن جميع أمواله و اليوم رأينا كدر الضغينه فى صفاء المحبه يبعث الزبير على الرؤفه بچوردون و توجيه الرسل للسؤال عن صحته و الاستخبار عن سلامه حاله.

جاء الخبر أن أهالى جرجا (مدينه من مدن الصعيد مركز مديريه فى جنوب أسيوط) فى هياج شديد يشبه أن يكون ثوره، وورد إلى تلك المدينه رجل من أشياخ محمد أحمد قادماً من القاهره و دعا الأهالى للأخذ بطريقته، فإذا بينهم جم غفير يجيب داعيه و يذهب مذهبه و هو مما يدل على أن القائم السودانى مهتم بنشر دعوته محتاط لنفسه حاذق فى عمله و له دعاة فى أرجاء الديار المصريه حتى فى عاصمتها (القاهره). فإن ثبت فى هذا السير حل بالحكومه المصريه منه ما كنا نخشى أن يقع بها و يشتد الخطب، و لربما صار له بقوة ميل الأهالى إليه منعه يصعب على حكومه غير إسلاميه أن تقارعها. أما ما ذيل به خبر الهياج فى جرجا من وجود عداوه بين المسلمين من أهاليها و المسيحيين فهو ما لا نصدقه و لا ينطبق على الواقع لأن الأيام السابقه شاهدت على حفظ كل من الفريقين زمام الآخر فى جميع الأحوال التى عرضت على بلاد مصر. المسلمون و المسيحيون فيها على وفاق تام فى جميع نواحيها و المقاتل التى وقعت أيام الحرب الماضيه إنما كان منشؤها إفساد المفسدين على أنه لم يمس فيها قبطن بسوء، و الأخبار الصحیحه تؤيد ما نقول<sup>(١٥)</sup>.

و أرسلت الحكومة المصرية الآلاى السابع من المشاه إلى أسوان مع جملة من المدافع الجبلية و عدد وافر من الجمال.

و فى برقية من سواكن إلى جريدة الديلى تلغراف أن مناوشات وقعت من أتباع محمد أحمد بالقرب من سواكن، و فى جريدة التايمس أن الثائرين أطلقوا مدافعهم على تلك المدينة فى الساعة الثانية صباحًا من الثامن و العشرين من شهر مايو، إلا أنه لم يُصب أحد من الحرس و تقهقر المهاجمون بسرعة.

عثمان دجمة - مع ألف من رجاله - نازلون على القرب من طمانيب و معظم قوته حالة بتلك البلدة و يقال إن بنفوس عساكره كدرًا من قلة الأزواد<sup>(١٦)</sup> و هو من أخبار العدو يسمع و قد لا يصدق.

و إن الأميرال هفت المبعوث من طرف إنجلترا الخديعة الملك يوحنا ملك الحبشة لم يحظ عند الملك بقبول.

أراد رجال الإنجليز أن يخففوا على القلوب المنخلعة من أبناء أمتهم أهوال السودان و ما يتوقعونه من مصائبه فأشاعوا ظهور شخص يدعى المهديوية فى دارفور، و يقول إن محمد أحمد ليس إلا تلميذًا له من قدماء تلامذته، و كان الإنجليز يستبشرون بتفريق كلمة السودانين كما يسرهم تخالف المسلمين أجمعين.

### فريه دنيئة على الإسلام!

فى برقية وردت لجريدة الديلى تلغراف من القاهرة فى ٢٧ مايو ١٨٨٤ أن زبير باشا طلب إلى سراى توفيق باشا، بناء على إشارة الحكومة الإنجليزية، و التمس منه المستر أجرتون أن يجد وسيلة لإرسال مندوب إلى چوردون باشا يأمره بالعودة حالا. و اتباعًا لأمر توفيق باشا بعث الزبير بأحد خدمه لأداء هذا العمل و كان فرصة انتهزتها حكومة فرنسا لاستدعاء قنصلها فى الخرطوم. و قد ضمن الزبير وصول المندوب و عودته بالجواب فى خمسين يومًا. اهـ

إن صح هذا دلنا على أن چوردون ليس معززًا برجال أولى بأس و شدة كما جاء فى البرقيات و أن الإنجليز عجزوا عن إنقاذه بقوة حربية و إن كانوا ربما يقصدون الحرب لغاية أخرى.

---

فالتعصب سرطان يفتك بأبناء الوطن الواحد و يشل نشاط أبنائه ... فتفتتح ثغور .. تتسلل منها نفوس عفنة تهدم فى الظلام ما تنبيه الأمة فى أجيال. و قد حذر الأفغانى مسلمى مصر و مسيحييها من شر هذه الفتنة و هو فى باريس، فنعم الرجال و نعم الأخلاق.

و نقلت الجرائد الأوروبية ما يعجب من نسبه لزبير باشا. ذلك أنه أشخص ثلاثة من أولاده إلى رؤساء التأثيرين و مع كل واحد منهم كتاب إليهم و هذا مفاده نذكره ترجمه من تلك الجرائد بلا تصرف فى عباراته:

شكراً للخديو و لدولة بريطانيا العظمى و للجنرال چوردون. كل أملاكنا التى انتزعت منا سترد إلينا. يا أحببى و يا أهل وطنى إنى أبعث إليكم أولادى الثلاثة مصحوبين برقيم إلى الجنرال چوردون فدعوهم يصلون إليه و سلخوا سبلهم، و أقسم عليكم باسم النبى و أسماء أجدادى الذين أكرموا الأسراء أن ترافقوا چوردون إلى كورسكو و أن تعاونوه حتى يعلو متن النيل. كل معاملته تسيء الجنرال فهى تكسر خاطرى إلى الأبد. و أنا و عيالى هنا رهن إلى أن يعود الجنرال چوردون، فإن عاد صحيحاً سالماً فمحمد يحفظكم أبد الأبدىين. اه!!

و أنا أتبرأ ما فى هذا الرقيم<sup>(١٧)</sup> و نسبه لزبير باشا، فإننا نعرف الرجل مسلماً فقيهاً فى دينه عالماً بفروضة، و هو من سلالة العباس عم النبى - صلى الله عليه و سلم - و فى نفسه حزازات مما نكاه به الجنرال چوردون عندما كان حكمدار السودان، و ليس من أحد يحفظ تاريخ چوردون و يحصى سيئاته كزبير باشا، علمنا ذلك منه و هو يتنفس الصعداء من ذكرى مصائبه أيام كنا فى مصر، فكيف يمتدح الإنجليز و يشكرهم و كيف يقوم بعمل يعود بالمنفعة عليهم اغتراراً بما وعدوه من رد أملاكه إليه و هو يعلم أن كل ما يفيدهم لا يزيد قدمهم إلا رسوخاً فى أوطانه، و من لاحظ أسلوب الرقيم تبين له أنه ليس بأسلوب عربى خصوصاً ما جاء فى خاتمته من الدعاء، فإنه لم يعرف فى عبارات المسلمين ما يشابهه. فمحمد لا يحفظ أحداً بل الله على كل شىء حفيظ. فلا يبعد أن عدو الزبير أراد أن يشوه سيرته فرماه بهذه النسبة أو أن يكون الرقيم من مخترعات بعض الجرائد الأوروبية للتلميح!!

### صراع بشأن تثبيت الاحتلال!!

و جاء فى برقية من برلين إلى جريدة (چازيت دو كولونى) ثبت أن من عزم دولتى فرنسا و إنجلترا أن تتفقا قبل انعقاد المؤتمر على موضوع البحث فيه كما اتفقت دولتا روسيا و إنجلترا على مدار النظر فى مؤتمر برلين قبل انعقاده بواسطة اللورد سالسبورى و الكونت شوفالوف. كل من الدولتين المتفاوضتين تمد نظرها إلى ما عسى أن تتول إليه مداولات المؤتمر و تحدده و تقدره (ثم تدخل فيه على أن تكون الغاية ما قدرت).

ربما حلت الدعوة إلى المؤتمر محل القبول عند بعض الدولة إلا أن رضاء الباب العالى شرط فى قبول حكمه و التسليم لقضائه، و لو أن دولتى النمسا و ألمانيا أو الدول جميعها قضت بأن يكون من

قواعده الأساسية إجابة جميع الدول التي دعيت إليه مؤقتًا لم يكن قاضيًا بوجوب الإذعان لما يبرمه. وهذا هو شأن المؤتمر بالنسبة إلى الباب العالي على أية حال.

و قالت جريدة التايمس، تيسر لوزارة إنجلترا أن تتغلب على مجلس النواب لكن ليس لها أن تعتمد على هذا الظفر الهين و عليها أن تستفيد في مدة البطالة لعيد العنصرة فتتجو بما تستفيده من الخطر العظيم الذي ربما يحقق بها من المفاوضات الجارية بينها و بين وزارة فرنسا، و تساهلت الوزارة في عقد عهده تخالف مصالحنا مع شركة قناة السويس ثم نجحت في التملص من قيودها و مزقت المعاهدة و تركت مسيو ديلسيس على أرض قفراء و ليس بالسهل عليها أن تسلك اليوم ما سلكت في تلك الأوقات. فلو رفض البر لمان ما انتهت إليه المفاوضات في المسألة المصرية لما أمكن للوزارة أن تبقى في مساندتها. و إذا تعذر الوصول من هذه المفاوضات إلى غاية صالحة أمكن الوزارة أن تتنحى عن العمل، أما فرنسا و سائر الدول فليس لها أن تطالب مجلس العموم في إنجلترا بمنحة شحت بها نفوس أهالي بريطانيا كافة و رفض السماح بها عموم الآراء في بلاد الإنجليز (يريد بالمنحة ما تفضل به وزراء إنجلترا على الدول من دعوتها للمباحثات في أحوال مصر).

#### الثبات الثبات

حملت قوة الثائرين على مدينة بربر فافتحتها بعدما فتكت بجميع حاميتها و لم يبق موضع للريب في استيلاء أعوان محمد أحمد على تلك المدينة، و بعد تمكنهم فيها زحف منهم ثلاثون ألفًا لمهاجمة دنقلا، و في برقية من كورسكو إلى التايمس بتاريخ ١٣ يونيو أن محمد أحمد يزحف بنفسه مع خمسة و ثلاثين ألفًا لفتح دنقلا و له أمل في الفوز قبل أن يهل رمضان، و قد بعث برقيم إلى مديرها و سماه أميراً عليها سنة السلطنة فيها مع ما يليها.

و انقطع الطريق بين دنقلا و وادي حلفا و امتنع سلوكها و أيست الحكومة المصرية من صيانة تلك المدينة فأصدرت أوامرها بتمهيد سبيل لرجوع حاميتها إلى مصر و شعرت حكومة إنجلترا بتعاصي الفتنة فعملت على إرسال نجدة لإمداد حامية الخرطوم، كما أكدته جريدة (المورنج بوست) الإنجليزية قنوطًا من نجاحها، و عثمان دجمة يشتد عضده يومًا بعد يوم و له في كل ليلة هجمات على مدينة سواكن بل و على بعض المراكب في البحر.

أخبار ما نزل ببربر و ما يتوقع نزوله بدنقلا و غارة الثائرين على معسكرات الحكومة في وادي حلفا كل ذلك أحدث اضطرابًا شديدًا في أسوان و هيجانًا في خواطر الكافة من أهل الصعيد و ربما يخشى من وقوع ما لا تحمد عاقبته على الناكثين.

هذه مراكب الإنجليز في مصر و هم في أحوالها لا يفترون عن السعي إلى ما يثبت قدمهم فيها. و جاء في برقية إلى و كاله هافاس أن الجند المصري دخل بأسره تحت إمرة الجنرال استفانوس (قائد جيش الاحتلال الإنجليزي) فصار الجنرال كأنه وزير الحربية و تحول الجند الوطني إلى إنجليزى و

جيش الاحتلال إلى حاميه مصريه، ثم هم يسعون لإلزام توفيق باشا بنصب ثلاثة مفتشين من الإنجليز أحدهم فى القاهره و الثانى فى مصر السفلى (مفتش وجه بحرى) و الثالث فى مصر العليا (مفتش وجه قلبى) على أنهم لا يعزلون إلا بأمر من إنجلترا فتقلب الإدارة إنجليزية محضه لا يبقى فيها لحكام مصر إلا نهايه حال الدليل، الامتثال و الطاعة. تصرفوا فى الأراضى المصريه العثمانية تصرف المالك فمنحوا منها بقاءاً و فرضاً على البحر لملك الحبشه، و حالفوه على أن يسوق جيشاً ينازل المسلمين فى أراضيههم، رجاء تذليلهم و إخماد أنفسهم و فى أثناء هرولتهم إلى مطامعهم يثيرون فى أعين الدول غباراً، و يرفعون جلبه، و يصيحون بأن لا غرض لنا إلا إقرار الراحة و إعادة النظام، و يقيمون الحججه على إخلاصهم برغبتهم إلى الدول فى مساعدتهم على حل بعض المشكلات الماليه، مع أنهم لا يرغبون عقد المؤتمر إلا لينالوا منه ما يزيد قدمهم رسوخاً فى مصر. و علموا أن لفرنسا مصلحه فى مناوأتهم فطفقوا يهددونها بالتحالف مع ألمانيا أو التقرب إليها إن لم تتساهل معهم ليحملوها بالتهديد على الرضاء بإبقاء عساكرهم فى مصر إلى سنه ١٨٨٨ تحت اسم إقرار الراحة، على شرط أن لا يكون بعد مدة إلا بإجماع جميع الدول التى يكون لها نواب فى المؤتمر، بحيث لو وافقهم إحداهن على إطالة المده فيما بعد لكفى فى تمديد الأجل أو إطلاقه، و ليس بخاف ما يقصدون من هذا الشرط. فإنهم يعلمون فى اختلاف مصالح الدول و تضارب السياسات ما لا يعدمون معه وسيله لإرضاء دولة واحده فى زمن من الأزمان بالموافقه على مد الأمد، و لا نخال دولة فرنسا يقف نظرها دون هذا الحجاب الرقيق و هو يشف عن ملم عظيم لا تسلم منه مملكه من ممالكها فى المشرق، و لا نظنها تدعن لقبول هذا الشرط، و إن قبلته دولة لا مصلحه لها فى مصر و لا يههما إلا معاكسه فرنسا.

فكأنما سلك تصرف الإنجليز من خمس سنوات فى سلسله من الألاعيب نهايتها للتسلط على مصر فى هذا المؤتمر بدعوى ثروه المالىه المصريه، و إن عجزها من الخيانه فيها، و توسلوا بذلك لانقلاب فى هيئه الحكومه ثم ألجأوا عرابى للدخول فى العصيان ليعتلوا به فى الزحف لتأييد الحاكم، ثم وسعوا دائره الخلل ليكون وسيله إلى سلطه لا تحد يؤملون نيلها فى هذا المؤتمر. زينوا للدوله العثمانية أن تصول على السودان مع وجود عساكرهم فى مصر، ثم تخرج و قد مهدت لهم مصر و السودان معا. فلما لم تنخدع لهم و حق لها أن لا ترضى شدوا عليها بالتهديد قائلين إنهم لا يسمحون لعسكرى تركى أن يذهب إلى السودان من بعد، و لو لم تقبل الدوله العثمانية حضور نائب لها فى المؤتمر على أنه منحصر فى المالىه فإنه سينعقد بدون رضاها. و لئن كان الإنجليز صادقين فى طلبهم، إقرار الراحة فى مصر، لوكلوه إلى عساكر العثمانيين و فوضوا الأمر لحازم حاذق من أمراء المصريين، فإن فى ذلك إطفاء للفتن و تشبيهاً للسلم، و لا خوف من الدوله على الاستقلال المصرى فليس من شأنها أن تنقض عهد دوله واحده فى هذا الوقت فضلا عن عهود الدول. ولكن لا يهولن

الدولة هذا التهديد فدعوه محمد أحمد بلغت في الهنديين و تغلغت، و خبر قرب الروس منهم ملأ أذانهم، و الإنجليز يتوقعون الفتنة فيهم ساعة بعد ساعة، و القوة الإنجليزية قاصرة عن مدافعة محمد أحمد، فلو ثبتت الدولة العثمانية لخضع الإنجليز لقوة الحوادث رغماً عنهم، فإنهم يفرقون من أن يشاع عنهم أنهم مضادون للدولة العثمانية، فالثبات الثبات و الله المستعان.

### برهمن لاهور

قد انكشفت لفندت اللاهورى (صاحب جريدة أخبار عام) أن ما أنذرنا به عند دخول روسيا في مرو من وشك دخولها في سرخس ليس من قبيل كان و يكون و سيكون، فقد دخلت روسيا مدينة سرخس برضاء من التركمان كما قدمنا في العدد الماضى، فليس له أن يستبطن سيرة الهول الشمالى ليدكدك أسوار الحكومة التى يظهر المدافعة عنها (و هى الحكومة الإنجليزية) فعما قريب تظله هبوة الزحف فى أرض بنجاب تحت جدران، و له بعد أن رأى ما رأى من صدق ما نقول أن يطمئن إلى ما ننبئ به فيما بعد، فإننا نحكى عن طبائع الأمم و حقائق السياسة و مقتضياتها و ليس يغنى ظنه من الحق شيئاً.

### هذا

سررنا بملاقاة أفضل من أرباب الجرائد فى مصر أتوا إلى أوروبا ليحضروا مؤتمر فى لندن و يقفوا على دقائق المفاوضات التى تجرى فيه متعلقة بالمسألة المصرية و ينشروها مع ما تجود به قرائحهم من رأى الصحيح فى جرائدهم تنويراً للأفهام، و تنبيهاً للأفكار، فحمدنا سعيهم، و شكرنا صنيعهم، و أعظمنا همتهم، فى خدمة البلاد المصرية، قياماً بما فرضته عليهم الجامعة الشرقية، و ما أوجبه ذمة الجوار، و إن لم يكونوا ممن نبت فى تراب مصر، و لا جبل من طينتها، ولكننا أسفنا غاية الأسف على احتمالهم لهذا العمل العظيم أفضداً بلا معززين لهم من أبناء الديار المصرية لامن المسلمين، و لا من المسيحيين، أولئك الذين حفت بهم المكاره، و داهمتهم مغيرات الرزايا من كل جانب، و لهم فى البلاد نسب صريح، و ورثوا ما أقاموا فيه عن آبائهم و أجدادهم من أجيال طويلة، و فيهم عارفون باللغات الأجنبية على اختلافها، و منهم من نال شرف المعرفة على نفقة بلاده، و إنما كانت تعده البلاد لمثل هذه المهمات. ألا يوجد بينهم شاب يغلى دمه و تجيش أحشاؤه لما تزل بدياره و بنى وطنه مما يتألم له العالم أجمع؟! أو إن لم يكن هذا ففتى يعظم همه، و يسمو عزمه، فيطلب ذكراً رفيعاً، و ثناء باقياً، فتنهض همته للشكايه من مصابه و مصاب إخوانه، أو لإرشادهم إلى ما به النجاء، و ما يتوسلون به إلى الخلاص، ألا يوجد شيخ قضى و طره من الدنيا و فاضت عليه البلاد بخيرها يتذكر نعم الأوطان عليه، فينبعث لأداء شكرها بما يستطيع من خدماتها؟! ألا يوجد من هؤلاء و هؤلاء أغنياء لا يخافون إعداماً فيتسامحون فى بذل شىء من فضل ما لهم ينفقونه على أنفسهم فى طلب الإنصاف لدى الدول التى يهملها النظر فى شئونهم؟! ألا يوجد فيهم من ورث عن

آبائه ثروة واسعة و هو يبدها فيما لا يعود عليه بمجد ثابت و لا شرف دائم، فيجعل الإنفاق على نفسه في السفر لهذه الغاية المحموده داخلا في دائرة إسرافه.

يا عجبًا، ما هذا الخمول؟! و لم هذا الانزواء للذهول عما رزئت به أوطانهم؟! كيف و أسنة الحوادث مصوبة إلى أفئدتهم؟! و ألسنتها تلغ في دماء قلوبهم العوز و الحاجة؟! كيف و إنا نعرف فيهم الأغنياء الموسرين، و من لا تنفد ثروتهم إلا بأيدي أعدائهم المتغلبين، إذا استمروا في تماديهم هذا الشح و الحرص؟ كيف و فيهم الأسخياء و من أشرفوا في البذل على الإسراف و التبذير فيما لا ينالون منه إلا مدحة في الوجه، و رفعة لا وجود لها إلا في الوهم؟! الخوف و الجبن. كيف و قد بدا لهم أن الخطر في سكوتهم أشد من الخطر في عويلهم و صياحهم، الراحة مفقودة، و النظام مختل، و الحقوق ضائعة، و الفتن محدقة بهم. و الأجنب ضربوا خناجرهم على حناجرهم، فلو لم يتداركوا أنفسهم بالسعى في كشف هذه البلايا لأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم، بل الخطر كل الخطر إنما هو في إهمال مصلحة الوطن و ليس على ساع في خير وطنه و ملته في خطر. إذا أتى البيوت من أبوابها، و طلب الغاية بأسبابها، فمن أي شيء يخافون، و أي سلطة يرهبون؟! إن لم يكن لجراح الوطن أثر في أفئدتهم، فأين الإحساس الطبيعي المودع في نفوس البشر، الباعث على المبارءة و المنافسة؟ إنا لله و إنا إليه راجعون.

### العدالة الإنجليزية!

الركون إلى العدالة و السكون إلى الأمن و الراحة من الأمور الطبيعية في الإنسان، و هذه حقيقة أدركها الجنس الإنجليزي الشريف، لهذا تراه يجوب الأقطار و يتقلب في الأمصار حاملا على أحد عاتقيه علم العدالة و على العاتق الآخر لواء الأمن و الراحة رجاء أن يملك أهواء العالم أجمعين و ينال الكرامة في جميع أنحاء المسكونة.

إلا أنا نعجب غاية العجب لجفلة الناس من ألوان هذه الأعلام و فزعهم من الاستغلال بظلمها و من تفيأه يوما فرع للاتباذ عنه في آخر و لو لفحه لهيب جهنم، هؤلاء الأيرلنديون من جنس الإنجليز و على دينهم و ينطقون بلغتهم و لا يوجد بينهم و بين سكان بريطانيا العظمى فرق إلا فيما لا يعد الاختلاف فيه خلافاً حقيقاً من عقائد المذهب الكاثوليكي و البروتستنتي. و يصح أن يقال إنه خلاف في فروع الدين لا في أصوله. و جزيرة أيرلندا تعد جزءاً أصلياً من مملكة بريطانيا و سكانها يعدون عنصراً داخلاً في قوام الأمة و عليهم بسط جناح المرحمة الإنجليزية من أجيال طويلة حتى حسب الجميع أمه واحدة، و مع ذلك ترى آلاف مؤلفة من الأيرلنديين يهجرون أوطانهم و يهاجرون إلى أمريكا و يتخذونها سكناً لهم فراراً من عدالة الإنجليز، و كل يوم ترى المحترقين بنيران الحمية منهم يخاطرون بأنفسهم في أعمال يقصدون بها هدم السلطة الإنجليزية و إهلاك القائمين بها، و في كل يوم يخدون الأخايذ و يدفنون المواد الملتهبة (الديناميت) في أماكن مختلفة من مراكز الحكومة و



طرق مسير الكافة من الإنجليز تارة تحت قصر الملكة و أخرى فى مقاعد الوزراء و طوراً تحت دارالندوة و آخر فى جسور السكة الحديدية ليدمروا كل مكان بمن يقله، وزاد ذلك حتى أفضع الحكومة فى هذه الأيام و ما من مدة تمضى خدمت إلا و تسمع بمواقع بين عساكر المحافظة الإنجليزية فى أيرلندا و بين الأهالى، و منها ما حدث فى ثامن هذا الشهر (يونيو) من معركة بين العساكر و العامة جرح فيها كثير.

هل جلاء الأيرلنديين و تهافتهم على الموت و سآمتهم من الحياة فى معانده السلطنة الإنجليزية ناشىء عن نفرتهم من العدل و كراحتهم للراحة و الميل إليهما طبيعى فى فطرة البشر؟! أظن لو كان عدلا حقيقيا يعرفه بنو الإنسان لما نبت عنه الطباع، و لا آثرت الأنفس الموت على التمتع به، و لا طلب الخلاص منه أقوام يتحدون مع أرباب السلطنة فى الجنس و اللغة و الدين، و لا فضلوا على مهاجرة الأوطان و احتمال آلام الغربة، و مشاق التطوح فى أراض لا يجدون فيها من العيش إلا لماجا (أدنى ما يؤكل) ولكنه عدل تفرد به الإنجليز من بين الحيوانات الناطقة، من أحكامه أن توضع الجزية على كنائس الكاثوليك تؤديها إلى كنائس البروتستانت عن يد و هى صاغرة، و استمر ذلك إلى عهد قريب، و من مقتضياته أن يكون الأيرلندى خادماً بل عبداً رقا لأمرء البريطانيين لا يتركون من لوازم الحياة إلا ما يشتغل به لتنمية ثروتهم و توفير لذتهم - إن كان هذا العدل لا يوافق أذواق المتفقين معهم فى الصفات السابق ذكرها فكيف ترجى ملاءمته لأذواق الذين لا نسبة بينهم و بينهم و لا صلة تجمعهم معهم لا فى لغة و لا جنس و لا دين - هذا النوع البهيج من العدل ظهرت له آثار فى البلاد الهندية - دخلها الإنجليز و هى أغنى أرض فى العالم، و أخصب تربة فى المسكونة، و سكانها أنعم الناس عيشاً، و أوسعهم ثروة، فإذا هى اليوم بسر العدالة كأنها صفاصف و أمرات (أراض لا نبات بها) أهاليها حفاء عراء أذلاء، رضوا من المعيشة بالشظف، و من القوت بالعلف، و ما يجدون ما به يقنعون، تراهم بعد ما سلبوا أملاكهم، و ابتزوا ثروتهم، و استأثر الإنجليز بجميع ما كان لهم يطلبون التعيش فى المهن الدنيئة و لا يصلون إلى ما يطلبون، يكون منهم الكاتب المنشىء البليغ الحاسب يقطع الأرض سعياً من بلد إلى بلد و من ولاية إلى ولاية ليحصل خدمة ينال من أجرها ثلاثين فرنكا فى الشهر و لا يسعده الحظ بنوالها - و من ستين دخلوا مصر و هى أرض الراحة و السلام و أهلوها فى رغد من العيش، و أمن من الغوائل، فإذا هى اليوم ببركة العدل الإنجليزي، و حسن الإدارة البريطانية، أرض الفتن، و مجالات الحروب، و مضارب الخلل و الفساد، قضت العدالة بحرمان آلاف من الوطنين و طردهم من وظائفهم فى الحكومة، و هم ذوو أهل و عيال لا عيش لهم إلا من رواتب الخدم الوطنية، و حل محلهم فى الوظائف أخلاط من الإنجليز و كسدت أسواق التجارة و غلت أيدى الزارعين عن العمل فى الفلاحة بفقد الأمن و عموم الاضطراب و امتنعت الأرض عن الإنبات

بإهمال الأعمال العامة و استولى الفقر على الفلاحين حتى عجزوا عن وفاء ديونهم و قصرت أيديهم عن أداء ما عليهم من الضرائب لحكومتهم.

و مع كل هذا ترى الإنجليز لا تأخذهم ريبه في أنهم عادلون قوامون بالقسط، و أن حلولهم في أى قطر و سلطتهم على أى شعب مقرونه بالسعادة و الرفاهه و الأمن و الراحة، و يعجبون كل العجب من انحراف المصريين عنهم و نفره قلوبهم منهم و يقولون يا سبحان الله كيف يوجد بين جمعيات سرية أو جهريه تتخالف على بعضهم و تجتمع الألفه من العبوديه لهم؟! و كيف يختلج فى خاطر مصرى أن ينقم على الإنجليز!؟

و لما أحسوا بحركه الخواطر و اشتعال الحميه فى نفوس بعض المصريين و توجسوا الخيفه من إقدامهم على كلمه الحق، و هى بلادنا لنا، و نحن أعلم بمصلحتنا من غيرنا، و لا نريد أن نكون طعمه للإنجليز، أرادوا أن يقيموا برهاناً على عدلهم و يوطنوا النفوس على الرضا بحكمهم كل ضغينه من قلوب المصريين، بالقوه العسكريه، كأنهم بإطلاق النيران و سل السيوف يودعون فى القلوب محبه، و فى النفوس رضايه، و هى طريقه جديده فى إزالة التنافر و إيجاد التآلف و ربما كانت سنه قديمه عند الإنجليز.

و جاء فى برقيه من مراسل التايمس فى القاهره أن العساكر الإنجليزيه انتشرت فى شوارع القاهره شاكيه السلاح لتعزيز قوة حفظ الأمن، و الحامل على ذلك ما تأكد عند حفاظ الأمن من الإنجليز أن فى تلك المدينه جمعيات جهريه أو سرية، أو أن فيها أشخاصاً مصريين يحبون بلادهم و لا يودون أن يكون السلطان فى حكومتها لأجنبى عنهم خصوصاً إن كان ظالماً فيهم، أو أن فى تلك المدينه من يخطر بباله أن يقول كما يقول أدنى رجل من الإنجليز: إن مصلحه و طننا مقدمه على كل مصلحه، أو أن فيها من يحدث نفسه بأن الإنجليز لا خير فى ولايتهم، و يرى شقاء بلاده فى سوء إدارتهم، فهاج غيظ مأمورى الإنجليز و بعثهم على الشده فى طلب الوقوف على مكامن أولئك الذين لا يميلون إليهم ليؤاخذوا كل ذى سريره بما اختلج فى صدره من الانتقاد على أعمالهم، و من عزمهم أن يستعملوا من أجهزة الإضاءة ما يشرق به النور ليلا فى كل شوارع المدينه و أزقتها من القلعه إلى أضيق حاره فيها ليحققوا ما ظنوه و يكشفوا ما توقعوه (و هم فى عملهم هذا يراعون مصلحه المصريين و يأسفون على حالهم حيث كفروا نعمه النظام ولم يعترفوا للإنجليز بهذا الإحسان الذى تفضلوا به عليهم من مده سنين و يأسفون)، و يرون من العدل أن تشرب قلوب المصريين مودتهم بقوه السلاح حتى تكون سيئاتهم حسنات، و ربما لا يتم لهم من ذلك ما يقصدون.

### إنجلترا و فرنسا

أصغت آذان الراغبين فى الوقوف على نهايه الحوادث المصريه لاستماع ما يتحدث به بين الحكومات الأوروبيه من يوم دعت إنجلترا جميع الدول العظام للاجتماع فى مؤتمر ينظر فى بعض

المسائل المصرية. إلا أنها منعت دون حجاب الكتمان و إنما كانت تصل إليها دندنه أو جلبة أو غمغمه أو جمجمه، و كل حس يصلها يثير رواكد الأوهام فتهيج فيها غرائب الصور و الأشكال، و المذاعون من أرباب الجرائد فى أوروبا و هم أشبه بالداعين إلى الألاعيب و الكموديات كانوا يذهبون من الكلام و جوهًا مختلفه و يتنافسون فى التمثيل و التصوير للتغريب و التهويل حتى أبرزوا الأرض فى صورة السماء و السماء فى صورة الأرض خصوصًا فيما يتعلق بالمفاوضات التى كانت جارية بين وزارتى فرنسا و إنجلترا، فكان يخيل لمتصفح جرائدهم أن البحار غاصه بالمراكب و المدرعات يصادم بعضها بعضًا و أن فضاء البر أعزل بالجيوش المتلاحمة لا يجد السالك من بينها سيلا و تجسم الخيال لأرباب الأذهان الحادة، فكان منهم مهندسو حرب يعينون مواقع العساكر و طرق المصاولة و جموع المتلاحمين تجول فى أذهانهم يمينًا و شمالًا و يموج بعضها فى بعض و كأنما كانت مخيلاتهم معرضًا لجيوش العالمين و كان فى كل فوج داعيًا و فى كل قبيل مناديًا يقول حقى هذا، فهيعات تتعالى و زفرات تتصاعد و أرغاء و أزباد و تقطب فى الوجوه و شزر فى المناظر، و فى كل ذلك هول يأخذ بالألباب.

و العارفون بقوة فرنسا البرية و البحرية و الذين يقدرّون حقوقها حق قدرها كانوا يعتقدون أن تمثال العظمة البريطانية أصبح منكس الرأس منحى الظهر قد هوى بهامته إلى ركبته يتوارى من الناس خجلا بما ظهر من ضعفه و عجزه، و أن حكومة إنجلترا ستعود بالخيبة (و إن أعدت فيالق من التهديد و جحافل من الأوغاد) و تقوت هذه الأوهام بما يطنطن أرباب الجرائد، و ولعت النفوس بالوقوف على الحقيقة و انبعثت رسل الأفكار تجوس خلال الشئون و الأطوار، لتصل إلى شىء من هذه الأسرار، و اجتمعت الأرواح فى الأذان لعلها تسترق سمعًا عن تلك المداونات، و كمنت كل نفس فى مشكاة باصرتها لعلها تستشف من وراء الحجاب ما ينبىء عن الحقيقة أو يقربها من الفهم، و الجميع واقفون وراء حجاب هذا الملعب الشائق و بعد طول الانتظار كشف الستار.

فإذا عائدة الإنجليز جالسة فى هيكل آمون و بيدها تاج يحكى رأس الثور (تاج الفراعنة) متهيئة أن تضعه على رأسها و الملوك العظام و قوف بين يديها مستعدون لتنهتها كأنما هذه المفاوضات و المخبرات إعدادًا و تجهيزًا لإجلاسها على كرسى مينا الأول و رمسيس الأول، لا حول و لا قوة إلا بالله.

قام رئيس الوزراء الفرنسى فى مجلس النواب خطيبًا لبيان الاتفاق الذى عقده مع حكومة إنجلترا ليرى النواب رأيهم، و قبل ذكره أنفق ما لديه من البلاغة و الفصاحة و حسن البيان لإقناعهم بقبول ما أجزا، تلطف فى الكلام و أبدع و صوب و سعد و أتى على ترغيب يشوبه ترهيب و يأس يحوطه أمل و أدرج فى طى خطابه أن فرنسا قبل هذا العهد الجديد لم تكن على شىء، و به نالت أشياء و أوما إلى أن وزارته لو طلبت أزيد مما حصلت لأدى الأمر إلى ممانعة الحكومة الإنجليزية و أفضى

الخلاف إلى انقلابها و ربما يخلفها وزارة تطمح إلى الاستيلاء على مصر. و جاء فى نطقه بما حرك الطباع و مال بالأسماع حيث قال: يلزم لسياسى قبل إبرام حكم أن يلاحظ جميع أطرافه و لواحقه فهذه الكلمة الرفيعة جدت فى السامعين آمالا و ظنوا أن المراقبة الثنائية قد أعيدت أو تقرر اشتراك فرنسا مع إنجلترا فى الاحتلال العسكرى أو إبرام الحكم بخروج الإنجليز من مصر و بالجملة أنهم فازوا فوزاً عظيماً و بعد مقدمات طويلات<sup>(١٨)</sup> بين الاتفاق فإذا هو بعد إمعان النظر على هذا النحو. إن الإنجليز سادات مصر يفعلون فيها ما يشاءون و ليس لنا أن نعارضهم فلا المراقبة الثنائية عادت و لا الاشتراك فى التداخل العسكرى أو النظر الإدارى حصل و لا قررت حرية القتال على أصل ثابت و لا تحقق جلاء الإنجليز على صورة قطعية و لا تأصلت مراقبة دولية كما كان يتوهم بعض السياسيين بل كما كان يلجأ إليه الإنجليز عند نهاية العجز على ما أشار إليه كثر من سياسيينهم. فانقبضت صدور النواب، فلما رأى<sup>(١٩)</sup> شدة تأثيرهم دفعة واحدة و أحس منهم القنوط حاول إحياء آمالهم بقوله إنا سلطنا فى اتفاقنا هذا مسلك سائر الدوله و من السنن المتبعة فيها تنازل كل من طلاب الاتفاق عن شىء مما عليه الاختلاف حتى يتقاربوا و يتعادلوا فيسهل اتفاقهم - يوهم بهذا أنه و إن ترك كل حق لفرنسا فى مصر إلا أن الإنجليز أيضاً تساهلوا معه فى أمور - ... هذه المسامحة التى لم تكن منتظرة من حكومة فرنسا ذهبت بالظنون إلى ما وراء الظاهر المعروف و منه ما بعث مراسل جريده (التاج بلات الألمانى) فى قيينا على قوله يظن ههنا (فى قيينا) أن الدول ستعارض هذا الاتفاق رغماً عن كل وهم. اهـ

و ليس ببعيد أن يكون نعيم الإنجليز و هديدهم و إرهابهم للوزارة الفرنسية بالميل للألمان هو الذى دعاها لهذا التساهل الغريب، بل حملها على ترك الحق بالكلية، أو ربما ظن رئيس الوزراء أن اشتداده فى اقتضاء حقه أو حق من له بهم علاقةً صحيحةً يوجب تغييراً فى وزارة جلادستون فىقوم خلفها على الاغتصاب بالقوة و انتهاك كل حق فتضيع الحقوق الفرنسية بلا منه من فرنسا فى ضياعها. فسارع إلى موافقتها على ما تشاء و طرح مصلحة فرنسا فى مصر بين يديها لتكون المنه فى استيلاء الإنجليز على مصر للفرنسيين. ولكن نظى أن هذا النوع من العاملة لايفيد فرنسا أكبر مما يجلب عليها من الضرر، فإن التساهل و سوء السياسة الذى كان من الحكومة الفرنسية مع بريطانيا فى الهند عندما كان للأمتين منافسةً فيه آلت إلى تغلب الإنجليز على جميع الممالك الهندية و رجوع الفرنسيون بخفى حنين و لم يمح أثر ذلك الخسران من خواطر الأمة الفرنسية إلى الآن و المستقبل أشبه بالماضى من الماء بالماء. و قد يقال إن الحكومة الفرنسية حولت نظرها عن مصر إلى جهة

١٨. هكذا ذكرها الأفعانى و قد راعينا بقدر الإمكان على روح الأفعانى فى كتاباته!!

١٩. يقصد رئيس الوزراء الفرنسى.

أخرى. وبقى رجاؤنا فى نواب الأمة الفرنسية فإنهم و إن أظهروا ثقتهم بالوزاره بعد مجادلات طويله إلا أنهم شرطوا عليها أن لا تبرم حكماً فى المؤتمر إلا بمشورتهم (اللهم حقق الرجاء) و إنا فى عجب من حرص مجلس البر لمان الإنجليزى حيث يعارض جلاستون فى هذا الاتفاق مع أن أقرب نتائج الاستيلاء، و قد طلب البر لمان من جلاستون مثل ما طلب نواب فرنسا من وزيرها. أما حقوق العثمانيين و المصريين فلم لها بين المتفقين ذكراً، اللهم إلا أن يقوم أربابها على المطالبه بها. و عند ذلك نرى لها فصلا بين هذه الأبواب.

### الاتفاق

عهد بين وزارتى فرنسا و إنجلترا، توطأنا عليه ليكون موضوع البحث فى المؤتمر، و أشرنا إلى أن غايته تنازل فرنسا عن جميع حقوقها فى مصر و نفص يديها من كل مصلحة لها فيها و الاعتراف لإنجلترا بالسياده عليها و إن لم تذكر حروف السياده و هذا ما يحتوى عليه من المواد.

الأولى: أن يستمر حلول الجيش الإنجليزى فى الأراضى المصريه إلى أول يناير سنه ١٨٨٨ (ثلاث سنوات و نصف)، ثم لا يخليها إلا بعد انعقاد مؤتمر جديد من نواب الدول العظام يتفقون فيه على أن الإخلاء لا يضر بالنظام الداخلى لمصر ولا بالعلاقات السياسيه بين الدول، فإن حصل اختلاف و لو من دوله واحده ترى ضروره إطاله المده كان الخيار لدوله إنجلترا فى الجلاء أو البقاء.

دوله إنجلترا هى الدوله التى أطلقت مدافعها على مدينه الإسكندريه و المؤتمر منعقد<sup>(٢٠)</sup> فى الأستانه من رجال الممالك العظيمة و فيهم نائب لفرنسا، و لم توقر المؤتمر و لم تراع حرمه الدوله و لم تتفق مع واحده منها على العمل الذى باشرته، فهل يعجزها فى خلال هذه المده الطويله أن تستميل دوله من الدول إليها، حتى إذا انعقد المؤتمر بعد ثلاث سنوات و نصف ذهبت إلى أن إخلاء القطر المصرى من العساكر الإنجليزيه يخشى منه على نظام البلاد أو سلم أوروبا، فيكون حجه لإنجلترا فى إطاله المده و إن خالفها بقيه الدول و منطوق الشرط يؤيد حجتها - و كيف يمكن لبقية الدول إذا خالفت إحداها أن تلزم دوله بريطانيا بالخروج من ديار مصر بعدما غلت أيادها بتقرير هذا الشرط و كتبت على نفسها أن الجلاء لا يكون حتماً إلا إذا اتفقت عليه جميع الدول!! السياسات فى أوروبا سريعه الانقلاب و المنافسات لا تقف عند حد يحيط به النظر و مطامع كل من الدول لا تنتهى عند غايه فليس ببعيد بل هو أقرب من كل قريب أن توجد دوله فى دول أوروبا تشد عضد إنجلترا على دعوى أن إخلاءها لمصر يحدث هزه فى سلام أوروبا، و ربما تكون تلك الدوله هى الدوله

---

٢٠. أعاد التاريخ نفسه بعد ٧٤ عاماً و أطلقت بريطانيا و فرنسا و إسرائيل جحيم قنابلهم على مصر لينالوا مأربهم و يحققوا غايتهم و قد نجحوا فى قتل أبرياء و تحطيم مبان ولكنهم فشلوا فى القضاء على معنويات الشعب و روحه فى حياة حرة كريمه.

القوية التي يصعب على سائر الدول مخالفتها، و لا تجد فرنسا عند ذلك موثلاً تلجأ إليه سوى الرضاء و التسليم. إذا فرضنا عجز إنجلترا عن استهواء دولة أوروبية توافقها على المكابرة فى أحوال مصر و أن سياسة أوروبا وفتت على حالتها فى وقتنا الحاضر و أن جميع الدول تحالفت على قول الحق، فهل تعجز دولة بريطانيا و هى هى عن أن تثير شغباً فى بعض الأرجاء المصرية بأن تغرى مالطيا بقبطى أو روميا بفلاح أو حمار فتسيل قطرات من الدماء تخيل كل قطرة منها بحراً و تنادى أن للفتن ماثرات و للعصيان أمارات و النظام فى خطر و لها حق المحافظة عليه إلى أن تنقلب أرض مصر جنه يكون فيها أمم العالم إخواناً على سرر متقابلين. و لو اعتبر المسيو چول فرى بالمعاهدات التى عقدتها إنجلترا مع السلطنة التيمورية و غيرها من ممالك الهند و كيف أقدمت تلك الدولة على نقضها و لم تبال فيه بعهد و لا ذمه لظهر له أن نقض روسيا لعهدا مع بولونيا ليس شيئاً يذكر بالنسبة إلى حفظ إنجلترا لدممها مع تلك الممالك العظيمة. لو تأمل هذا الوزير فى الأعمال الإنجليزية للام نفسه فى الاحتجاج بشرف إنجلترا على خلو غرضها و إخلاصها فيما واثقته عليه. إن لم يكن فى خاتمة الشرط سر فلم اهتمت بها الوزارة الإنجليزية و ألحت على تثبيتها؟! إن لم يكن لها غرض فى استعمالها وقتها، فلم أصدرت أوامرها بمد سكة الحديد من سواكن إلى بربر على نفقة الحكومة البريطانية؟! إن كان لمسيو چول فرى ثقة بمسيو جلاستون و اعتماد على عفته و طهاره ذيله، فمن يضمن له بقاءه فى رئاسة الوزارة إلى نهاية المده حتى يوفى بعهدة؟! فإذا استعفت وزارة جلاستون لعله داخلية أو أزمة خارجية و خلفتها وزارة تحت رئاسة اللورد تشرشل أو اللورد سالسبورى - و هما من الطالبين الاستيلاء على مصر أو إعلان السيادة الإنجليزية عليها فأى مانع يمنعها من الاستفادة من هذه الخاتمة السيئة فى مقصدهما المعروف؟!!

المادة الثانية: ألغيت المراقبة الثنائية و سيعوض عنها بتوسيع السلطة لقومسيون الدين العمومى، فيمنح حق الاطلاع على مصاريف الحكومة و الاعتراض على ما يزيد منها عن المقرر فى الميزانية و يكون له ذلك ابتداء من سنة ١٨٨٥ و ميزانية تلك السنة تحصرها حكومة إنجلترا و تعرضها على المؤتمر الدولى ليقرر ما تحويه على أن يكون قانوناً للنفقات لا يخالف إلا لضرورة تخرق النظام و فيما بعد سنة ١٨٨٥ يخول لصندوق الدين حق مساعدة الحكومة المصرية على تحضير ميزانيتها السنوية بمعنى أنه تعرض عليه قبل تقريرها ليبدى فيها رأيه. إلا أن ما يكون له من الرأى فى جميع الأحوال ليس إلا استشارياً محضاً لا ينقض و لا يبرم، فإذا انجلت العساكر عن مصر يكون له حق المراقبة على تحصيل الإيرادات جميعاً و ضبطه على قواعد صحيحة و طرق منتظمة، و بهذا يحوز حقوق المراقبة الثنائية ما عدا الحضور فى مجلس الوزراء و رئيس القومسيون فى جميع الأحوال يكون الإنجليزية - إن كانت مراقبة قومسيون الدين على تحصيل الإيرادات لا تكون إلا بعد انجلاء الجيش الإنجليزي، أفلا يكون هذا أملاً من الآمال ربما ينال و هو يكون فيه عرض حقيقى عن

المراقبة و هو من رسوم الخيال و بينه و بين الثبوت أمد غير قصير. إن رضيت الأمة الفرنسية بتتقيص فائدة الدين لهذا الأمل الموهوم فقد خسرت كما قالت جريدة (لا جوستيس) خسارته محققة لوعده لا كافل لها بوفائه.

المادة الثالثة: إحماء مصر و المكافلة لها (ما يعبر عنه بالحياد) بأن تجعل حكمه فى إفريقيا على أصول حكومته بلجيكا فى أوروبا و تحرير القناة، أى إباحته ممرًا لجميع مراكب الدول من أى نوع كانت فإن كانت الدولتان متحاربتين ضرب لبقائها فيه مدة لا يسوغ فيها إنزال عساكر أو ذخائر على حافته و لا تباح المناوشة فيه و لا على القرب منه و لا فوق شىء من المياه المصرية و إن كانت الدولة العثمانية إحدى المتحاربتين، إلا أن شيئًا من هذه القيود لا يحذر أخذ الاحتياط للدفاع عن مصر نفسها إذا دعت إليه أحوال و إذا ألحقت مراكب دولة من الدولة ضررًا بالقناة ألزمت بتعويضه، و على حكومة مصر أن تهيب ما يمكنها من تنفيذ الشروط على المراكب الحربية مدة الحرب و لا يجوز أن يبنى على حافات القناة و لا على مقربة منه معقل و حصون و هذه الشروط جميعها تقرر و يجرى حكمها بعد جلاء العساكر الإنجليزية عن وادى النيل، و فاتحة هذا الفصل تنطق بأن الإنجليز إن قصر بهم السعى عن التملك فى الأراضى المصرية فقد هيئوا كلاب لا يختطافها من أيدي المسلمين و الانقلاب بها إلى قوم آخرين كما أشرنا إليه فى موضع آخر. هذا الذى صرح به من تشكيل الحكومة فى مصر على مثال حكومة بلجيكا هو الأمر العظيم الذى نوهه مسيو چول فرى و قال إنه من أجل أحكام السياسة و أسماها، و صحيح العقل يرتاب فى كونه حكمًا سياسيًا فضلًا عن كونه ساميًا لما يلا حظ فيه من عواقب المكالبة و الشحناء بين الأمم الأوروبية إلى أجيال بعد ما تقرر لديهم أن الشرقى لا يليق به أن يستقل بحكم نفسه!! فإن خدعه الظاهر فرما يرى فيه خيرًا لفرنسا أو لأوروبا بمعنى أنه أفضل لها من التملك الإنجليزية. أما المسلم فىراه نكايه لملته و الشرقى يجده خرابًا لبلاده. هذا الأود الذى ظهر فى سياسة مسيو چول فرى لا يقومه إلا حمية الدولة العثمانية و اشتدادها فى حفظ مكائنها السياسية و حرص مجلس النواب الفرنسى على حماية المصالح الفرنسية التى يسهل صونها بشىء من العزيمة و بصيص من البصيرة و لله الأمر يفعل ما يشاء<sup>(٢١)</sup>.

### الباب العالى

روت جريدة الديلى نيوز خبيرًا يسر كل مسلم يهمله نجاح الدولة العثمانية و يرى عزته فى عزتها و ذلك أن الباب العالى يأبى أن يرى جيشًا إنجليزيًا يحتل مصر و يرغب إذا اشتد العصيان أن يفوض الأمر إلى الخديو الذى يتبع نصائح الدولة العلية صاحبة السلطة الشرعية عليه، و كل شرط يرمى إلى

٢١. تأميم قنال السويس، و سده بقنابل الأعداء، و استئناف الملاحة فيه بإدارة مصرية، خير ما يمكن أن يعتز به الأفغانى و محمد

عبد، لو بعنا من عليانهما.

جعل مصر تحت حماية أجنبية فليس عند الباب العالى فى موضع القبول لأنه يكون تمهيداً لإضعاف سلطة السلطان على تلك البلاد و يمكن أن يقبل الاتفاق الفرنسى الإنجليزى فى غير هذين الأمرين (الاحتلال الإنجليزى و الحماية الأجنبية).

و ورد فى رسالة من مراسل جريدة نوفل بريس لبيير الفرنسية مناقشة جرت بينه و بين أحد السياسيين الروس نقلتها جريدة التان، جاء فيها أن دولة الروس ستقاوم دولة بريطانيا فى مطامعها و تؤيد الدولة العثمانية فى مطالبها رعاية لمصالحها المرتبطة بمصالح العثمانيين فى المسألة المصرية و فى الاتفاق المنعقد بين دولتى فرنسا و إنجلترا.

### الإنجليز و الإسلام

الحكومة الإنجليزية عدوة المسلمين عداً شديداً لالتهامها الممالك الإسلامية، تغذ المسير إلى آرابها منها سالكة جاداتها المعهودة من اللين و الموارد و الخديعة و المخاتلة، فإن بلغ بها السعى حداً من الغرض فذلك، و إن عجزت أخذت طريقاً آخر لانتزاع قطعة من أيدي المسلمين بأية وسيلة و تسليمها لقوم من سواهم أيا كانوا، كأن لها لذة فى نكاية أهل الدين و كأنها تبتغى السعادة فى تذليلهم و محو ما يكون من ملكهم. و كمال بهجتها فى أن تراهم أذلاء عبيداً لا يملكون من أمرهم شيئاً و فى تصانيف جلادستون و خطبه الضافية أيام الحرب العثمانية مع الروس و مقالات أشباهه نبأ بل أصدق الأنباء عما تكنه صدور الإنجليز من العداوة للمسلمين.

لهذه الحكومة طمع التمكن فى أرض مصر و لها من كل جبل قبضة و فى كل سبيل خطوة لتنال مطمعها. و همتها اليوم فى إرضاء بعض الدول على استبدالها بالأمر فى مصر بما تسول لسياسيتها من أوهام المنافع و خيالات الفوائد و فى تشييط بعضها بالمراوغات و التهديدات. فإن بلغت همتها مبلغ القصد فهو خير ما تطلب و إلا عقدت عزمها على نقل الولاية فى مصر من أيدي المصريين و العثمانيين إلى أيدي أقوام آخرين. هذا ما تشير إليه جريدة الديلى نيوز الوزارية «الإنجليزية» عند كلامها عن قناة السويس حيث تقول: يمكن القطع بحياد القناة على الأساس الموضوع فى برقية اللورد جرانفيل المرسله إلى الدول فى ٣ يناير سنة ١٨٨٣، و ليست تلك الحيدة إلا حكماً من أحكام النظام الذى وضعته الوزارة الإنجليزية ليكون قاعده تقوم عليها هيئة الحكومة المصرية بعد جلاء العساكر عنها. ولكن لا يرى الإنجليز فى حيدة القناة وحدها ضماناً صحيحاً لوقايه مصر من غارة دولة أجنبية عليها، و لا كفاله كافية لاستقلالها، بل يمكن أن يذهب الرأى إلى ضرورة حيدة مصر نفسها بأن تحول حكومتها إلى حكومة سويسرية أو بلجيكية فى إفريقيا و توضع تحت حماية الدول عموماً فتؤمن الإغارة عليها من إحداها إذا آل الأمر إلى هذه الحال «و العياذ بالله» فهل يسمح أرباب الحماية أو السيادة بتفويض أعمال الإدارة و القضاء و المالية للمصريين العارفين بشئون بلادهم: كيف نظن هذا و قد سجل عليهم الإنجليز أنهم أضعف من أن يقوموا بعمل جزئى أو كلى فى خدمة



أوطانهم و أن من الضروري لحياتهم أن يكونوا آله صماء فى أيدى غيرهم من الأوروبيين. قد يعقب ذلك لو حصل تشكيل مئات من المجالس فى القطر المصرى كلها تشبه المحاكم المختلطة، أما مجالس الفصل و القضاء ابتدائية و استئنافية، فالأمر فيها بين، و أما إدارة الداخلية و المالية و فروعها فلا تستقل بها دولة من الدول فإن طبيعة الأمر تأباه، فلا يتولى أعمالها إلا مجالس مؤلفة من أقوام مختلفة الأشكال و اللغات متبائنى الحكومات. و لو تفضل السائدون على المصريين عند بداية العمل لسمحوا بأن يكون فى كل مجلس واحد منهم إلى زمان محدود.

أولئك الأعضاء الأجانب و هم نواب دولهم لا يكون سيرهم إلا كما سار إخوانهم من قبل. كل منهم يستدعى من أبناء جلدته من يستخدمه فى وجه من وجوه الأعمال التى يولى النظر فيها و تقع بينهم المنافسات ثم تكون المحاباة، كل يتغاضى عما يأتية الآخر ليتغاضى الآخر عنه فلا تكون مدة حتى تضيق أرض مصر بالأجانب و لا يعود فيها مقر لوطنى، هذا إلى ما يتبعه من إقامة عسكر مختلط للمحافظة فى المدن و الأقاليم، فلا يبقى للمصريين إلا خسائس الأعمال يفلحون الأرض و يعانون الأعمال الشاقة ولكنهم أجراء عسفاء لغيرهم يؤدون ثمرات ما يكسبون إلى من لا يعرفون، يخرجون عن جميع ما كانوا نالوه فى الأزمان الأخيرة من عهد محمد على إلى الآن، و لا يمر زمن طويل إلا يصبحون كسكان الأمريكتين ينحسرون إلى بعض الأطراف القاصية عن العمران أو يندمجون مع الأجانب فلا يوقف لهم على أثر صحيح و تصير الأراضى المصرية مأهولة بأخلاق مختلفة كما فى أراضى أمريكا الجنوبية و الشمالية، و يقوم لغير أولئك الأعراب مقام أبناء الأرض الصادقين و هذا مما لا يسر عاقلا - و إن راق فى نظر بعض المباركين - و أملنا فى الدولة العثمانية أن تقوم على قدم ثبت عليها الأسلاف الأولون و تقدم بعزيمة ثابتة على المطالبة بحقوقها فى مصر و إعادتها إلى حالتها الأولى قبل التدخل الإنجليزى، ثم تلقى بزمam الحكومة فيها إلى ذوى عزم من المصريين صيانة لحوزة الإسلام. و فى الظن أن دولة روسيا لا تفوتها هذه الفرصة لمساعدة العثمانيين لتستميل إليها قلوبهم و لا تختلف عنها دولة فرنسا فإن مصالح الدولتين فى فتوحاتها بالبلاد الشرقية تقضى على السياسيين فيهما - إن كانوا كما يقال سياسيين - بالاتحاد مع العثمانيين<sup>(٢٢)</sup>.

### الباب العالى و الإنجليز

يهتم المسلمون فى كل أرض بأمر ما يجرى فى مصر، بل تذهب نفوسهم حسرات كلما رأوا أو سمعوا أن جنديا أجنبيا يجول فى نواحيها مقاتلا أو حاميا و ليس شأن مصر عندهم كغيرها من البلاد فإنها بهرة الإسلام و باب الحرمين الشريفين، فكل نازلة بها تزرأ الدين و تصدع من أركانه و

٢٢. مرة أخرى هذا هو المأخذ الوحيد على الأفغانى فهو لا يزال يصر فى صراعه الصحفى على طرد الإنجليز و الأجانب و

استبدالهما برمز الدولة العثمانية لأنها على حد قوله صاحبة الحق الشرعى مع المصريين فى إدارة البلاد!!

المسلمون فى قلقهم هذا ينظرون إلى الدولة العثمانية و يقبلون و جوههم فى سماء سلطتها الحسية و المعنوية يرجون منها عزمة ثابتة تنقذ بها الأراضى المصرية من تبوء الأعداء و يحفظ بها شرف المسلمين و مكانتهم بين الأمم، و تصان بها ولاية الإسلام من السقوط فى حبال هذه الدولة الداهية - دولة الإنجليز - التى أخذت على نفسها أن تبعد ولاية هذا الدين و تحول حابله على نابله، هذا فضلا عما يراه كل مسلم أن عزة الدولة العثمانية و شوكتها ليست إلا بسلامه ملكتها على مصر فإن قضى فيها الأمر لغيرها - و العياذ بالله - أصبحت حقوق العثمانيين فى جميع ممالكهم معرضة للخطر، فهذه دولة الإنجليز كمرض الأكله يظهر أثره ضعيفا لا يحس به عند بدئه ثم يذهب فى البدن فيفسده و يبليه بدون أن يشعر المصاب بالألم - هكذا شأن الإنجليز فى لينهم و تطفهم و حلاوة و عودهم و تملقهم و خضوعهم، يسلبون المالك ملكه بل الحى حياته و هو مأخوذ بما يشعوزون له - و لا ريب فى أن الإهانة التى تمس الدولة العثمانية تنال جميع المسلمين فى الشرق و الغرب، فإن كل مسلم - و له الحق - يعد هذه الدولة دولته و لو تباعدت الأقطار. إن الهنديين إلى اليوم و ما بعد اليوم يباهون بها و يحسبون أنفسهم فى عداد الأمم التى لم تذهب سلطنتها و يعتقدون أن لهم سلطانا قويا فى الدولة العثمانية بل يرون أن خلاصهم من قيد الرق الإنجليزى لا بد أن يكون يوما ما بسعيها، و قد أظهرت أيام الحرب الأخيرة آثار لحمتهم معها باللحمه المليء بما لم يبق ريبه لمرتاب فى شدة صلتهم بها.

لهذا كنا نعجب لسكوت الدولة العثمانية فى هذه الأزمان الأخيرة عندما اشتدت مقارعات السياسيين من كل دولة و تصارعوا فى المفاوضات و المجادلات محاماه عمالهم من المصالح فى مصر مع أن الدولة كانت أحق و أولى من جميع الدول بالاهتمام و بذل الجهد للمناضلة عن حقوقها الثابتة إرضاء لخواطر المسلمين عموما و استبقاء لحسن عقيدتهم فيها و حماية عن ممالكها و أهم مملكة منها إلى أن اطلعنا على إعلان بعث به الباب العالى إلى الدول بطريق التلغراف فيما يتعلق بالاتفاق المنعقد بين فرنسا و إنجلترا فى المسألة المصرية أتى فيه على بيان العواقب السيئة التى تنشأ من طول مدة الاحتلال الإنجليزى فى مصر، و أظهر أن مجرد تحديد المدة لا يكف الإنجليز عن حرصهم و غاية ما فيه أن يستتبع مداعاة الدول و الدولة العثمانية مع الإنجليز، و برهن على أن بقاء العساكر الإنجليزىة فى مصر ليس بضرورى فى حل المسألة. فإن كانت الدول لا ترى فى العساكر الأهلية كفاية لصيانة البلاد من الخلل، فالباب العالى مستعد لإرسال العساكر إليها على ما تقتضيه حقوقه فيها كما عرضه على الدولة لبريطانية و جرى البحث و فيه ولكن حال دون الإجراء موانع سياسية. فإن لم تقبل الدول أن يستقل الجيش العثمانى بحل هذا المشكل فإنه يعرض عليها أن يحتل مصر جيش مختلط يؤلف من عثمانيين و فرنسيين و إنجليز و إيطاليين و إسبانيين و إلى الدول تعيين الأجل فى الوجهين، و زاد الباب العالى فى إعلانه هذا خدشا لخواطر الإنجليز حيث قال إن

الإنجليز قد أنهوا أعمالهم في محو العصيان و تثبيت سلطة الخديو إلا أنهم لم يأتوا في تحسين حال مصر و تقويم نظامها إلا بما فيه إجراء بعض مقاصدهم السابقة.

و إنا نقول كما يهتف به كل مسلم، إن من فروض الدولة العثمانية أن لا تدع وسيلة للذود عن مصر و كف يد الإنجليز عنها و أن تكون همتها في ذلك كهمتها في الذود عن نفس الأستانة و ليس لها أن ترهب هذه الرعود و تلك البروق التي لا تعقب مطراً، و من الحق أن نقول إن في مكنة العثمانيين أن يقوضوا هذا البيت البلورى «بيت العظمة الإنجليزية» بحجر واحد فإذا اشتدت الأزمة تيسر لهم السعى في الوثام بين الإيرانيين و الأفغانيين و البلوجيين و لا يكلفهم هذا إلا كلمتين يستندان إلى أصل دينى قويم، و عندها يعرف الإنجليز مقام أنفسهم في الأقطار الهندية و الممالك الشرقية. هل تسلط الإنجليز في الأراضى الهندية الواسعة إلا بسبب المخاصمات المذهبية التي كانت بين الأفغانيين و الإيرانيين، و لو نظرنا إليها نظر التحقيق لما رأيناها مما يوجب شق العصا و تفريق الكلمة و لا ريبه عندنا أن رفع الشقاق و تجديد الوفاق بين تلك الأمم أيسر شئ على الدولة العثمانية لما لها من المكانة العليا في نفوس المسلمين قاطبة. و لا يظن أن اعتصام الإنجليز في جزائر بريطانيا و الهند يقصر بالعثمانيين عن النكاية بهم لانقطاع السبل بين هؤلاء و أولئك و انسداد المسالك بين الممالك العثمانية و الإنجليزية. فإن الظن يختلف عند وجود الاتفاق بين الأفغان و الإيرانيين و اتحاد كلمة الفرس مع العثمانيين، هذه طريق محمرة و بندرعباس إلى بلوچستان، مفتوحة للمسالك مطروقة للسابل، و هى الطريق التي سلكها أول جيش إسلامى بعث به الحجاج بن يوسف لفتح السند، إن هذه لجولة لو كانت لأثارت في وجوه الإنجليز غبرة يضلون فيها عن رشادهم.

و معلوم أن الحى لا يسلم نفسه بلا مدافعة مادام قادراً عليها. يكفى لقيام مليون من المقاتلين الأفغانيين و البلوجيين، تحرك خمسة آلاف عثمانى إلى أحيائهم. لست أبالى أن أقول إذا حصل التساهل في أمر مصر وانفتح باب المطامع لكل دولة صغيرة أو كبيرة و عزت بعد هذا وسائل التلقى. فلتأت الدولة العثمانية على ما فى الوسع، و من يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم.

#### أسف

غالت نائبة الدهر طراز العرب، و زهرة الأدب، صفينا أديب أفندى إسحق. قضى نجه في شرح الشبوية، و عنفوان الفتوة، و ترك لنا قلوباً آسفة، و شئونا فائضة، إنا لله و إنا إليه راجعون.

#### حرية الصحافة و الاستعمار!

أسف يصهر الجسم و يذيب الفؤاد و حسرة تلفذ الأكياد على قبيل من أمة أو شخص منها ذى هممة يستعين الله فى عمل ينقذ أمته من ضعة أو يرجع إليها بمنفعة ثم يوجد له فى وجهه عمله من

تلك الأمة من ينجم كقرن المعز ليفقاً عن العامل الفاضلة فيقطع عليه أسباب العمل و يعرقله عن القصد ليكسب مدحة باطله أو منفعة عاجلة، و إنما مثل من يكون على هذه الصفة في الأمة كمرض السكتة في البدن أو الصدع في الرأس أو الخبل في العقل أو الشجى في الحلق أو القذى في العين، هؤلاء هم الذين يقعدون بكل صراط يوعدون و يصدون عن سبيل الله و الحق و يبغونها عوجاً.

لو كان في هؤلاء العصا الطباع (الأعصل المعوج في صلابه) بقيه من الإنسانية أو أثر من العقل يدركون به ما ينشأ من أعمالهم الجزئية من المضار الكلية و يشعرون بهذا الجرم العظيم الذى يدك الرواسى ويهدأ الشامخات، لذابوا خجلاً و استتروا عن الناس بحجاب العدم و تمنعوا لو محيت أسماؤهم من لوح الوجود. ولكن يظهر من جرأتهم على خطيئتهم أنهم ذهلوا عن أنفسهم فلا يعملون ماذا يعلمون، هذا العمل الصغير الذى يجلب على الأمة شراً كبيراً أو يحرمها من خير عام ليس فى وسع حكيم من البشر أن يحدد درجته من الخسة و السفالة و لا فى طوعه أن يحيط بكنه الفساد الذى ضرب فى طمع شخص يقدم على مثله و لا توجد كلمة و لا جملة و لا كتاب يفى ببيان حاله سوى أن يقال خائن ملته و وطنه.

أولئك أشخاص كثيراً ما يوجدون فى الأمم المعتلة، يشبه أن يكون منهم صاحب جريدة «أوده أخبار» التى تطبع فى «لكنهو» من بلاد الهند، أنفض رأسه و رفع عقيرته على جريدة «امير تابازار برتركا» التى تنشر فى بلاد - بنجاله - كتبت هذه الجريدة «البنجالية» فصلا بينت فيه سوء معاملة الحكومة الإنجليزية الهندية و خشونتها على الهنديين و إهانتها لهم و إجحافها بحقوقهم و حرمانها لهم من خدمه أوطانهم و إقتالها عليهم بالضرائب الباهظة و استئثارها بجميع ما يكسبون من كدهم و تعبهم مع احتكارهم جميع ينابيع الثروة مما أوجب شدة الضيق و الضنك فى عامة الأقطار الهندية و كان سبباً فى انحراف قلوب الهنديين عن الحكومة و نفرتهم منها.

ثم انبعث هذا بقولها: فليس لحكومة الهند بعد ذلك كله أن تترجو مساعده رعاياها لها عند وقع حرب بينها و بين الروس و لا أن تؤمل فى العساكر الهندية بذل أرواحهم فى الدفاع عنها، فإن الجند يشركون الأهالى فيما ألم بهم و يألمون كما يألمون، و ليس من الحق لحكومة بريطانيا مع سلوكها هذا أن تلوم الهنديين إذا آثروا عليها دولة الروس و اختاروها حاكمه لهم، هذا مجمل ما قالت و أقل ما كان يترتب على هذا الكلام و أمثاله من الفوائد هو تنبه الحكومة الإنجليزية لما خرجت به قلوب الأهالى و أخرجت صدورهم فتعدل مشربها و تقوم منهجها مع الهنديين و ترفع عن كواهلهم بعض الضرائب الثقيلة و تمنح الوطنيين بعض الوظائف فى الدوائر الملكية أو العسكرية و تكف عن إهانتهم و تذليلهم ليكون لها عدة إذا دهمتها أم صبور (الداهية أو الحرب الشديدة) من جهة الشمال. و كان على الهنديين خصوصاً أرباب المعارف منهم أن يؤيدوا القائل فى قوله أو يحمدا له سعيه أو يتركوه و شأنه، لعل خيراً كثيراً أو قليلاً يستتبع ذلك لأوطانهم و أبناء أمتهم، ولكن وا أسفاً بدل

هذا يلتوى صاحب جريده (أوده أخبار) و يجور عن جاده الصواب فى تقرير الجريده البنجالية و تعنيفها ثم يطلب من الحكومه الإنجليزية أن تمحو حرية الجرائد من بلاد بنجاله، و هذه الجريده و إن وصفها مقوم الجرائد فى الهند (مدير المطبوعات) بأنها متملقه معمهه للحكومه، إلا أنه ما كان يخطر ببالنا أن تنحط و تسفل إلى هذا الدرک و لا أن ترتكب فى تملقها هذه الجريمة العظمى و هى طلب محو الحرية فى البنجاله و صد أبناء وطنها عن التنبيه على بعض حقوقهم و شكايه شىء من أرزائهم، لا حول و لا قوة إلا بالله.

### ترکيا

ليس فى التعلات أعجب مما يتعلل به الإنجليز و لا فى المحاورات أغرب مما يستدلون به. لا مقدمات بينه و لا حجج قيمه و أقوى ما يكون من أدلتهم أولى به أن يكون فى معرض الهزل من أن يكون فى جانب الجد. ولكن أغرب من جرأتهم على الجهر بمداعبه الأمم بما هو أشبه بالترهات إصغاء الأذان لما يقولون و انصراف الأذهان عن بيان الهجو فيما يوردون و إظهار الوهن فيما به يتعللون ليتهتك الستار عن أغراضهم و تظهر خفيات مقاصدهم و ترتفع الريبه عنم يخدعون بملاعباتهم.

إن الإنجليز ساقوا جيشاً إلى مصر و بوءوه أرضها مدّه لا تزيد على سنتين، فكان حلول جيشهم سبباً فى انحلال النظام و اختلال الأحكام و عموم الفساد فى أرجاء البلاد حتى صار الناهبون و قطاع الطرق على نحو الجيوش المنظمه سرايا و كتائب تزحف للغاره على القرى و البلدان ضاحيه بلا استتار، و سرى الاختلال فى عموم الأعمال الإداريه و القضائيه ففقدت الأمنيه على الحقوق كافه و سقطت البلاد بسبب ذلك إلى درک من الضيق و العسكر لم يكن يخطر على بال، و ما كان شىء من تلك الفظائع و لا واحد من هذه المفاسد و لا قليل من هاته الشدائد موجوداً أيام الحركة التى سموها فتنه عسكريه و اخترعوا منها دليلاً على الفوضى و زعموا فيها وسيله للتداخل بعساكرهم.

حاله مصر شاهده على أنه لم يكن للاختلال فيها اسم و لا للفوضى أثر إلا بعد ما وطىء الإنجليز أرضها، و مع ذلك يزعمون أنهم ما أتوهم إلا لتقرير الراحة و إصلاح النظام و إزالة الفوضى، و يريدون أن تمتد إقامتهم فيها إلى أجل بعيد ليتمموا القصد الذى أتوا إليه و شرطوا جلاءهم عنها برسوخ الأمن و انقطاع شأفه الاعتداء و اجتماع خواطر الأهالى على الرضى بما يرسم عليهم من السائدين فى ديارهم و التسليم لما يقضى به فيهم - ألا يعجب من هذه التعله!! - هل يوجد أبه فى أى أمه يظن فى المصريين الركون إلى السكينه مادام الجيش الأجنبى متبوناً ديارهم؟! أليس وجود عسكر أجنبى تحت أنظارهم كافياً فى نفره قلوبهم و ازدياد شغبهم؟! - الطبيعه تحكم باستحاله ما يطلب الإنجليز منهم، و التجربه من مدّه سنين طبقت بين الحكم العقلى و بين الواقع الحقيقى - هل يمكن سلامه خواطر المصريين من القلق بعدما علموا أن الإنجليز لم يفتتحوا بلداً من بلاد الشرق إلا

تحت رايه هذه الحجج و على هذه الطريقه التى يسلكونها فى مصر؟! و هل كان لهم سلطان فى جهه من جهات الشرق إلا بدعوى أنهم يريدون فيها الإصلاح ثم ينجلون عنها أتقياء الراحة أعضاء الذبول؟!!

ماذا يريد الإنجليز من تقرير الراحة بعساكرهم فى مصر؟ هل يريدون مكافحه اللصوص حتى يقهروهم على طرح السلاح و يقوا الأهالى شرهم؟! إن كان هذا قصدهم فياخييه الأمل، فإن شيئاً من هذه الفظائع لم يكن إلا وجيوشهم نازلهً بالبلاد، فكأنما كانت تلك الجيوش مثاراً لهذا الفساد مضى عليها سنتان و هى فى معاقل مصر و هبت أعصار سوء بقدمها، و كلما طال الزمن زاد الخطر و قويت عصابات الشر، فماذا قيل يكون منها فى ثلاث سنين و نصف إلا مثل ما كان من أثرها فى سنتين أو أشد فتنة. فكيف يعقل أن يكون بقاؤها فى مصر مفيداً لرد الأمن إليها، و هل تكون علل المفاسد مجلبهً للمصالح؟! نعم يكون هذا إذا قيل إن حصو الرمضاء يطفئها أو إن وقود النار يخمدها، هل يقصدون من تقرير الراحة إخماد فتنة السودان؟! إن صح هذا القصد منهم فمتى سعوا إليه و أى جيش ساقوه و أى قوة وجهوا بها لتكسر سورة الثورة و تمحو أثرها. تهافتوا بجيش عظيم على منازل رجل من رجال محمد أحمد (عثمان دجمه) فى سواحل البحر الأحمر فما كانت إلا مهارشه هرت فيها العساكر و بلغ صوت وقوف القواد إلى أقاصى المسكونه و ارتد بهم الذعر إلى البحر و قفلوا إلى ديارهم يتلفتون إلى ما وراءهم خوفاً و رهبة. كان الواجب أن يتبعوا عثمان دجمه إلى بربر و الخرطوم حتى يبددوا جنده و يلحقوا به صاحب الدعوة. فإن عجزوا عن الكل فلا أقل من أن يأتوا على البعض، فما الذى صدهم عن سبيل القصد؟ لو كانوا فيه من الصادقين رجعوا و تركوا چوردون باشا فى فم التنين ثم التجئوا إلى ملك الحبشه ليثيروا به حرباً صليبيه تسود بها وجوه الكاذبين الذين يزعمون أنهم دعاه الإنسانية و رعاة التمدن. فماذا يكون من عساكرهم لو أقامت فى مصر أضعاف ما أقامت؟! أظن لا يختلف المستقبل عن الماضى إلا بعظم خطوبه و اشتداد نوبه.

هل يبتغون المحافظه على حدود مصر الأولى و حمايتها من هجمات السودانين و يقفون عند حد المدافعه و لا يذهبون إلى ما وراء ذلك؟! إن كانت بغيتهم، فهى بغية البقاء فى مصر ما دامت مصر أو السودان سودان، لأن صيال الثائرين يتوقع فى جميع الأطراف من حدود مصر و أداموا قائمين بنشر هذه الدعوة، بل كلما طال الزمن اشتد خطرهم و قويت أعضادهم، و كل كره لهم أو فره تقوم بها للإنجليز حجة فى ملازمه الحدود المصرية للدفاع عنها فلا يكون لحلول الجيش للإنجليزى بأرض مصر أمد ينتهى و لا أجل ينقضى. فما لهم ينبسون على الدول و الدوله العثمانية و المصريين بتحديد مدة الحلول إلى ثلاث سنوات و نصف مع سرد الألفاظ المبهمة كتقرير الراحة و حفظ النظام و إعادة الطمأنينه إلخ مما يسمع و لا يفهم؟!!

و ليس من المبالغة أن نقول إن حلول الجيش الإنجليزي كان و سيكون من أعظم الأسباب لقوة محمد أحمد و لولا وجود العساكر الإنجليزية في مصر ما تمكن الرجل من الجهر بهذه الدعوة العظيمة، و لقد كان يتبرأ من نسبتها إليه أيام كانت الحكومة المصرية خالصة للمصريين، بل ما كان يجد أحداً يلبي دعوته أو يدخل تحت رايته.

هذه تواريخ الأمم و هذا سير طبيعة الكائنات ترشد المستبصرين إلى أن مثل هذه الدعوة لا يقوم قائمها في أمة إلا عند اشتداد الخطوب عيها و زحف الأعراب إليها.

أى حجة لمحمد أحمد في دعوة الناس إليه و أى نفثة تجمع القلوب عليه أقوى من أى يقول إن الإنجليز من نيتهم الاستيلاء على أرض مصر و هى فى عداد الأراضى المقدسة و باب الحرمين الشريفين و مهد العلوم الدينية و دعامة القوة الإسلامية فمن كان يؤمن بالله و رسوله فليجب داعى الله فى مدافعتهم، و إنقاذ البلاد من رجسهم. و هذا الكلام مما يزعج قلب كل مسلم و يبعثه على الاتفاق مع صاحب النداء. هل يتوهم بعد سقوط الخرطوم و جيش الإنجليز حال بأرض مصر أن تقف دعوة محمد أحمد عند تخوم محدودة و هو الزاعم أنه منقذ المسلمين. هل يبعد عند العقل أن يمتد لياق شعلته إلى أقطار إسلامية يخشى الإنجليز منها غائلة الفتنة كما يخشونها فى الهند. قد نرى الحالة أقرب إلى المخافة منها إلى الأمن و سيلعم الإنجليز أنهم كانوا أحوج الناس إلى السلم و أفقرهم إلى القناعة.

أى قوة تقف هذه الدعوة و تحجبها عن الانتشار بل تردها على قائلها و تذهب بها كأن لم ينطبق بها لسان أو يذعن لها جنان. ليس لقوة أن تأتى بهذا الأثر على أحسن وجوهه إلا قوة العثمانيين و أولى العزم من المصريين - هو تظن دولة بريطانيا أن عقد مؤتمر لتصفية الدين المصرى يبطل سير محمد أحمد أو يخفف من وطأته أو يرده على عقبه فتتال مقصودها و تصيح آمنة مطمئنة فى ديار مصر؟ إنها إلى الآن فى عجز عن إرضاء الدول بقبول الأصول الابتدائية التى تحب أن تكون موضوعاً لبحث المؤتمر - إن تصفية الدين المصرى يهيم إنجلترا وحدها و لا نظنه يهيم الدول و لا يهيم محمد أحمد، و إنا نرى الدول خصوصاً دولة روسيا و النمسا و الأمة الفرنسية مهتمة كل الاهتمام بكشف مقاصد الإنجليز و النباش عن غاياتهم فيما كانوا شرطوه من تخصيص البحث بالمسائل المالية، حتى إن شدة المعارضات و كثرة المفاوضات و الاشتداد من الدول فى طلب تعميم البحث فى المؤتمر ليحيط بجميع فروع المسألة المصرية أحدث شكاً عند صاحب جريدة التايمس فى انعقاد المؤتمر و دفع بالمسيو جلادستون إلى ربكة شديدة فهو من أمره فى حيرة لا يهتدى إلى ما يسكن به خواطر الدول بل و لا ما يقنع به أوداءه المخلصين، بل و لا ما يوفق به بين زملائه فى الوزارة لتفرق كلمتهم و تباين آرائهم. أما قائم السودان فهم فى إعراض عن كل هذه المجادلات و إغضاء عما يكون فى عرضها من المحاولات. سواء عنده انعقد المؤتمر على رغبة الإنجليز أو على وفق الآراء العمومية. و

هو مغذ في سيره ذاهب وراء فكره و لا يمر يوم من أيامه إلا و نسمع فيه بخبر فتح أو حديث زحف حتى جاءت الأخبار الأخيرة بدخوله عاصمة السودان (الخرطوم).

و ورد في برقية من القاهرة إلى (الدلي تلغراف) بتاريخ ٣ يوليئه أنه وصلت رسائل من بعض عساكر السودانين و هم في مدينة الخرطوم إلى أناس يوثق بهم في القاهرة ذكر فيها أن حامية المدينة ضعفت عن دوام المدافعة و أعلن محمد أحمد بتأمين جميع السكان على أرواحهم و أموالهم و أخذ على نفسه وقايتهم من كل ضرر يتوقعونه، فبضعف الحامية وثقه الأهالي بوعد الفاتح فتحت المدينة بغاية السهولة في نهاية شهر مايو بدون سفك دم، و أن كثيراً من الإفرنج أسلموا و أن چوردون مع كونه مستمسكا بدينه و لم يبدل دخل في أمان الفاتحين وسيق إلى محمد أحمد محفوظاً لم يمسه سوء.

و في خبر آخر بالتاريخ عينه أن القسيس (سوقارو) و كهنة الرسالة الكاثوليكية في السودان وردت منهم أخبار من أهالي الخرطوم تفيد أن المدينة فتحت و وقع چوردون أسيراً و ما زال إلى الآن على قيد الحياة. و نقلت جريدة (الدلي تلغراف) أن تاجراً في القاهرة أتاه كتاب من جنوب بربر يخبره أن الخرطوم مفتوحة الأبواب لمن يقصدها بالتجارة و إن كانت في قبضة جيوش السودان، و في رسالة من مكاتب التان بسواكن أن جماعة من الوجهاء في مدينة الخرطوم دفعتهم الحمية للانتقام من چوردون أخذاً بثأر الضابطين الذين قتلها بتهمته الخيانة (حسين باشا و سعيد باشا) فهجموا عليه و قتلوه ثم اتفقوا مع المحاصرين على تسليم المدينة فدخلوها آمنين، و يزعم المراسل أن للحكومة البريطانية علماً بهذه الحادثة من زمان طويل إلا أنها كتمته خفية هيجان الأفكار عليها، و نحن لا يهمننا موت چوردون و لا حياته و لا راحته و لا عناؤه و إنما يظهر من كل هذه الأخبار أن الخرطوم أصبحت سودانية لا إنجليزية و لا مصرية. فإن تمكنت وزارة مسيو جلاستون من تنفيذ المستفيض من هذه الروايات فربما يصعب عليها المكابرة فيما يعقبها. إن شوكة الداعي تقوى بعد فتح الخرطوم و تمهد له سبلا عديدة للوصول إلى مصر العليا أو السفلى، و إن تأثير دعائه يقطع مسافات بعيدة في هنيهات قصيرة.

ماجت خواطر المصريين واهتزت قلوبهم لسماع هذه الأخبار و ربما نسمع بعد اليوم أن ريح الجنوب حملت قسطاً تثيره سنابك خيل الفتنة و جاوزت به حدود مصر، فإن كان هذا شأن الحركات في بلاد السودان فتعليق الإنجليز جلاءهم على انقطاعها يشهد برغبتهم في الاحتلال الدائم ما بقى محمد أحمد و ما بقيت له خلفاء، على أننا نرتاب في قدرة عساكرهم على صيانة التخوم المصرية، فقد ظهرت نهاية قوتها على سواحل البحر الأحمر. نعم ربما يختلج بخواطر الوزراء البريطانيين أن يخدموا الدولة العثمانية و يحملوها على الحكم بعصيان محمد أحمد و تضليله ليحولوا القلوب عنه ثم يجنوا الثمرة كما جنوها من الحكم بعصيان أحمد عرابي، ولكن قد تبين



الرشد من الغى و ظهر للدولة العثمانية سوء طويته الإنجليز و عدوانهم على حقوقها فليس من المحتمل أن تتخددع لهم مرة ثانية و لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، كما أنه يشبه المحال أن عثمانيا يجوز سوق الجيوش العثمانية إلى السودان لتذليله و عساكر الإنجليز فى قاهرة، ينتظر العثمانيون بعد انقضاء الفتنة نهاية المراوغات الإنجليزية حتى تتول مسألة مصر إلى مثل ما آلت مسألة بوسنة و هرسك مع دولة النمسا، فعلى العثمانيين و أصحاب العزيمة من المصريين أن يجمعوا أمرهم على كشف هذه النازلة صوتاً لأوطانهم و لالتقاء شر ربما يحدث فى جهات أخرى، فإن قضى حرص دولة الإنجليز بصد أرباب الحقوق الشرعية عن أداء المفروض عليهم جهلاً منها بمصلحتها نفسها و بمصالح تلك البلاد، فعلى العثمانيين أن يقيموا الحجة بسيفهم و جيوشهم لا بالرقائم و الأوراق فإن هذا فساد لو أهمل لعم و عمت زواياه و لا نطن أن دولة بريطانيا تثبت على نفختها هذه فإنها ستشتغل بداخل البيت عن خارجه بعد قليل.

لسنا نقول ما نقول جزافاً، ولكن دعوه القائم السودانى أشربت قلوب الأكثرين فى الهند و بلوچستان و أفغانستان، و قد علق شرر الثورة بأهداب الخواطر فلا تلبث أن تلتهب فللدولة العثمانية أن تمد نظرها إلى أعماق المسألة و تقدر قوة الإنجليز و أهبتهم العسكرية مع ملاحظة ارتباكاتهم فى ممالكهم و ظهور عجزهم و ضعفهم فى الحوادث الأخيرة و مراعاة آراء الغالب من الدول العظيمة و بعد الإحاطة بهذا كله و هى أسهل من كل سهل تظهر عزمًا ثابتًا و بأساً قويا يليق بدولة عظيمة كدولة آل عثمان طالما ظهرت على يديها خوارق العادات، و لله الأمر من قبل و من بعد.

### الباب العالى

ذكرت جريده استنداران معارضة الباب العالى لمطامح إنجلترا ليست قاصرة على الممانعة فى جعل مصر حكومة بلجيكية فى إفريقيا تحت حماية الدول، كما فى عزم جلادستون أن يعرضه على المؤتمر. بل صرحت الدولة العثمانية لسفيرها فى لندن مرزوس باشا بأنه متى وضعت لائحة جلادستون موضع البحث فى المؤتمر بعثت إليه بتعليمات للمعارضة الشديدة فى هذه المادة و كل ما يكون من قبيلها (ما يمس حقوق الدولة و المصريين)، و لا نرتاب فى أن الدولة العثمانية بعزمها هذا قد قامت بفريضة شرعية ومثلها من يقوم بها فى مصر و فى سائر الممالك العثمانية فإن كل ذى بصيرة يدرك أن صيانة جزء من ممالكها موقوف على صيانة الآخر و التفريط فى شىء منها يحدث الخلل فى الباقي. و كفانا عبرة أن مجرد طلب جلادستون لحرية قناة السويس حمل دولة الروس على طلب بوغاز البوسفور كما ذكرته الجرائد الروسية و دعا بعض سياسىي الروس أن يقول إن المسألة المصرية قد صارت الآن مسعراً للمسألة الشرقية. و لا نطن شيئاً من هذا يخفى على عقلاء العثمانيين.

«رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا» [الكهف: ١٠]، ربنا اشرح صدورنا لما فيه خيرنا و خير أهل ملتنا أجمعين. اللهم إنك تعلم خيرنا و فلاحنا فى اجتماعنا و ائتلافنا، و ارتباطنا بعلائق ديننا، و اعتصامنا بحبلك المتين، اللهم كفر عنا سيئات التفريط فيما أوجبت علينا من ذلك بالهداية إلى الإنابة و الإعانة على تلافى ما فرط و القيام بالمستطاع مما فرضت.

مضى زمان فرط فيه الهنديون عند تداخل الإنجليز فى شئونهم فتدابروا، و حول كل وجهه عن الآخر، و لم يصغوا لدعوة الله فى طلب الاعتصام بحبله. فذاقوا و بال أمرهم، و سقطوا جميعاً تحت سلطة الدولة الإنجليزية، و سادت عليهم و اتخذت السادات منهم خدماً لرجالها و خولاً بعد أن كانت تدعى أنها خادمة لهم أمانة فى الخدمة، و لم يهن لها أن تكون سيده عادلة، بل تجاوزت فيهم حد العدل، و استبدت عليهم ظالمة جائرة، فلما لفحتهم نيران القسوة، أقبل بعضهم على بعض و نهضوا جميعاً للتملص من أغلال ظالمهم، من نحو أربع و عشرين سنة إلا أن إخوانهم الأفغانيين و البلوچيين و الإيرانيين كانوا فى غفوة عما نهضوا إليه و لم يمدوا لهم يد المساعدة، بل كان الإيرانيون فى حرب مع الإنجليز ولكن لم يواصلهم الهنديون و لم يرتبطوا بهم فى التعاون على شأنهم كما أنهم لم يرتبطوا فى ذلك مع العثمانيين، فإهمال جيرانهم، و رسوخ أقدام العدو بينهم، كان سبباً فى تغلب الظلمة الأغرأب عليهم، و لو عقل المهملون لعلموا أن العدو أن العدو إذا تمكن فى الهند قويت شوكتة ثم كر عليهم، و أوقع بهم ما أوقع بإخوانهم.

بعد هذا زحف العدو الغربى على بلوچستان و اشتغل معها بالمنازلة، و فرط الأفغانيون و الإيرانيون فى تعضيدهم، فتم له بذلك أن يسود فى جزء عظيم من أراضيهم ثم انقلب على الأفغانيين و كانت بينه و بينهم حرب هائلة، امتد زمنها نحو سنتين و ما نبض فى الهنديين عرق، و لا امتد من الإيرانيين ساعد، و لا كانت بينهم و بين العثمانيين صلة، و لو كان لجميعهم بصر بالعاقبة لأذركوا أن حياة كل منهم معقودة بحياة الآخرين، بالغ الخصم فى تطاوله حتى اعتدى على الممالك العثمانية بسوق جيوشه إلى الأقطار المصرية التى هى أعظم أياله من إيلات العثمانيين، بل أهم أقطار المسلمين، و هو الآن محاولة الاستيلاء على تلك البلاد، و الاستبداد بالحكم فيها غير مبال بحقوق الدولة العثمانية، و لا محترم ولايتها الشرعية، و كان المسلمون لبداية الأمر على مثل تفريطهم السابق غير ملتفتين إلى ما حل بهذا القطر الإسلامى العثمانى، ظناً منهم أن العدو يصدق مرة فى وعده أو يخشى عاقبة سوء من طمعه، فلما رآه غريقاً فى غيه، متغلغلاً فى سيره، مغرواً بقوته، ناصباً لحبالته، اهتزت رواسيهم، و تحركت ثوابتهم، و تنبهوا من سباتهم، و ندموا على ما سلف من سابق التفريط، و أحسوا أن ما أصاب اليوم بعضهم فلا بد أن يمس يوماً جميعهم، فصارت المسألة المصرية سبباً فى احياء الإخوة الدينية، كما بشرتنا به الرسائل الواردة إلينا من فارس و الهند و أفغانستان، فلو تهادى

الإنجليز في حرصهم، وحملهم الشره على غمط حقوق العثمانيين، وثبتت الدولة العثمانية في المدافعة والمطالبة، لوجد لها من المسلمين القادرين على نكايه الإنجليز من يقوم بنصرها أداء لما أوجب الله عليه.

و إنا بعد أداء الشكر لأولئك المؤمنين الصادقين، على ما أظهروا من حميتهم الدينية التي أشارت إليها رسائلهم، نرغب إليهم أن يحافظوا على وحدة العقيدة العامة و جامعة الشريعة الحققة و أن يصغوا إلى أصوات الغيلان التي تناديهم في الليالي المظلمة، بما يحاكي أصوات الإنس و إنما هي أصوات مرده الشياطين، يبتغون تفريق الكلمة، و تشتيت الشمل و إخماد الغيرة، و نسأل الله تعالى ثباتاً للمسلمين على أصول الاتحاد، و قواعد الألفة، و أن لا يميل بهم الهوى إلى جعل الاختلاف في المسائل الثانوية، سبباً في حل الجامعة الإسلامية، التي قوامها الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر، و أن لا يجعلوا هذا الخلاف ذريعة العدو إلى محق ملتهم و إفساد ولايتهم، و الله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل.

#### حيلة إنجليزية

ذكر كثير من الجرائد الهندية، و فيها جريدة (أخبار عام) أن عدداً وافراً من الإنجليز يدخلون في دين الإسلام، في هذه الأيام، و كثرت الظنون في هذا العارض الجديد، الإجماع على أن ليس الباعث عليه حسن العقيدة في هذا الدين، و الإذعان لأحكامه القدسية، و إنما القصد منه أن يخدعوا المسلمين بمشكلاتهم، ليركنوا إليهم، و يحسنوا الظن بهم، فييحوا لهم بما تكنه صدورهم من خواطر الميل إلى دعوة محمد أحمد السوداني، و هذا يدل على أن هذه الدعوة أخذت من قلوب الهنديين، و عظمت منزلتها فيهم، و توقع الإنجليز شرا من فشوها، و امتداد شهرتها، بين مسلمي الهند، و طلبوا للاحتياط هذه الوسائل، و قالت بعض الجرائد: إن الخشية من الإذعان لدعوة السوداني قد انضم إليها الرهبة من قرب الروس لتخوم الهند، فكان من مجموعهما فرع شديد حمل الإنجليز على التودد للمسلمين، و الظهور في مظاهر العدول المنصفين، بل الأصفياء المخلصين، حتى إن الإخلاص و العدالة تحمل الكثير منهم على التدين بالدين الإسلامي ليملكوا بذلك قلوب السذج، و يحصوا بعض الصدور من الحقد عليهم، و يثقوا به شرا عاجلاً أو آجلاً، ولكن الصيف ضيقت اللبن.

كان يمكن لهم ذلك بالاعتدال في السطة، و الأخذ بشيء من النصفة قبل اقتراب النكبة، أما الآن و قد أوغرت الصدور غلا، و وقرت القلوب أحقاداً، و تحقق عند الكافة من المسلمين، بل و غيرهم من الهنديين، أن الإنجليز لهم في كل مصلحة مفسدة، و في كل حسنة سيئات، و في كل صفاء دخل، فهم الخادعون الخائنون، بل هم الكاذبون المنافقون، هذه صفاتهم لم يبق فيها ريبه عند مسلم، فلا تفيدهم الحيلة أدنى فائدة، و لا تعود عليهم إلا بأسوأ عائدة، و لا ينالون منها إلا وقوف المسلمين على غاية سيرهم عند عجزهم، و ازديادهم بصيرة في أمرهم، و يقينا بضعفهم، حيث لم يبق لديهم

من الوسائل إلا خلع دينهم، و الدخول فى دين المسلمين إرضاء لخواطريهم، و لسنا فى حاجة لتحذير المسلمين منهم، فإن لنا يقيناً بأنه لا يوجد مسلم فى أقطار الهند جميعاً إلا و هو على علم تام بما يريد به حاكموه من الإنجليز، فما هو بمؤمن لهم حتى و لو كانوا صادقين.

### وداد الإنجليز للمسلمين

يظهر من الرسائل و البرقيات الواردة من القاهرة أن الإنجليز وفقوا لإلهاب حرب صليبية بين الحبشة و مسلمى السودان، و الله يعلم ماذا تكون العاقبة إذا طار شررها. ربما لا يوجد مسلم يعتقد بدين محمد - (صلى الله عليه وآله وسلم) - إلا و يسعى ببذل روحه و ماله لإحباط أعمال الإنجليز ورد كيدهم، خصوصاً مسلمى الهند المغرورين بخديعة حكامهم، و دعواهم أن دولتهم نصيرة الإسلام، و حليفة الدولة العثمانية، فمما نقلته الأخبار بتاريخ ١٩ يونيو سنة ١٨٨٤، أن من أحكام الاتفاق الذى عقده الأميرال هفت مع ملك الحبشة أن تكون مصوع مباحة لإرساء المراكب الحبشية ابتداء من شهر سبتمبر. فإما أن يكون هذا بنزعها من أيدي المصريين، بل العثمانيين، بل المسلمين و جعلها بلداً إنجليزية يبيحها الإنجليز لمن شاءوا و يمنعونها من أرادوا، و إما أن يكون بتقديمها أقطاعاً للمك الحبشة، و من أحكامه أن يأذن الملك للحامية المصرية أن تقيم حصوناً على حدود مملكته حتى إذا هجم السودانيون عليها باعتبار أنها حصون مصرية تدرع الملك لمواثبتهم بدعوى أنها فى حدود بلاده فتشرب الحرب و يحمى و طيسها بين مسيحي الحبش و مسلمى السودان، و لما كان غرض الحكومة البريطانية أن تضم مصر و ملحقاتها إليها كما يدل عليه اهتمامها بمد سكة الحديد بين سواكن و بربر، أخذت على الملك عهداً بقبول ما تحكم به ملكة إنجلترا عند عروض مشكلات بينه و بين الحكومة المصرية و إن جرى الحكم على العرف و لم تلاحظ فيه الأصول السياسية، هذه هى الدولة التى بلغ الخافقين صوت دعواها أنها حامية الإسلام و المسلمين، و ظهيرة للعثمانيين، فليعلم كل مسلم أن من نيتها انقراض هذا الدين و أهله من وجه الأرض و إن لم يكن ذلك عليها ييسير.

### التهتك فى الحيلة

اشتهرت دولة الإنجليز بخلافة الشرقيين و أخذهم بالروبة<sup>(٢٣)</sup> حتى وضحت سبلها من كثرة ما طرقت، و انقلب وجه الحيلة فظهر مستورها، و عادت تشبه الهيئات الصبيان، و الأعيب الأطفال، يدرك سرها الذكى و الغبى، من يوم كان اللورد دو قرين فى القاهرة لكشف حالة مصر و تقرير نظامها لحكومتها (كما يزعمون) لوح للحكومة بترك السودان، ثم جاء من بعد الماچور بارنج و أزم الحكومة بالتنازل عن حقها فيه، لأنه يكلفها نفقات و افرة ليس لها عوض من الفائدة، فامتثلت

الحكومة أمر غالبها و همت بإخلائه و لم تلابس عملها حتى صدرت أوامر الدولة البريطانية بتعيين الجنرال چوردون للقيام بتخليه السودان، فتكون المنه على السودانين فى استقلالهم (الموهوم) لدولة بريطانيا، و تكون الصلة بينهم و بينها خاصة، و ما وصل الخرطوم إلا و أقام محمد أحمد أميرا على كوردفان، و أخذ فى إرجاع الولايات السودانية لملوكها الأقدمين أو أبنائهم، و لم يكن القصد من هذه الزغزغه إلا أن يكون السودان بعد تنازل المصريين فراطه لا حق لأحد فيه فىأخذه السابق إليه بدون أن تعترض فيه المشكلات السياسية لىتيسر للإنجليز عاجلا أو آجلا أن يستولوا عليه و ينزعه من أيدي أمرائه الصغار، و يكون فيه بعض العوض عن مصر لو صدتهم مقاومات الدول عنها كما أشرنا إلى ذلك فى أحد الأعداد. و فى هذه الأزمان الأخيرة أخرجت حكومة إنجلترا من جرابها العوبة أخرى، و مثلت من ضيق چوردون فى الخرطوم سببا عظيما لتمهيد طريق يوصل الجيوش لتخليصه، فأصدرت أوامرها إلى أحد المصانع الكبيرة بإعداد الآلات، و تعيين المهندسين و الصناع، ليسيروا إلى سواحل البحر الأحمر و يباشروا مد سكة حديد من سواكن إلى بربر كما ذكرت ذلك جريدة (البال مال چازيت) و تزعم أن لا باعث لها على ذلك إلا الرغبة فى تخليص چوردون، إن كان چوردون فى خطر و يحتاج فى إنقاذه إلى إرسال الجيوش، فهل يبقى حيا إلى أن تمد سكة الحديد و تخرق الجبال و الأدوية و تسير عليها العربات حاملة الجيوش، مع أن الأخبار قد أشارت إلى وقوعه أسيرا أو هلاكه قتيلا، إذا فرضنا هلاك چوردون (كما هو الغالب) أو خلاصه فهل تهدم دولة إنجلترا طريق الحديد، و تنقض بناءها بعد إنفاق النفقات الواسعة عليها، أو تتبرع بهبتها للحكومة المصرية سخاء و جودا؟ كلا و الله لا هذا و لا ذاك ولكن أخذت أقرب الطريقين للاستيلاء على السودان، فإن مد الطريق الحديدية فى تلك الجهة يسهل لها الولاية على السودان الشرقى، فإذا استقر لها الأمر فيه وصلته بالغربى و لم تلاق فى ذاك صعوبة، على أنها فى خلال المدة بعد مد السكك الحديدية تستفيد أعظم فائدة جوهرية من مواصلة البلاد السودانية، فإنها تفتح للتجارة الإنجليزية بابا و تغلق، بصفته باب المنفعة عن مصر فتأتى بضائع البن و نحوها هما يحتاج إليه السودانين من إنجلترا إلى سواكن، و من سواكن تذهب إلى السودان، بدون أن تصل إلى أيدي المصريين، و تنقل الأصناف التجارية السودانية من داخل السودان إلى بربر ثم تحمل إلى سواكن و تصدر إلى أوروبا و لا يراها مصرى. فإذا تولى الإنجليز مصر (لا قدر الله) حرموا الوطنيين من الاشتراك معهم فى تجارة السودان (و هى من أعزر ينابيع ثروتهم التجارية) و إذا ألجأتهم الحوادث للجلاء عنها فقد اختصوا بمادة المنفعة التى يمكن أن تأتى من أقطار السودان و بذلك يتقوض كثير من بيوت التجارة فى الأقطار المصرية، و يعدم بخرابها آلاف مؤلفة من النفوس فليس حقيقة الغرض من مد سكة الحديد من سواكن إلى بربر إلا التوصل إلى ينبوع متدفق من ينابيع الثروة المصرية، و

تحويل مجراه عن مصر إلى جزائر بريطانيا. و سنأتى على تفصيل الخسائر التى تلم بأهالى مصر من مد هذه السكة فى عدد آخر.

هذه إحدى خطيئات الإنجليز الذين بعد استيلائهم على الهند حظروا على الأهالى فى جميع ممالكهم أن يعاجلوا زراعة الأصناف التجارية كالنيلى و نحوها، واختصت الحكومة الإنجليزية بزراعتها وزادوا فى المظلمة فحكموا على جميع الحكومات المستقلة التى يتولاها النوابون و الرجوات أن لا تزرع الأفيون بحجة أن الحكومة الهندية الإنجليزية تزرعه فلا يجوز لغيرها العمل فى زراعته كيلا تقل الفائدة أو لئلا يستفيد شيئا مما تستفيد. هذه آثار جورها يشتها خراب البيوت القديمة وفاقه العائلات الشريفة. فى كل بلد لها فيه أمر و نهى، و لا تزال ترد شرعتها هذه فى كل قطر تطأه أرجل رجالها قريبا أو بعيدا. فعلى البصير أن ينظر و على اللبيب أن يحظر.

### فرصة يجب أن لا تضيع

نشرت الدعوات و طلبت الدول العظام لعقد مؤتمر فى لندن بعد مفاوضات طويلة بين حكومتى فرنسا و إنجلترا. ماذا كان المؤتمر و ماذا نوت الحكومة الإنجليزية بالدعوة إليه؟ و ماذا كانت تقصد الدول من وجود نوابها فيه؟ و أية غاية كان يطلبها خريت السياسة اللورد بسمارك؟ انعقد المؤتمر ثم صار عقيما، و بقيت تلك المقاصد مكنونة فى صدور أربابها، كانت حكومة إنجلترا تطمح للاستيلاء على مصر باسم أمير مصرى. و حالت دون مطمحها المصاعب أزمانا حتى سنحت لها الفرصة المشثومة بتشويه وجه الحركة العربية فتيسر لها بتلك الحركة إرضاء الدول.

و استئذان الدولة العثمانية بالتداخل فى توفيقها. فسهل دخول مصر على نية أن لا تخرج. و هل يمج الظمان بارد الزلال من فيه!! ظنت أنها ملكت أرض مصر و وجدت عليها دينا ثقلا فرغبت تخفيفه لأنها ترى ما ينفق من خزائنه مصر إنما ينقص من خزائنه إنجلترا. و لم تقصد بتخفيفه رحمة الفلاحين. و لم يبعثها عليه الشفقة على المصريين. و عميت بصيرة من ظن بحكومة إنجلترا قصد المرحمة فى هذا أو فى غيره من الأعمال. قصدت تعمية الأمر على الدول لتنال منهم تصديقا على أعمالها فيتسع لها المجال فيما بعد، و بدأت باستمالة فرنسا و عقدت معها اتفاقا يوطن نفوس السياسيين على الرضاء بما تريد، ثم أنشأ السير بارنج لائحة للمالية أثبت فيها عجز مصر عن أدايونها. له لا أن رجال الدول كانوا احذق من أن ينخدعوا لعلمهم أن وادى النيل أحوج إلى العدالة و حسن الإدارة من تخفيف الدين. لم يخف على السياسيين أن مصر لو سلمت إدارتها لحاكم نافذ الكلمة قوى العزيمة واسع الخبرة بأحوال البلاد لوسعت قدرتها أداء ما عليها بل و ما يزيد عليه، و إن كان يثقل على دولة تجارية. قررت فى الاتفاق الفرنسى إطالة مدة حلولها العسكرية إلى ثلاث سنوات و نصف ثم تخرج على شرط اتفاق جميع الدول على خروجها فعلقته بما يشبه المحال

لتسهيل عليها المواردية ولكن لم يذهب على رجال السياسة فى سائر الدول أن بقاء إنجلترا فى مصر لا يزيدها إلا خرابا.

و لما انعقد المؤتمر كشف مسيو ديلنيير الفرنسى ما فى لائحة بارنج من الأغلط فشرعت إنجلترا فى تهديد فرنسا بالميل إلى ألمانيا. إلا أن السفير الألمانى و هو تلميذ البرنس بسمارك و لا يعمل إلا بإشارته كان أميل إلى فرنسا، فإن سياسة البرنس مبينة على التفريق بين فرنسا و إنجلترا (وقد حصل) فحصل اليأس لحكومة إنجلترا من تخفيف النفقة على الملك التى زعمت أنها ملكته، فحلت المؤتمر أو انحل بطبعه.

و صارت الدول الأوروبية فى جهة، و إنجلترا وحدها فى جهة أخرى<sup>(٢٤)</sup> و لم يكن من رأى الدول أن يقعوا آلة فى يد إنجلترا تستعلمهم فى قضاء أوطارها فطاشت جرائد الإنجليز غضبا على ألمانيا و أخذت تذكرها بأن استيلائها على الأزراس و اللورين إنما كان بمساعدة إنجلترا المعنوية، و هاجت الجرائد النمساوية و الألمانية، و صالت بالطنن و التجريح فى السياسة الإنجليزية، و اتفقت حكومة ألمانيا و النمسا على إلزام إنجلترا بتحديد أجل لدفع الخسائر التى نشأت عن ضرب الإسكندرية.

الحكومة الإنجليزية فى رجفة شديدة، و خيفة من سوء العاقبة، إلا أنها على عادتها تظهر الإقدام و تنطق بالحماس و توهم أنها غنية عن العالمين. عمدت إلى الاستقلال بتدويخ مصر، و تقرير سلطتها فيها و إخماد فتنة السودان، و ظنت أنها قادرة على كل ذلك، فجهزت القواد و عينت اللورد نورثبروك أعدى أعداء المسلمين و مخرب بيوت الشرقيين ليتولى العمل لدولته فى القطر المصرى. ولكن هيهات و هيهات. نترك الآن بيان ما يترتب على انفراد الإنجليز عن سائر الدول فى أمر مصر إلى عدد آخر و نقدم كشفا لجوهر حالهم العامة.

أولا: إن الإنجليز على عادتهم المألوفة إذا قصدوا الاستيلاء على قطر لا يصرحون بقصدهم حتى يتمكنوا فيه، و لا يبقى لهم منازع فى الداخل و لا فى الخارج، فلو فرضنا أن المصريين و الدول أجمعين اتفقوا الآن و طلبوا من إنجلترا أن تعلن بتملكها لمصر لامتنتت الحكومة الإنجليزية و أظهرت العفة و القناعة، و لظهر المستر جلادستون فى دلوق الزهاد و لصالح جميع الإنجليز من جميع الأحزاب.

٢٤. ما أقسى التاريخ و ما أعظم دروسه، فى يوم أمت مصر قناتها و ثارت ثائرة فرنسا و إنجلترا و غيرهما انعقد مؤتمر لندن عام

١٩٥٦ ليسترد القناة من أبنائها .. و كتب لهذا المؤتمر الفشل، و لأصحاب القناة الشرعيين النصر المبين.

أستغفر الله لا نريد سوى إصلاح البلاد و توفير خيراتها!! و تحت هذا الحجاب يتصرفون تصرف الملاك و يختصون بالوظائف العليا، و يديرون حكومة البلاد على رغبتهم، و ينقلون ثروتها إلى جزيرتهم، و يمزقونها قطعاً يهبون منها ما لا يهمهم لأعداء البلاد، ليعينوهم على تذليلها و استعبادها. و ثانياً: إن حكومة الإنجليز من أضعف الحكومات فى القوة العسكرية البرية، و أحد سلاحها التهديد، و أكبر قوتها التهويل، و وضع الأمور الصغيرة، تحت النظارات المعظمة، لترهب بذلك كل جاهل، و تخفيف كل غبى، لهذا لا تتمكن بدسائسها فى قطر إلا عند سكون أهاليه، فإذا نبذ الأهالى طاعتها، و عارضوها فى أعمالها، سترت ضعفها بترك البلاد لأهلها، فإن مقاومة الأهالى أشد بأضعاف مضاعفة من القوة العسكرية المجتمعة فى أماكن مخصوصة تحت قيادة رؤساء معينين، تنهزم بانهمهم، و ما جرى لحكومة إنجلترا مع الأفغانيين أعظم شاهد على ما نقول.

دخلت الحكومة الإنجليزية أرض الأفغان بستين ألف عسكري و استولت على المدن و كاد قدمها يرسخ فى البلاد، فلما قام الأهالى من كل صقع. و التحمت المقاتل فى جميع أنحاء أفغانستان، عجز الستون ألف عن الوقوف موقف الدفاع، و اضطرت حكومة إنجلترا بعد تسلطها ستين، و بعد صرف ثلاثين مليون جنيه إسترليني أن تطلب الأمير عبدالرحمن خان من روسيا بعد ما أقام عند الروسيين اثنى عشر سنة معززا مكرما و أن تقدم له أربعة ملايين من الجنيهات لينفقها فى إدارة بلاده و تركت له البلاد و ولت.

حكومة الإنجليز إنما تخضع لضرورة و للضرورة أحكام - فعلى قبائل العرب فى مصر و شمائخها أن يتذكروا شهامتهم العربية، و حميتهم الدينية و يقتدوا بالأفغانيين لينقذوا بلادهم من أيدي أعدائهم الأجانب الذين لو تمكنوا فى البلاد لمحقوهم و أذلوهم، و ليس من الفتنة أن ندعوهم إلى طلب الحقوق و الدفاع عن الدين و الوطن كما يظن بعض المتطفلين على موائد السياسة، وإنما ننادى على صاحب البيت أن يدافع عن حريمه و ماله و شرفه، و أن يخرج مخالبا عدوه من أحشائه، و هى سنة جرى عليها دعاة الحق، فى كل أمة، و تاريخ أوروبا القديم و الحديث، و تواريخ الأمم الشرقية أولها و آخرها تنطق بصدق ما نقول و على المصريين عموما و الفلاحين خصوصا أن يجمعوا أمرهم على أن يمنعوا الحكومة كل ما تطلب منهم و أن يرفعوا أصواتهم بنداء واحد قائلين لا نطيع إلا حاكما وطنيا مسلما نافذ الكلمة حازم الرأى قادرا على إدارة البلاد بقوة وطنية، و ليستصرخوا فى ذلك جميع الدول و يبرهنوا على قدرتهم، الأدلة على أن مصلحة الدائنين، لا يمكن حفظها إلا بإجابة طلبهم، فإن فعلوا هذا وجدوا لهم من الدول أنصارا، بل و من الجنس الإنجليزي نفسه!!



على الدولة العثمانية أن تتذكر أنه لو لا فرمانها بعصيان عرابي لما سهل للإنجليز أن يدخلوا أرض مصر<sup>(٢٥)</sup> و لا أصابوا هذه الغنيمه بارده، فلتنظر إلى قوتها و نفوذها و تلاحظ أن الحل على من عقد، و العقد على من حل. و لا تنس أن مصر حبه الممالك العثمانية كما بينا مرارا، و لا تغفل من النمسا و شرهها، و روسيا و طمعها، و فرنسا و آمالها، فمن الأمور الطبيعية أن المنافسه أو الموازنه تدعو الأقران إلى التسابق في الأطماع. و إذا فرط متساهل في أهل ملته فلن يجد منهم فيما بعد عوناً. لو تحرك العثمانيين لرأوا عوناً من جميع المسلمين خصوصاً و قد حصلت كدوره بين إمارة الأفغان و حكومه الإنجليز. بل نكرر ما قلناه مرارا من أن نفوذ العثمانيين في الهند يمنع الإنجليز من الجهر بعدواتهم البته. فهذه فرصه الإقدام فإن ولت الفرصه فربما يصعب التلافي، و لا يبقى إلا الندم، حيث لا ينفع الندم، وفق الله الدولة العثمانية إلى ما فيه خيرها و خير المسلمين، و بصرها بالرشد و كفاها شرور المفسدين.

### تنبيه

طلب إلينا أحد الأعاضم من ذوى الحل و العقد في المسلمين أن ننشر الجملة الآتية بنصها فها هي:

«وَأِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»

[التوبة:٣]

ملعون من يخون بلاده لمرض في قلبه، ملعون من يبيع أهل ملته بحطام يلتذ به، ملعون من يمكن الأجنب من دياره، محروم من شرف الملة الحنيفة من يعظم الصغير، و يصغر العظيم، و يمهد الطرف لخفض كلمته، إعلاء كلمة الأعراب، ملعون من يختلج في صدره أن يلحق عاراً بأمتة ليطم ناصباً من لذته. عجباً عجباً.

لا حول و لا قوة إلا بالله. هل صحيح أن خمسة ملايين سابقه و خمسة ملايين لا حقه تمكن الأجنب من مصر، و هي مفتاح الحجاز و باب الأقطار الشاميه. هيهات هيهات. أظن مريض القلب أن يترك حتى يأتي هذا المنكر؟! أظن أنه يعيش حتى يتمتع بما تكسب يده؟ أيتوهم أنه يبقى حيا على وجه الأرض و فيها مسلم؟! لا أظن أن يكون له حظ من البقاء، و لو كان في أبرج من الفولاذ. اهـ

**مطلوب من توفيق باشا أن يموت شهيداً!!!**

٢٥. هذا هو أول هجوم يشنه الأفغانى على الدولة العثمانية لأنها أصدرت فرمانها الخاص باتهام عرابي بالعصيان و نكست

حركته مما أدى إلى تسلل الإنجليز و استعمار مصر سبعة عقود!!!

يتوكأ الإنجليز عن توفيق باشا فى حركتهم بمصر، و يتخذونه آله لتخريب بلاده و هدم ملكه، و ما يكون من شر ينسبونه إليه، و ما عساه يوجد من خير يصلون نسبته بهم، و يردونه إلى أنفسهم، و فيما بين ذلك يبغضون إليه الولاية الإسلامية، و يجيبون إليه إغفال الأصول الدينية. و هو يميل معهم و يمدهم فى مقاصدهم و يطوع البلاد لهم بما بقى له من السلطة الصورية كما يتظاهر بالتدين و المحافظة على الصلوات. فإن كان باطنه يطابق ظاهره، و كان معتقداً بدين الإسلام، فعليه أن يتنحى عن الأمر و يترك الملك لمن يستطيع إنقاذه مما هو فيه فتبراً ذمته من العار الذى يلحقه و يلحق بيت محمد على من تصرفه، فإن لم يكن هذا فعليه أن يجهر بعقيدته، و يقاوم الإنجليز بما فى جهده، و يموت شهيداً فى سبيل دينه و وطنه، و إلا فليس يغنى عنه من الله شيئاً أن يظهر عند أهل خاصته و حاشيته أنه ناظم على الإنجليز كاره لوجودهم فى بلاد مصر و يودلو يخرجون كما أنبأنا به الأخبار الخصوصية من القطر المصرى.

إذا تمادى توفيق باشا فى سيره اللمتوى فعلى المصريين أن لا يقعوا صيداً فى يد الإنجليز بهذه الحباله الباليه و هذا الفخ الواهن، و لينظروا فى شؤونهم و ما توجه عليهم فروض دينهم، و إلا فما الله بغافل عنهم.

### هؤلاء رجال الإنجليز و هذه أفكارهم

تأخر صدور الجريده أياماً لضرورة ما مسنا من ضعف فى المزاج مع مصادفه رداءه الهواء فى البلاد الفرنسيه هذه الأيام، و الحمد لله على زوال المانع. إلا أننا مع ذلك لم نقصر فى أداء الواجب من العمل الذى قمنا به فى المدافعه عن حقوق المسلمين. فقد خلقنا و الشكر لله لهذا العمل و طبعنا عليه و نرجو ديان السموات و الأرض أن نموت فى هذه السبيل و أن نعث فى زمرة السالكين فيها. رأينا أن يذهب الشيخ محمد عبده (المحرر الأول لهذه الجريده) إلى لندن إجابة لدعوة من يرجى منهم الخير لملتنا، و من يؤمل فيهم صدق النية، فى رعايه مصالح المسلمين من رجال السياسة الإنجليزية. و ليستكشف مناصب الفخاخ السياسيه التى ما مرت قدم شرقى إلا سقطت منها فيما يعسر الخلاص منه، و ليسبر أغوار المطاعم الإنجليزية التى لا يدرك منتهاها. تلك المطاعم التى بعدما التهمت ثلث المسكونه و طوقت كره الأرض بالفتح و الاستملاك لم تزل فى مد لا جزر معه. و لا يزال رجال حكومه بريطانيا فى لهم شديد لابتلاع ممالك العالم وكلما أساغوا قطراً طلبوا إليه آخر. و ليستطلع خفايا المقاصد من أثناء الأفكار و غضون الأقوال. و ليقف على الطرق المألوفه بين أولئك السياسيين فى التلوين. و يتبين كيف يتمنون من إبراز محاسن الأعمال فى صفات رديئه يستنكرها كل ناظر إليها و إظهار السيئات فى ألوان بهجه تسر الناظرين حتى يمكن بعد ذلك وضع ميزان قسط يتميز به الزيف من النضار الخالص، كيلا يغتر الجاهل، و لا يزل العالم.

لاقى (محرر الجريدة) كثيراً من رجال السياسة الإنجليزية و أنفذ الناس رأيا فيها، و قد جرت بينه و بينهم محادثات طويلة في الأحوال المصرية، و من محادثاته التمهيدية ما نشر في بعض الجرائد الإنجليزية كجريدة (البال مال جازيت) و جريدة (التروت)، التي يحررها النائب الشهير مستر لا پوشير و جريدة (التايمس) و سيذكر شيء مما جرى بينه و بين بعض الأكابر من رجال الحكومة مما يستفيد منه الشرقيون عموماً، و المصريون خصوصاً، و ستأتى جريدتنا على بعض ما استنبطه من فحوى أقوالهم و أدركه من مرامى أفكارهم. أما الآن فنأتى على جملة واحدة من محادثته طويلة كانت بينه و بين اللورد (هرتنكتون) وزير الحربية الإنجليزية. ليأخذ كل مصرى منها حظه، و يصيب كل شرقى سهمه، و يقف جميعهم على مواقع الشرقيين من أنظار الحكومة الإنجليزية.

سأل اللورد هرتنكتون وزير الحربية الإنجليزية: ألا يرضى المصريون أن يكونوا فى أمن وراحة تحت سلطة الحكومة الإنجليزية؟ و ألا يرون حكومتنا خيراً لهم من حكومة الأتراك، و فلان باشا و فلان باشا؟ فأجاب الشيخ (محرر جريدتنا): كلا إن المصريين قوم عرب و كلهم مسلمون إلا قليلاً، و فيهم من محبى أوطانهم مثل ما فى الشعب الإنجليزي، فلا يخطر ببال أحد منهم الميل إلى الخضوع لسلطة من يخالفه فى الدين و الجنس، و لا يصح لحضرة اللورد و هو على علم بطبائع الأمم أن يتصور هذا الميل فى المصريين، فقال الوزير: هل تنكر أن الجهالة عامة فى أقطار مصر، و أن الكفاءة لا تفرق بين الحاكم الأجنبى و الحاكم الوطنى، و أن ما ذكرته من النفرة من سلطة الأجانب إنما يكون فى الأمم المذهبة؟ فاحتد الشيخ حدة تليق بمسلم لا يتهاون فى أداء ما فرضه الدين، و أوجبه حقوق الشريعة، و قال: أولاً إن النفرة من ولاية الأجنبى و نبذ الطبع لسلطته مما أودع فى فطرة البشر و ليس بمحتاج للدرس و المطالعة، و هو شعور إنسانى ظهرت قوته فى أشد الأمم توحشاً كقبائل الزولو الذين لم تنسوا ما كابدموه منهم فى الدفاع عن أوطانهم، و ثانياً أن المسلمين مهما كانوا و على أية درجة وجدوا لا يصلون من الجهل إلى الدرجة التى يتصورها الوزير، فإن الأميين منهم، و من يقرءون و لا يكتبون، لا يفوتهم العلم بضروريات الدين، و من أجلاها و من أظهرها عندهم أن لا يدينوا لمخالفهم فيه و أن لهم فى الخطب الجمعية و مواعظ الوعاظ فى مساجدهم ما يقوم مقام العلوم الابتدائية و أن جميع ما يتلقونه من النصائح الدينية يحذرهم من الخضوع لمن لا يوافقهم و يحدث فيهم من الإحساسات الشريفة الإنسانية ما لا ينحطون معه عن سائر الأمم خصوصاً المصريين الذين ينطقون باللسان العربى و يفهمون دقائق ما أودع فى ذلك اللسان و هو لسان دينهم، و ثالثاً أن أرض مصر من زمن محمد على قد انتشرت فيها العلوم و الآداب الجديدة على نحو ما هو موجود فى بلاد أوروبا، و أخذ كل مصرى نصيباً منها على قدره، و لا تخلو قرية من القرى الصغيرة من أن يكون فيها قارئون كاتبون، و الأخبار العمومية توصلها إليهم الجرائد العربية، و من لم يقرأ يستنبىء

الأخبار من القارئ، فهذا أضافوا إلى الشعور الطبيعي و التقليد الدينى محبةً وطنيةً منشؤها التهذيب العمومى قوى بها الميلان الأولان، و لا أظنهم يخالفون فى ذلك سائر الأمم. اهـ

أين العلماء الأذكياء؟ أين الجهلة الأغبياء؟ أين الأباء الأعلياء؟ أين السفلة الأذنياء؟ ليرى كل واحد منهم منزلة الشرقيين عند رجال الحكومة الإنجليزية. كل ذى شكل إنسانى، و صورة بشرية، يدرك ما وراء هذه الأسئلة، و ما تشف عنه هذه الظنون العجيبة. هذا اللورد هرتنكتون وزير الحربية الإنجليزية يظن أن الجهل بلغ من المسلمين عموماً، و المصريين خصوصاً، إلى حد سلب عنهم كل إحساس إنسانى، و أنهم فى حضيض من الجهل، لا يميزون فيه بين الغريب و القريب، و لا بين العدو و الحبيب، هذا دليل على أن الإنجليز (إلا من أنار الله بصيرته و وفقه لفهم الصواب) يعتقدون أن الأمم الشرقية، و الأمة المصرية، فى درجة الحيوانات السائمة، و الدواب الراحية، لا تتألم إلا من الجوع، و فواعل الطبيعة المادية، و ليس لها من الإحساس إلا نوع من الانفعالات البدنية، و لا تعرف من شئونها إلا ما به تقوم حياتها الحيوانية، فتألف راكبها، و العامل عليها و مستخدمها، فى أى عمل من الأعمال الشاقة، ما دام يقدم لها طعاماً و شراباً، و أنها تهش و تبش لرؤية من يقدم لها غذاءها و عشاءها، و إن كان من أشد البلاء عليها، بما يسومها من مشاق الأعمال، فإذا عجزت عن العمل ذبحها و تغذى بلحومها، ألا فأعجبوا .. إن كانت هذه عقيدة رجال الحكومة الإنجليزية فى الأمم التى يتسلطون عليها، فأى معاملة تكون منها لها؟! ألا يعاملونهم معاملة العجموات و الحيوانات الراجعة؟! بلى، و هكذا يعاملون، و هذا تصرفهم فى البلاد الهندية، يشهد بأفصح لسان على ما يعملون.

فالمصريون الآن بين أمرين أفضلهما أيسرهما: إما أن يتناكفوا و يتضافروا و يبذلوا أموالهم و أرواحهم فى حفظ شرفهم الإنسانى، و مكانتهم العربية، و أداء حق عقيدتهم الدينية، و يخلصوا أنفسهم من عبودية قوم لا ينظرون إلهيم إلا كما ينظرون إلى البغال و الحمير، و إن هموا بذلك وجدوا لهم من إخوانهم المسلمين أنصاراً ينتظرون الآن حركة منهم و هذا أشرف الأمرين و ما هو عليهم بعسير، و إما أن ينسلخوا عن جميع الخصائص الإنسانية، و يخلعوا حلية الإيمان، و يتبرأ منهم شرف العرب، و ليحملوا ناف العبودية على أعناقهم، و ليقاسموا الحيوانات فى حظوظها، و ليستعدوا لكل ذلة، و ليقبلوا كل ضيم، و هذا أعسر الأمرين و أدناهما و ما أظن مصرياً يختاره لنفسه، ولئن اختاره (معاذ الله) فسيذهب الله بهم و يورث الأرض قومًا آخرين، فإن الله غيور على دينه، غيور على العدل، منتقم من الضالين، و إنا لله و إنا إليه راجعون.

### اللورد نورث بروك حاكم مصر الجديد

كثيراً ما أتينا فى جريدتنا على بيان مسالك الإنجليز فى تملك الهند و تذليلهم لأهاليه، و ذكرنا أن سيرة الحكومة الإنجليزية فى افتتاح البلاد لا تشابه سير الفاتحين الذين يزحفون بخيلهم و رجالهم على الأقطار، فيقتلون و يقتلون، حتى يتغلبوا على من يريدون. و قلنا إن الإنجليز ملكوا نحو ثلث

العالم بلا سفك دماء غزيرة، و لا صرف أموال وافرة، و إنما ملكوا ما ملكوا بسلاح الحيلة، يدخلون فى كل بلد أسود ضارية، فى جلود ضأن ثاغية!! يعرضون أنفسهم فى صورة خدمة صادقين، و أمنه ناصحين، طالبين للراحة، مقومين للنظام. نادينا مراراً بأن الإنجليز إذا أرادوا التدخل فى ملك للشرقيين، و رأوا أن القائم به رجل حاذق بصير، و أن وجوده فى الملك يبطء سيرهم إلى ما يقصدون. بادروا إلى التشويش عليه، فإما أن يفسدوا عليه قلوب رعيته. و يثيروا عليه أحقادها، أو يغروا أحد أعضاء العائلة المالكة بالعصيان و طلب الملك ليجدوا فى ذلك وسيلة للدخول فى الأمر، أو يتفقوا مع الوزراء على خلع صاحب السلطة. ثم ينصبون بدله إما ضعيفاً أحرق، و إما صبياً لم يبلغ الرشد، إما من أبناء الملك أو أقاربه ليتمكنوا من بلوغ مقاصدهم تحت علمه، و يبلغوا غاياتهم باسمه و يقطعوا المسافة الطويلة فى مدة قصيرة، بلا ممانع و لا عائق، مع إصابتهم جزيل الأجر، على ما عملوا فى بداية العمل.

هذا كما فعلوا من مدة غير بعيدة مع «راجا برودا»، خلعه بدعوى باطلة، لما أحسوا فيه البصيرة و الحزم، و أقاموا بدله ولداً صغيراً من عائلته، ثم انتصبوا له أوصياء، فوضعوا أيديهم على جميع خزائنه، و تولوا إدارة مملكه، و استلموا قيادة عساكره، و لم يبق له إلا الاسم، يذكر و لا يشكر، كل هذا تحت راية العدالة و الإصلاح، و حفظ الراحة و تقرير النظام، و لم يساقوا إليه إلا بباعث المحبة و الإخلاص (و لا يذكر هناك اسم التملك و الاستيلاء). نعم و لهم الحق فى استبقاء اسم و السكوت عن آخر، فإن أمراء الشرقيين لا يبالون بما دلت عليه الأسماء، و إنما يهمهم طنطنة الألفاظ و ضخامة الألقاب!!

إذا سلب الأمير الشرقى ملكه و ماله، و جرد من جميع حقوقه، و بقى له لقبه و لواحق لقبه، فهو فى سكرة من لذة ما بقى له، و فى ذهول عما سلب منه، هذه خلة عرفها الإنجليز فى كل أمير شرقى، فلم لا يقرون أعينهم بحفظ هذه الأسماء، بعد ما جردت عن معانيها، و أى داع يدعو رجال الإنجليز لإزعاج قلوب الأمراء بنزع هذه الألقاب؟ إن اللقب الضخم حصن حصين، يسجن فيه الأمير الشرقى، أو جب عميق يلقى فيه، و هو يظنه جنه عرضها السموات و الأرض، فليعش أمراء المشرق متمتعين بنعيم ألقابهم، و سعادة أسمائهم، و يكفيهم من المجد أن يقال لهم بين خدمهم و خاصتهم، فى داخل دوائرهم «نواب صاحب» «راجا صاحب» «خديو صاحب» «سلطان صاحب». و اخجلتاه، هذه الألقاب كانت تشير إلى ملك فسيح، و مجد شامخ، و شوكة قوية، و سطوة تخضع لها الشمم العوالى، فكيف طابت نفوس أمراء المشرق بقبولها عارية من كل شرف، لم يبق من معناها إلا سلطة على الخدم و الحشم، و ما هم فيها بأحرار، بل لا بد أن يوافقوا فيها رضاء الأجانب.

من أدق رجال الحكومة الإنجليزية فى فن الحيلة، و أمهرهم فى صناعة الخدعة و أطولهم باعاً فى النفاق، و أحذقهم فى اختراع الوسائل لسلب الأملاك من أربابها، و أشهرهم فى عدواة المسلمين،

ذلك اللورد المحترم (نورث بروك). كان هذا الرجل البارح حاكما فى الهند فأذاق أهاليه مر العذاب، فى كنوس المحبة و الوداد. كم خرب بيوتاً، و قلب عروشاً، و كم خفض ربيعاً، و أذل عزيزاً، و هو فى جميع سيئاته يبكى بكاء الشفقة، و يسكب دموع المرحمة على الهنديين، و يقول: إننى أول إنجليزى تهمة رفاهه أهل الهند، و إننى وحيد بين الإنجليز بمحبة الهنود، و السعى فيما يعود عليهم بالصلاح و النجاح، و إننى أستغفر الله إن كنت قصرت فى عمل يؤمل بهم إلى الفلاح، و ينادى فى الهنديين بقوله و أسفاه إنكم إلى اليوم ما عرفتمونى، ولا أحطتم بما حواه ضميرى، من إرادة الخير لكم، هذا هو الكاهن الحاذق فى وعظه (و دونه فى النفاق عبدالله بن أبى سلول رأس المنافقين فى الإسلام).

إن الحكومة الإنجليزية عرفت قدره فى براعته و معرفته بوجوه المكر، و خبرته بأحوال الشرقيين، وسعته علمه بكيفيات التصرف فى عقولهم و أهوائهم، و طرق أخذهم من حيث لا يشعرون، و اعترفت له حكومته يصدق الطوية فى معاداة المسلمين، لأجل هذا قررت أن تبعثه إلى مصر، و عزمت على إرساله إليها مفوضاً من قبلها يفعل ما يشاء ولكن لا نظن حبالته الخداعية تصرع فطانه المصريين و تأخذ عقولهم، فإن تسنى له النجاح، و رضى المصريون على أنفسهم عار الذل، و وصمه الضيم، فلا يكون إلا باستعمال توفيق باشا آله فى جميع أعماله، يستخدمه لإدخال مصر فى ملك الحكومة الإنجليزية يلقنه الأوامر السامية، و يلهمه الإدارات السنية، لتذليل أهل بلاده و سوق المصريين لقتل إخوانهم و فتح البلاد الثائرة و إقرار السلطة فيها للحكومة الإنجليزية، فإن تم له ما يريد من تسكين الفتن و تقريب المصريين للرضاء بحكومة تنفر منها طباعهم عمد إلى خلع توفيق باشا بأية علة و طلب تولية ابنه عباس لكونه ولدًا صغيراً لم يبلغ الرشد و استند فى ذلك إلى الفرمانات السلطانية (يحترمونها إذا وافقت أغراضهم)، و جعل نوبار باشا ديواناً له (الديوان وزير يعينه الانجليز من طرفهم فى الممالك التى تبقى فى الهند تحت اسماء الامراء الذين لايعرف فيهم الرشد ولايجوز غرله إلا بأمر من الحكومة الانجليزية)، نوبارباشا لا يقصر فى هذا العمل ولا يألوا جهداً فى إبلاغه إلى نهايته، نوبار باشا رجل لا هو مسلم فيغار على دينه، و لا هو مصرى فيحتمى على وطنه، و لا هو عربى فتأخذه النفرة على جنسه، و بهذا الطريق ينال سلطة فى القصر المصرى مدة لا تنقص عن الباقي من عمره، و يكون فى أمان من العزل، تحت ظل الحكومة الإنجليزية.

هذه مقاصد التى بلغتنا من مصدر يوثق به و لا نظنه ينجح فيها، فإن صلاح الأمر فى مصر لا يقوم به إلا من هو أعرف بحال المصريين و أقرب إليهم من «نورث بروك» هذا اللورد يسلك فى سيره على ما جرى عليه فى الهند، إنا نذكر طرفاً من أعماله عبرة للمعتبرين، إن (چيرت ستك) كان راجا على ممالك (جنبه) الواقعة فى جنب (عنبر سر) من طرف (همالايا) فلما مات هذا الملك تولى ابنه (سر سينك) و هو ولده من الملكة ثم مات و تولى شقيقه (سوچت سنك) على طبق قانون الوثنيين،

فلما ذهب (نورث بروك) حاكماً في الهند قصد إلى تنفيذ حكمه في تلك المملكة و استملاك أراضيها حسب المألوف بين أمثاله من رجال حكومته، فطلب من (سوچت سنك) أن يتنازل عن الملك لأخيه (قوبال سنك) و كان وليداً من جارية و لا يجوز في قوانين الوثنيين أن يتولى الملك أبناء الإماء ما دام من أبناء الأحرار حتى، فلما تمنع (سوچت سنك) من التنازل اعتماداً على قانون بلاده، أنزل بحكم اللورد جبراً بعد ما ضربت زوجته التي كانت ملكة تلك البلاد (لكونها زوجة الملك) و نهب جميع ما كان في بيت الملك من الخزائن و التحف و الجواهر الثمينة و المخلفات القديمة (أنتيكات) التي كان يتوارثها الملوك من أجيال طويلة (فإن عائلة الملك كانت من قدماء العائلات الملكية) ثم نصب بدله (كوبال سنك) و بعد مدة قصيرة عزل (كوبال سنك)، و نصب ولده الصغير (سيام سنك) ليكون الأمر و النهى حساً و معنى بيد أمراء الإنجليز، و تحت تصرف الديوان الذى أقاموه من طرفهم. هذا مثال لما يطول عده من أعمال اللورد نورث بروك في الهند.

ثم إن (سوچت سنك) المخلوع ظن أن نورث بروك وحده هو الظالم، و أنه لو رفع أمره للحكومة العليا فى لندن يجد لديها عدلاً و يصادف منها إنصافاً فجاء من مدة ست سنوات و عرض حاله عن الحكومة فإذا القلوب متشابهة، و النفوس متوافقة، و الآراء متألبة على سلب الحقوق، و الغلو فى العدوان، و فى خلال هذه المدة أنفق كل ما كان عنده فى المطالبة بحقه، و المرافعة مع ظالمه. حتى أصبح صفر اليدين، لا يملك قوت يومه، و لا يجد له منصفاً، هذا الملك السبيء الحظ مع ما كان له من رفعة الشأن، و ارتفاع نسبه فى الملك إلى أجداده الأقدمين، من نحو ألف سنة تراه الآن يتصور من الجوع فى بلاد أوروبا رث الثياب حقيراً ذليلاً، هذا الذى احترمه اللورد نورث بروك الذى تريد حكومة إنجلترا أن ترمى به مصر، وهذا هو الإصلاح الذى يقصد إجراءه فيها، لكن رجاءنا فى المسلمين و أمنا فى المصريين، و قوة إيماننا بوعود الله، و صدق النبأ عما تكنه الحوادث المصرية، و تألب الدول على معاكسة الحكومة الإنجليزية، و اضطرار الدولة العثمانية للدفاع عن مصر، كل هذا يبشرنا بخيبة هذا الغادر فى قصده، و الله لا يهدى كيد الخائنين.

#### نكتة

عندما كان الشيخ محمد عبده يحدث أرباب السياسة فى لندن كان أغلبهم يقول له كثيراً ما سمعنا من الأجانب الذين ينتمون إلى البلاد المصرية أخباراً متعلقة بها، لكننا لا نحلها محل الاعتبار، لما نعلم عن بعدهم عن الشعب المصرى الحقيقى، أما أنت فلكونك عريقاً فى المصرية، و عالماً من علماء المسلمين فنحب أن تبين أفكارك، و ما تعلمه من أحوال الأهالى المصريين، و شئون أمرائهم و استعداداتهم، و ما يليقون له، و ما يليق بهم، فإننا نرى ذلك منك حاكياً عن حقيقة الأمر فيهم، و كاشفاً عن أفكار أهالى مصر عموماً، و قد أشارت إلى هذا المعنى جريدة (البال مال جازيت).

#### معارضة الإنجليز

تنبهت أفكار الدول الأوروبية في هذه الأيام، إلى ما يمسهها من إيغال الإنجليز في طمعهم، و أن ظفرهم في أعمالهم المشرقية لما يخمد أنفاس أوروبا و يسد عليها أبواب التجارة، و لو نجح الإنجليز في سيرهم إلى ما يطمحون إليه، لم يبق موضع قدم للتجارة الأوروبية، فيضرب الفقر في غالب أقطار أوروبا التي قوام معشيتها التجارة، و أن الدول لتعجز بعد هذا عن حاجاتها، هذا فزع ألمت بدايته بنفوس الدول من صيحة الطبيعة، و زاد عليه ما خدش خواطرها من الإهانات المتتابعة اللاحقة بها من غرور الإنجليز، دولة إنجلترا هي التي تركت الدول تأثر في الأستانة، و استبدت بإطلاق النيران على مدينة الإسكندرية، هذه الدولة هي التي دعت الدول العظام إلى مؤتمر للمداولة في مسألة مصر، معترفه بحقوقها فيها، فلما لم تجبها الدول إلى مطلبها الباطل، صرفت نوابهم، و انطلقت في أعمالها غير مبالية بهم، و عزمت على إرسال (اللورد نورث بروك)، و (الجنرال و لسلي)، في أن واحد إلى مصر.

هذا كله حرك خواطر الدول، و صار من أعظم البواعث على اجتماع الأباطرة الثلاثة في شهر سبتمبر كما أنبأت الجرائد، و أكد أن موضوع المداولة بينهم هذه المسألة المهمة، لهذه المسألة كانت مدينة وارزين دار ندوة سياسية، و بها وجد البرنس بسمارك مجالا واسعا للسياسة، تلاقى الكونت كالنوكي مع البرنس بسمارك، و طالت مدة الاجتماع و لحق بهما مسيو دي چيرس وزير دولة روسيا، و كان البحث فيما ألم بالدول بعد مؤتمر لندن، ثم عقب ذلك سفر مسيو كورسيل سفير فرنسا في برلين إلى وارزين لملاقاة بسمارك (و إن أولت بعض الجرائد الإنجليزية حركة هذا السفير بمقصد آخر). فهذه الزيارات المتتالية بين هؤلاء الوزراء العظام، بعد خيبة المؤتمر تفتح للمتأمل بابا واسعا من الفكر، و تشف عن أمور عظيمة سيكشفها الزمان عن قريب، هذا إلى جانب الأمر الجديد الذي صدر من دولة ألمانيا و هو تعيين وزير في سفارة مبعلة لدى شاه إيران و في أعضاء سفارته بروكش باشا المشهور بعلم الخط المصري القديم، و هي أول مرة كان لهذه الدولة سفير عند الشاه، ثم ذهاب ميرزا خان سفيراً خصوصياً من الدولة الفارسية إلى الدولة الروسية، و نيله غاية التبجيل و التكريم.

كل هذا ينبئنا أن في كمين الغيب مصيبة كبرى ستنقض على دولة الإنجليز .. إن الأحقاد قد أخذت بقلوب الأمم الأوروبية و امتلأت الأفئدة غيظاً حتى طفحت، و لهذا لا ترى جريدة ألمانية أو نمساوية أو فرنسية أو روسية إلا و هي مشحونة بالطعن و التنديد، و الوعيد و التهديد، و الإنذار بسوء عاقبة حكومة الإنجليز، ليس ببعيد على عدل الله أن ينكس أعلام العاتين. الذين يعبثون في الأرض مفسدين و يسلبون ممالك العالم غيلة، و يهضمون حقوق الأمم بغيا و عدواناً، و يسيمونها عذاب الرق و العبودية عتوا و استكباراً، أظلم جو السياسة على سابلة الإنجليز، و زارت عليهم ضارية الويل من كل جانب، و لهم في هذه الأحوال حركة الخابط، إما ستراً لضعفهم، أو غروراً ببأسهم، و



يتعلقون بحبال الوسائل لامتلاك مصر و السودان، اللورد نورث بروك و سميع الله خان الدهرى يذهبان إلى مصر لتأليف القلوب، و جميع الخواطر على ولاء الحكومة الإنجليزية، و أن ولسلى بعدما نال من حسن الصيت بصرف الدنانير فى التل الكبير، عزم على أن يفتح فتحًا آخر بمثل تلك الوسيلة، ولكننا لا نظن فى السودان مثل شهيد الخيانة وأبى سلطان باشا إضرابه، وهذا من جهة أخرى يسعون لإجبار الحكومة المصرية على إعلان الإفلاس و إشهار العجز عن القيام بنفقات الحكومة. ليجدوا فى ذلك وسيلة لتقرير حمايتهم على القطر المصرى، و تخفيض فائدة الدين و الاستبداد بشئون المملكة. إنهم نالوا فى الحرب المصرية من الدولة العثمانية فرمانا سلطانيا بعصيان عرابى، فحقنوا به دماء رجالهم، و صانوا كثيراً من أموالهم، و اليوم يسعى اللورد دوفرين بمواعيده العرقوبية، و إيماناته الكاذبة عند الباب العالى ليحمله على إرسال عشرة مدرعات إلى الإسكندرية، و سوق جيش إلى سواحل البحر الأحمر ليكون هذا بدل فرمان بعصيان محمد أحمد، و يفوز الإنجليز بالتسلط على مصر و السودان، و يحلفون و هم الكاذبون، إنهم لا يمسون حقوق السلطان (هل أبقوا حقوقاً تمس) حتى إذا ثبتت أقدامهم تحت ظل العلم العثمانى، قلبوا للعثمانيين ظهر المجن و أجابوهم بهز الرءوس و كشره الأنياب، و لا نظن أن الدولة العثمانية تغتر بوعود الإنجليز مرة ثانية، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، و قد جربت منهم حلاوة الوعد، و ذاقت فى أخلافه مضاضات الإهانة، و مرارات التحقير.

نعم هذا وقت يتسنى للدولة العثمانية أن تتفق مع سائر الدول لصون مصالحها، و لا يخطر ببال عثمانى أن ينال خيراً بالاتفاق مع الإنجليز، إن حكومة بريطانيا ما عاهدت عهداً إلا و نقضته، بعدما جنت ثمرته، فربحها فى العهود خاص بها، لا يشركها فيه غيرها، لم يخف على الدولة العثمانية أن الإنجليز تصرفوا فى الأراضى المصرية تصرف المالكين بلا مشورتها، وهبوا قسماً عظيماً من السودان الشرقى للحبشة و أثاروا حرباً صليبية بين الحبشيين و مسلمى السودان، نزعوا إلى الاستيلاء على زيلع و هرر و بربر، هل كان شىء من هذا ياذن الباب العالى؟ فعلى أى وجه تثق الدولة بإنجلترا، بعدما جربت من غدرها ما جربت و رأت من عدوانها ما رأت؟ لو تساهلت الدولة مع الإنجليز فى مسألة مصر فنسنع عن قريب بأمور فى الحجاز و سوريا و اليمن و البغداد و كلها من دسائس الإنجليز، أما لو أقدم العثمانيون بعزيمة ثابتة و أقبلوا على شأنهم فى مصر، مع هيجان الأفغانيين و انفراد إنجلترا عن سائر الدول، لوجدوا لهم أنصاراً من جميع المسلمين فى الشرق، و من المصريين و السودانيين، و لأرغموا الإنجليز، و استرجعوا ما فقدوه من المكانة أيام حرب روسيا، و لأعادوا عزتهم الأولى. هكذا ينبغى أن يساق الجيش العثمانى لصدمة الإنجليز لا لخدمتهم فإن لم تفعل الدولة العثمانية، فعلى الدنيا العفا و على الإسلام السلام!!

و ليعلم المصريون من الفلاحين و العرب أن الإنجليز لا يقصدون إلا استعبادهم و استخدامهم كما يستخدم الأرقاء، و أول نير للذل يوضع على أعناق أمرائهم، فعليهم ألا يكونوا آله في تمكين العدو من رقابهم، و أن لا يكون بعضهم فخا لصيد باقيهم، لعمر الله إنا لفي عجب من الذين يحفظون القلاع في السودان، و من المصريين الذين يحفظون لمقاتلة السودانيين، هل يعلمون أى أمة يخدمون؟! بلى إن حامية كسلا حافظت عليها حتى تسلمها للحبشة، و إن حماة القلاع في السودان يحفظونها حتى يسلموها لقواد الإنجليز إن استطاعوا، نعم كنا نحب أن نرى هذه الشهامة من العساكر المصرية، لكن إذا لم يكونوا فى تصرف دولة أجنبية، أما اليوم فثباتهم هو العار بعينه، و الله لا أظن شخصاً فى قلبه ذرة من الإيمان تسمح له نفسه بهذا العمل، فإن لم يسعوا فى إخراج عدوهم من ديارهم، و الظن بهم أن يسعوا، فلا أقل أن يكفوا عن مساعدته فى تملكها. ألا يعلم المصريون أن حركة خفيفة منهم فى معارضة الإنجليز فى هذا الوقت تجلب تدخل الدول و تكون سبباً لإنقاذهم من هذا العدو الذى لا يكتفى بأكل لحومهم حتى يهشم من عظامهم؟ فليعلموا ذلك و ليعملوا، و الله لا يضيع أجر العاملين.

#### الدهريون فى الهند

دخل الإنجليز بلاد الهند و لعبوا بعقول أمرائها و ملوكها على نحو يضحك العقلاء و يبكيهم، و كانوا يوغلون فى أحشاء الهند و يتخطفون أراضيها بعد قطعة، كلما سادوا فى أرض أدلوا على سكانها و أظهروا الضجر و السامة من الإقامة بينهم قائلين: إن الإنجليز لا يشتغلون إلا بالأعمال التجارية، أما مقارفة الإدارة و السياسة فليست من شئونهم إنما يدعوهم إلى احتمال أثقائها الشفقة على الملوك و الأمراء العاجزين عن سياسة ممالكهم، و متى قدر الأمير أو الملك على ضبط بلاده فلا يبقى إنجليزى فيها لأن لهم أشغالا مهمة أخرى تركوها لمحض المرحمة.

و بهذا سلب الإنجليز كل مالك ملك بحجة أن العمل فى الملك ثقيل على النفس متعب للفكر و البدن فالأولى لصاحب الملك أن يستريح و أن يموت فقيراً ذليلاً تخلصاً من عناء التدبير، و ينادون بأنه متى سنحت الفرصة و جاء الوقت الذى لا يكون للأعمال المعاشية و لا المعادية تأثير على الأبدان و لا على الأفكار فإنهم مستعدون لترك البلاد (يوم الحشر)، و اليوم يقولون نفس الكلام بعينه فى مصر!!

و لما استقرت أقدامهم فى الهند و ألقوا به عصاهم و محيت آثار السلطنة التيمورية نظروا إلى البلاد نظرة ثانية فوجدوا فيها خمسين مليوناً من المسلمين، كل واحد منهم مجروح الفؤاد بزوال ملكهم العظيم، و هم يتصلون بملايين كثيرة من المسلمين شرقاً و غرباً و شمالاً و جنوباً، و أحسوا أن المسلمين ماداموا على دينهم، و ما دام القرآن يتلى بينهم، فمحال أن يخلصوا فى الخضوع لسلطة أجنبى عنهم، خصوصاً إن كان ذلك الأجنبى خطف الملك منهم بالخديعة و المكر تحت ستار

المحبة و الصداقة، فطفقوا يتشبتون بكل وسيلة لتوهين الاعتقاد الإسلامى و حملوا القسس و الرؤساء الروحانيين على كتب الكتب و نشر الرسائل محشوة بالطعن فى الديانة الإسلامية، مفعمة بالشتم و السباب لصاحب الشريعة (برأه الله مما قالوا) فأتوا من هذا العمل الشنيع مما تنفر منه الطباع، و لا يمكن معه لذى غيره أن يقيم على أرض تنشر فيها تلك الكتب، و أن يسكن تحت سماء تشرق شمسها على مرتكبي ذلك الإفك العظيم، و ما قصدهم بذلك إلا توهين عقائد المسلمين، و حملهم على التدين بمذهب الإنجليز، هذا من جهة، و من جهة أخذوا فى تضيق سبل المعيشة على المسلمين، و تشديد الوطأة عليهم و الإضرار بهم، من كل وجه، فضربوا على أيديهم فى الأعمال العامة، و سلبوا أوقاف المساجد و المدارس، و نفوا علماءهم و عظماءهم إلى جزائر (أندومان) و (فلان) رجاء أن تفيدهم هذه الوسيلة إن لم تفدهم الأولى فى رد المسلمين عن دينهم، بإسقاطهم فى أغوار الجهل بعقائدهم حتى يذهلوا عما فرضه الله عليهم، فلما خاب أمل أولئك الحكام الجائرين فى الوسيلة الأولى، و طال عليهم الأمد فى الاستفادة من الثانية نزعوا إلى تدبير آخر فى إزالة الدين الإسلامى من أرض الهند أو إضعافه، لأنهم لا يخافون إلا من المسلمين أصحاب ذلك الملك المنهوب و الحق المسلوب، فاتفق أن رجلا اسمه أحمدخان بهادور (لقب تعظيم فى الهند) كان يحوم حول الإنجليز لينال فائدة منهم، فعرض نفسه عليهم و خطا بضع خطوات لخلع دينه و التدين بالمذهب الإنجليزى، و بدأ سيره بكتابة كتاب يثبت فيه أن التوراه و الإنجيل ليسا محرفين و لا مبدلين لينال بذلك الزلفى عندهم، ثم راجع نفسه فرأى أن الإنجليز لن يرضوا عنه حتى يقول إنى نصرانى، و أن هذا العمل الحقيق لا يؤتى عليه أجراً جزيلاً، خصوصاً و قد أتى بمثل كتابه ألوف من القسس و البطارقة و ما أمكنهم أن يحولوا من المسلمين عن الدين أشخاصاً معدودة فأخذ طريقاً آخر فى خدمة حكامه الإنجليز بتفريق كلمة المسلمين و تبديد شملهم.

فظهر بمظهر الطبيعيين (الدهريين) و نادى بأن لا وجود إلا للطبيعة العمياء و ليس لهذا الكون إله حكيم (إن هذا إلا الضلال المبين) و أن جميع الأنبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالإله الذى جاءت به الشرائع (نعوذ بالله) و لقب نفسه بالنيچرى (الطبيعى) و أخذ يغرى أبناء الأغنياء من الشبان الطائشين، فمال إليه أشخاص منهم تملصاً من قيود الشرع الشريف، وسعيًا وراء الشهوات البهيمية، فراق لحكام الإنجليز مشربه ورأوا فيه خير وسيلة لإفساد قلوب المسلمين، فأخذوا فى تعزيزه و تكريمه و ساعدوه على بناء مدرسة فى (على كده) و سموها مدرسة المحمديين، لتكون فخا يصيدون به أبناء المؤمنين ليربوهم على أفكار هذا الرجل (أحمدخان بهادور). و كتب أحمدخان تفسيراً على القرآن فحرف الكلم عن مواضعه، و بدل ما أنزل الله، و أنشأ جريدة باسم تهذيب الأخلاق لا ينشر فيها إلا ما يضل عقول المسلمين، و يوقع الشقاق بينهم، و يلقي العدواة بين مسلمى الهند و غيرهم، خصوصاً بينهم و بين العثمانيين، و جهر بالدعوة لخلع الأديان كافة (لكن لا يدعو إلا المسلمين) و نادى

الطبيعة!! الطبيعة!! ليو سوس للناس بأن أوروبا ما تقدمت في المدنية، و ما ارتقت في العلم و الصنعة، و ما فاقت في القوة و الاقتدار إلا برفض الأديان، و الرجوع إلى الغرض المقصود من كل دين (على زعمه و هو بيان مسالك الطبيعة، قد افتري على الله كذبًا). و لما كنا في الهند أحسننا من بعض ضعفاء العقول اغترارًا بترهات هذا الرجل و تلامذته فكتبنا رسالة في بيان مذهبهم الفاسد و ما ينشأ عنه من المفاسد و أثبتنا أن الدين أساس المدنية و قوام العمران و طبعت رسالتنا في اللغتين الهندية و الفارسية. إن أحمدخان و من تبعه خلعوا لباس الدين و جهروا بالدعوة إلى خلعه ابتغاء الفتنة بالمسلمين و طلبا لتفريق كلمتهم و زادوا على زيفهم أنهم يزرعون الشقاق بين أهل الهند و سائر المسلمين، و كتبوا عدة كتب في معارضة الخلافة الإسلامية، هؤلاء الدهريون ليسوا كالدهرين في أوروبا، فإن من ترك الدين في البلاد الغربية تبقى عنده محبة أوطانه و لا تنقص حميته لحفظ بلاده من عاديات الأجانب، و يبذل في ترقيتها و المدافعة عنها نفائس أمواله، ويفدى مصلحتها بروحه، أما أحمدخان وأصحابه فإنهم كما يدعون الناس لنبد الدين يهولون عليهم مصالح أوطانهم و يسهلون على النفوس تحكم الأجنبي فيها و يجهدون في محو آثار الغيرة الدينية و الجنسية و ينقبون على المصالح الوطنية التي ربما غفل الإنجليز عن سلبها لينهبوا الحكومة عليها فلا تدعها. يفعلون هذا، لا لأجر جزيل، و لا شرف رفيع، ولكن لعيش دنيء و نفع زهيد .. (هكذا يمتاز دهريو الشرق عن دهريو الغرب بالخسة و الدناءة بعد الكفر و الزندقة).

أحسن الإنجليز إلى أحمدخان بتوظيف ولده مولوى محمود عضوًا في مجلس قرية من قرى الهند لا تزيد عن (شبراخيت) في مديرية البحيرة، و من حباله لصيده الضعفاء من المسلمين، أنه يعدهم و يمينهم بأنهم لو تبعوه لأدخلهم في وظائف الحكومة، بما له من الجاه عند جائرة الإنجليز. و حكومة الإنجليز لم توظف من أصحابه إلا أربعة أعضاء في مجالس القرى و لا يوجد وطنى هندي في مثل هذه الوظائف سواهم، هذا هو المجد الذي ناله أحمدخان ثمنًا لدينه و وطنه، فهو كما قال صديق نواب حسن خان ملك بهوبال صاحب التصانيف المشهورة أن (أحمدخان) دجال آخر الزمان، نعم ساعده حكام الإنجليز على استخدام بعض من يقدمهم، لكن لا في الحكومة الإنجليزية الهندية و لا على الخزينة الإنجليزية و إنما يلزم الحاكم أحد النواب الباقيين على صورة استقلالهم أن يوظفهم في بعض الوظائف الدانية.

راق هذا المشرب في أعين الحكام الإنجليز و ابتهجوا به و ظنوه موصلًا إلى غايتهم من محو الدين الإسلامى من البلاد الهندية، هؤلاء الدهريون ساروا جيشًا للحكومة الإنجليزية في الهند يسلمون سيوفهم لقطع رقاب المسلمين، لكن مع البكاء عليهم و الصياح بهم، إنا لا نقتلكم إلا شفقة عليكم و رحمة بكم و طلبًا لإصلاحكم و رفاهة عيشتكم و رأى الإنجليز أن هذه أقرب الوسائل لنيل المقصود من ضعف الإسلام و المسلمين.

كان التلميذ الأرشد لأحمد خان و الوزير الأول و المدير له فى جميع شؤنه رجلا اسمه سميع الله خان.

سميع الله خان هو أعظم الدهريين دهاء، و أشدهم اجتهادا فى تضليل المسلمين، و أدقهم حيلة و أقواهم مكرًا فى إيجاد الوسائل لتفريق شمل المؤمنين و تمكين الحكومة الإنجليزية فى أرض الهند، يقوم هذا الخادع خطيبًا فى محافل المسلمين فتسبق دموعه كلامه، و يأتى بغايه ما عنده من الفصاحة لهدم أركان الديانة الإسلامية، و إبطال عقائدها الأصلية، و يتجراً على حضرة الألوهية، و يطعن فى الرسالة و صاحبها، كل ذلك و هو ينتحب كأنما يرثى الدين و أهله.

إذا دخل فى بلد من بلدان لأداء هذه الخدمة واطب أيامًا على دخول المساجد، و حضور المحافل الدينية، و استدرج الناس بعذب الكلام، و لطف الوعد، و جذبهم إليه من حيث لا يشعرون، فإذا اجتمع عليه بعض من الناس اغترارًا بطلاوة ظاهره بدأ فى دعوتهم إلى مشربه الكدر (خلع الدين).

هذا العدو المبين للإسلام و المسلمين قد نال بمساعيه هذه وظيفة قاض (فى الشريعة الإنجليزية) فى بلدة (أكره) و هى بلدة لا تزيد عن دسوق فى مديرية الغربية، قالت جريدة التايمس بعد ما مدحت سميع الله خان بكل ما يمدح به: إن هذه الوظيفة (قاضى فى بلد صغير) هى أعلى وظيفة ينالها هندی وطنى (أحتاج لإثبات العدالة الإنجليزية إلى شاهد أكبر من هذا).

نورث بروك اللورد الإنجليزي الذى أشرنا إلى طرف من تاريخه فى الهند فى العدد الماضى، عرف سميع الله خان حق المعرفة عند ما كان حكمدارًا فى الهند و وقف على أنه أصدق الناس فى خدمة الإنجليزي و أقدرهم على أدائها. و لهذا طلبه ذلك اللورد ليكون كاتم سره فى مصر ليستعمله فى تغيير المصريين من الدولة العثمانية، و فى إقناع المصريين بأن حكومة إنجلترا تريد بهم خيرًا، و يستخدمه فى استمالة قلوب العلماء لأنه واحد منهم (على دعواه) و قد يكون من نيته أن يدخل الجوامع و يعظ و يخطب و يروى عن عدل الإنجليزي ما لا صحة له و ما تكذبه المشاهدة، ولكن رجاءنا فى نباهة المصريين و صدق عقائدهم الدينية و شدة ارتباطهم بالدولة العثمانية أن لا ينخدعوا لهذا الراكس الهندي (الراكس بلسان السنسكريت الشيطان المرید)، لا نجح الله له مقصدًا و لا أناله مبتغى.

### جريدة الأهرام

اشتد غضب نوبار باشا على جريدة الأهرام فأصدر أمره بتعطيلها شهرا و قفل مطبعتها. و قيل فى السبب إنها نشرت رسائل مدير الجريدة و هو فى لندن على ما فيها من بيان بعض مساوىء السياسة الإنجليزية على خلاف رغبة سعادة الباشا!! و قيل إن السبب لنشر الشكر الذى قدم إلى المدير و المحرر من أعيان البلاد دلالة على استحسان مشرب الصحيفة (استباح سياسة الإنجليز)، ولكن كتب

إلينا من مصدر خاص أن هذه المسائل العمومية لا تهتم نوبار باشا إلا إذا مست مصلحته الخاصة، فالسبب الحقيقي هو المنهج المستقيم الذى سلكته «الأهرام» دعا إلى ذكر بعض الرجال الوطنيين مثل رياض باشا و شريف باشا مع وصفهما بالوطنية و علو الهمة و كمال الغيرة. نوبار باشا ساع إلى أمرهم و هو ما ذكرناه فى العدد السابق و نشرته بعدنا جريدة (الديبا) و سائر الجرائد الإنجليزية و هو أن يكون ولى القاصر «عباس» بعد خلع أبيه فينال بسطة فى السلطة و إطلاقا فى الأمر و النهى. و علم أن هذا وقت الفرصة لحرص الحكومة الإنجليزية على تملك مصر و هى محتاجة فى ذلك إلى كل من ليس له وطن و لا دين و لا جنس فى مصر، فهى فى شدة الاحتياج لنوبار باشا، و توفيق باشا قبة جوفاء لا يرجع منها إلا صدى الأصوات. إن قلت لا فلا، أو قلت نعم فنعم، فهو فى غضبه و رضاه تابع لما يلقى إليه. فعلم نوبار باشا أن خديويا مثل هذا يمكن أن يكون واسطة فى تمكين الإنجليز من مصر من حيث لا يشعر و بتقديم هذه الخدمة لهم يبنى لنفسه من العزة قصرا شاهقا. فكيف يطيب لنوبار باشا مع هذا السعى أن يسمع ذكر رياض باشا و شريف باشا مع وصفى الوطنية و علو الهمة. ربما الإكثار من ذكر هؤلاء الرجال يحرك الخواطر الوطنية فيندفع منها سيل يهدم كل ما بينه. إن صاحب الأهرام أكثر من ذكر الوطن و الوطنيين، و نوبار باشا أبعد الناس عنهما لهذا أغضبه ذكرهما. كلما ذكر لفظ الوطن أو الملة أو الجنس أو الأمة، سواء كان فى مقال عام أو فى جانب شخص خاص، حسب نوبار باشا أن فى الكلام تهكما عليه و استهزاء به و لا عجب من نوبار باشا إن ظن ماظن أو فعل ما فعل، فالرجل ليس بمصرى و لا عربى و لا مسلم فإذا باع مصر بأبخس الأثمان فهو الرابع، لا خسر ملة و لا وطنا و لا جنسا.

و قيل إن نوبار يطلب إبعاد الزبير باشا من مصر فإن نال مطلبه لم يبعد أن يطلب لشريف باشا و رياض باشا و كل ذى شهامة أو فكر فى مصر مثل ما طلب للزبير و تكون الحكومة النوبرية حكومة هندية. و هل يبعد مثل هذا على من يسعى لخلع الخديو؟! إن الذى يؤيد ما روى لنا فى سبب تعطيل الأهرام هو أن نوبار باشا ما تحرك لحجز العروة الوثقى عن دخول مصر إلا عندما ذكر فيها رياض باشا مع ذكر بعض أوصافه، و إلا فإن كان السبب ذكر الإسلام و المسلمين فيها فذلك يندرنا بقفل الأزهر و بأمر نوبار باشا.

إنى أتعجب و كل ذى إحساس يتعجب من سكان الديار المصرية من المصريين و الأتراك و الحجازيين و اليمنيين. ألا يوجد من بين هؤلاء فتى يشمر عن ساعده و يتقدم بصدرة و يخطو خطوة إلى هذا الوزير الأرمنى فيبطل هذه الصفقة و ينقض هذه البيعة و يكشف له و للمغرورين من أمثاله حقيقة الوطنية و يرفع الحجاب عن واجبات المليئة، لا حول و لا قوة إلا بالله.

إن المولعين بحب الحياة يقضونها من خوف الذل في الذل، و يعيشون من خوف العبودية في العبودية، و يتجرعون مرارات سكرات الموت في كل لحظة خوفا من الموت، لا الدين يسوقهم إلى مرضاة الله، و لا الحمية الوطنية تدفعهم إلى ما به فخر بنى الإنسان!!

### لاهور

جاءتنا رسالته من لاهور باللغة الهندية (و رجاؤنا أن تكون المكاتبه فيما بعد باللغة الفارسيه) فرأينا أن ننشر ملخصها: قال الكاتب:

إنا نسمع صاحب جريده (أخبار عامه) اللاهوري ينادى من صميم قلبه بأن الإنجليز سلاطينا، خصوصا عند كلامه في الانتقاد على العروه الوثقى، و من غريب كلامه قوله إن غرض العروه أن تفصم رابطه الاتحاد بين الرعايا الهنديين و سلاطينهم الإنجليز. و لا يخجل من قوله إن سلاطيننا الإنجليز هم الذين زينوا الهند بإصلاح طرقه و مد السكك الحديدية في أنحاءه و وصل أرجائه بأسلاك التلغراف. كأنما الإنجليز من سلالة بكر (ماچيت) أو من جنس (الجهتري) أو من أحفاد (أكبر شاه الهندي). و إذا سمع سامع صوت هذه الجريده على بعد يظن أن هذه الأعمال التي زينوا بها الهند (على رأى الجريده) ما قام بها الإنجليز إلا لمنفعة الهنديين و يتوهم أن الهنديين جنوا من ثمرتها شيئا و أن ضجرهم من سلطة الإنجليز و نزوعهم إلى التملص منها إنما هو من كفران النعمة، يا عجا من هذا البانديت اللاهورى إنه يرى فقر أبناء وطنه و مسكتهم و يشهد بعينه أنهم لا يجدون ما يسدون به رمقهم، و إن أسعد الناس منهم من يحصل عشر روييات فى الشهر بعد أن يبلغ درجة عالية من الكمال و من جملتهم نفس صاحب الجريده. فكيف يطيل لسانه بشكر هذه الحكومه و يضع على ظهور الهنديين حملا ثقيلًا من المنه لمد سكك الحديد و خطوط التلغراف. إن كانت حكومه الإنجليز تسوس الهند بالعدل فأين ذهبت ثروه أهاليه مع خصب الأرض و وفرة الثمرات؟! و لأى سبب ابتلى الناس بالفقر حتى لا يجدوا قوتًا؟!

إن الجرائد الإنجليزیه فى الهند تنذر حكومتها بأنه لو استمرت الإدارة الهندية على حالها هذا فلا يمضى عشر سنوات إلا و تكون فتنه عموميه تأخذ بجميع أطراف الهند و يكون منشؤها الجوع. فإذا أنشئت الحكومه الإنجليزیه سكك الحديد لنقل بضائعها و ترويج تجارتها و حمل العساكر لقتل أبناء البلاد و ليس عند الهنود الآن ما يباع و يشتري حتى يستفيدوا من سهوله نقله، فلأى شىء تكون المنه على الهنود؟! و إذا مدت خطوط التلغراف لاستطلاع ما يجرى فى ممالكها و تسهيل المخابره بين رجالها، فأى منفعة فى هذا توجب مسره الهنود؟!

إن رجال الإنجليز بعد ما دخلوا البلاد على هيئه تجار و كانوا يخضعون للصغير و الكبير أزيد من قرن، بلغ من أمرهم الآن أن لا يعدوا الهنود من فصيلة البشر. إذا أراد الإنجليز أن يجمعوا أعيان البلاد لإلزامهم بأداء ضريبه جديده هيئوا مكانا عليا يرتفع عن الأرض نحو ثلاثه أذرع لتوضع عليه كراسى

سادة الإنجليز و يجلس الهنود فى منخفض من الأرض إظهارا للامتياز، مع أنهم ما جمعوهم إلا لسلخ ما بقى من جلودهم و امتصاص ثملة دمائهم. أى أمة متوحشة أو متمدنة تعامل أمة أخرى بهذه المعاملة؟! احلف بالله أن جنس الهندو (قوم برهما) حينما قدموا من إيران و فتحوا الهند ما عاملوا السكنة القدماء بهذه المعاملة مع أنهم كانوا يعتقدون أنفسهم سماويين و ما أذلوا جنس (الباريا) بهذه الدرجة مع أنهم كانوا يزعمون أنهم أبناء الآلهة. قبلوا جنس (التلنكان) فى مصافهم و أشركوه فى حقوقهم مع كونه مغلوبا لهم، فتح المسلمون أرض الهند فعاملوا الوثنيين كعاملتهم لبني ملتهم و ما حرموهم من الوظائف السامية، و ما من سلطان مسلم تسلط فى الهند إلا كان له من الوثنيين عمال و وزراء، كان المسلمون يسيرون مع الوثنيين سيره الإخوة حتى أوقع الإنجليز عمال و وزراء، كان المسلمون يسيرون مع الوثنيين سيره الإخوة حتى أوقع الإنجليز بينهم الشقاق فى بنجاب و أطراف مدراس. يزعم الإنجليز أن المسلمين أولوا تعصب دينى يجور بهم عن العدل مع أننا نرى إلى الآن فى الهند حكومات صغيرة يحكمهم راجوات و نوابون من أهل السنة و الشيعة و نرى للراجا الوثنى وزيراً مسلماً و عمالاً مسلمين و لنواب المسلم وزيراً و ثنيا و عمالاً وثنيين، و هكذا السنيون مع الشيعة و الشيعيون مع أهل السنة و لا نرى فى الملايين الكثيرة المحكومة بالإنجليز رجلاً هندياً فى وظيفة شريفة. إن هذا البانديت (صاحب أخبار عام) لا يخجل من قوله إن الإنجليز سلاطيننا، إى سلطان يستكشف من شرف رعيته و يعدهم فى عداد البهائم!؟

إن اللورد ريبون لما صار حاكماً على الهند و رأى أن روسيا وصلت إلى مرو و أحس بنفرة الهنود من الحكومة الإنجليزية و استعدادهم للثورة أراد أن يطيب قلوبهم بأمر حقير يسخر منه الأبله فضلاً عن الحكيم و هو توظيف (رام جندر متر) و مولوى محمود بن أحمد خان فى وظيفة القضاء ببلدة صغيرة، و هما ممن تعلم الشريعة الإنجليزية فى بلاد الإنجليز (انظر كيف يطيب قلب أمة عظيمة مجروحة الأفئدة ساقطة فى جحيم الشقاء بمثل هذه النكتة المضحكة) و هذا الالتفات من اللورد لكمال سياسته و حدقه، فماذا يكون موقع الهنود من نظره إذا كان يظن أن الأمم العظيمة المحترقة بنيران الظلم من أزمان تعترف بعدالة الإنجليز لمجرد توظيف شخصين و وظيفة صغيرة!؟

إن هذا مما عده اللورد الإنجليزي أمراً لازماً لصون سياسته مما عساه يطرأ عليها، و مع هذا قام الإنجليز فى الهند و رفعوا شكواهم إلى لندن من تصرف اللورد و لا يزالون يرفعون و يقولون كيف يجلس (كالالا) أى الهندي الأسود على منصة القضاء و ربما يأتي وقت تقام فيه الدعوى بين يديه على إنجليزي فيصدر الحكم منه عليه (كيف يصدر الحكم من هندي على إنجليزي)، فلعتبر من يعتبر، إن الإنجليز لا تسمح نفوسهم أن يعترفوا بإنسانية الهندي و لو للضرورة، أوجب البانديت اللاهورى أن يلقى غشاوة الغش على عينيه و أعين إخوانه و يفترى الكذب بقوله إن بين الهنديين و حكومتهم نوعاً من الالتئام!؟ و هل مثل هذه الحكومة يلتئم معها ذو إحساس!؟ إن البانديت يقول فى جريدته و



فى أثناء انتقاده على العروة: إن سلاله الأمراء و أبناء العائلة التيمورية (ملوك الهند) عراه فى الأسواق يتضورون جوعا و لا يجدون خصا يأوون إليه، فإذا كان هذا حال الأمراء باعتراه فكيف يكون حال سواهم و كيف طوعت له نفسه أن ينطق بكلمة تشعر بالرضاء عن حكومة الإنجليز.

إنه يتملق للحكام ولكن لا أظنه ينال على التملق أكثر من عشر روبيات فى الشهر فليس له أن يتعب لسانه و يجهد نفسه مجانا. لا ينكر البانديت أن الإنجليز إذا خاطبوا هنديا لا يكلمونه إلا بالعصا و إذا اعتدى إنجليزى على هندي فقتله حكم أطباء الإنجليز بأن القتل مات بالسل المزمى أو داء الكبد أو بمرض عياء ورثه عن آبائه كيلا يقاص إنجليزى بدم هندي، فيذهب دم الهندي هدرا. إن ظلم الإنجليز وجورهم يظهر لكل قارىء من تلك الورقة الصغيرة (أخبار عام). و إنى أقول بلسان كل هندي - وثنيا أو مسلما، سنيا أو شيعا - إن البانديت لا يمكنه بورقته هذه أن يقطب جروح الهنديين و لا أن يطفىء لهيب أحشائهم مما يرونه كل يوم من سلب الأملاك و إهانة الأديان و تضييع الحقوق و حرمان الأهالى من خدمه أوطانهم و ليس فى طاقة قلمه أن يرفع شيئا من الواقع و لا أن يحدث خاطر محبة الإنجليز فى قلب هندي إلا من خربت ذمته و مرق من عهود دينه و وطنه، و إن البانديت يعرف هذا ولكنه يسعى لعله يحصل شيئا زهيدا و يقنع به بعضا منا و كثيرا من الشرقيين صارت حوصلتهم كحوصلة العصفور يملؤها حبتان من الحنطة!! و سنكتب إليكم عن تفصيل الأعمال الإنجليزية عندنا إن شاء الله. اهـ

### الإنجليز و الدول

ما للحكومة المصرية لاهية عن شأنها؟! ماذا تبتغى من سكونها و ميلها مع ربح الحكومة الإنجليزية؟! ماذا تنتظر الدولة العثمانية بعد انحلال المؤتمر على غير طائل؟! أتظن الحكومة المصرية أن خضوعها لأوامر بريطانيا، و اهتمامها بخدمة عساكرها الزاحفة إلى السودان، مما يوجب الخجل لحكومة الإنجليز، فتستحي بعد ذلك أن تكفر نعمة الصداقة و ترعى سابقة الخدمة، فتترك مصر نقيه الراحة، بريئة الذمة، و تمكن الأمر للحكومة المصرية، و تشيد الخديوية لتوفيق باشا؟! إن خطر هذا الوهم ببال الحكام فى مصر فقد خرفوا، فليس يحوم مثل هذا الها جس فى فكر إلا و قد مسه الخبل، و لا يختلج فى صدر حتى يختم عليه بطابع العمى.

حكومة بريطانيا انتحلت لنفسها أسبابا للدخول فى وادى النيل، و أنشأت له عللا فغايتها من كل أعمالها أن تكون لها سلطة ممتازة فيه سواء تأيد توفيق باشا أو تأوده، و لما أحس رجالها أن بحث المؤتمر ربما ينجر إلى ما يمس غايتهم هذه تملصوا منه و استبدوا بأعمالهم و أخذوا على أنفسهم تسكين عاصفة الثورة السودانية. فإن تم لهم ما أرادوا و استقلوا بالعمل فى السودان فهل يرجى منهم أن يخلوا مصر بعدما فتحوا من ورائها ما فتحوا؟! إن هذا إلا خيال باطل. هل تهورت إنجلترا و أغاظت جميع الدول العظام و هيأت لنفسها خطر تألبهم عليها حبا فى توفيق باشا و رغبة فى حفظ

مسنده؟! هذا مما لا يعقل. ربما تكون الدول العثمانية و الحكومة المصرية فى رجاء أن الدول الأوروبية يستفزها الغضب فتندفع بقواها على دولة الإنجليز فتكبلها فى سياستها و تلجئها للجلء عن مصر فتركها لأهلها و كفى الله المؤمنين القتال، إن كان ذلك سبب الفتور فهو ثقة فى غير محلها و نوع من الطمع غريب. قد يكون اتفاق الدول على معاكسة الإنجليز متعلقا بجهات أخرى و لا يكون إخلاء مصر من مواضيع الاتفاق كما أشار إليه كثير من الجرائد، حيث ذكرت أن من المقاصد التى يجتمع لها القياصرة الثلاث كف روسيا عن مطامعها فى أوروبا و إطلاق العنان لها فى آسيا و الأفطار الهندية. أليس من الممكن أن مناوأة الدول للإنجليز تنتهى بسلب جزء أو أجزاء من أراضى المسلمين فى مقابلة تمكن الإنجليز فى أراضى مصر.

نبهت بعض الجرائد المهمة على شىء من هذا و صرحت بما لا ينطق اللسان بذكره. إن للدول اهتماما بنكاية الإنجليز و من أعظم البواعث على اجتماع القياصرة خروج إنجلترا عن حدها فى الاستئثار بالمنفعة على غيرها لكن أليس من الواجب على صاحب البيت أن يبدأ بعمل فى الذود عن بيته قبل أن يساعده الجيران خصوصا إن كان للجيران أطماع متنوعة بعضها يمنع عن المساعدة و بعضها يحمل على التوانى و تأجيل العمل لأوقات أخرى و ما يدرينا لو حولنا الأمر إلى الجار لينقذ المغصوب من يد الغاصب لعله بعد استخلاصه يختص به لنفسه فما الذى جنيناه من ثمار مساعيه و أية فائدة حصلناها. لو شحت الحكومة المصرية بحياتها، و أبصرت أن بقاءها فى إباطها، و ترفعت عن هذا الخضوع البارد، و تجافت عن تسهيل الطرق، و تمهيد السبل، لمسير العساكر الإنجليزية، ثم قامت الدولة العثمانية على المطالبة بحقوقها، و ذهبت فى الطلب مذهب العمل، و لم تكتف بلوائح تسطر، و حجج تنشر، و لم تستند على سفرائها الذين ليس لهم خوض حقيقى إلا فى ملاذهم و شهواتهم، لو كان كل هذا لشاركت الدولة العثمانية و معها حكومة مصر سائر الدول فى معاكسة إنجلترا، و حيث إن للدولة العثمانية و الحكومة المصرية الحق الأول و الملكية الشرعية فى تلك الأفطار فما يكون منهما من الأعمال يكسبهما تخليص البلاد، فإن الدول تكون فى عونهما و لا حق لواحدة منها فيما بعد أن تستأثر عليهما. إن إقدام الدولة على العمل و عدول الحكومة المصرية عن مسلكها المضر بها مما يقرب المسافة و يقصر المدة و يقوى حجة الدول فى مطاردة إنجلترا - لو تساهلت الدولة العثمانية و اطمأنت الحكومة المصرية لحالتها الحاضرة فبأى وجه تؤمل الحكومتان نفعاً من مطاردة الدول؟! على فرض لو استخلصت مصر من أيدى الإنجليز ماذا يبعث الدول على مقارعة دولة عظيمة كدولة بريطانيا لتسلبها ملكا عظيما ثم تسلمه للدولة العثمانية أو الحكومة المصرية. لا نتحاشى أن نقول إن الدولة العثمانية و الحكومة المصرية واقعتان بين خطرين عظيمين، إن فاز الإنجليز فى السودان فقد ضاع القطر المصرى، و استقر فيه السلطان لحكومة إنجلترا، سواء عارضت الدول أم لم تعارض، و ضياع القطر المصرى هو ضياع الكل كما أشرنا إليه مرارا و كما

يشهد به موقع البلاد المصريه من سائر بلاد المسلمين، و إن خاب الإنجليز فى منازلئ التائرين فليس يخفى على عقل عاقل ما يترتب على هذه الخيبة و ما ينشأ عن غلبه محمد أحمد و أتباعه و انهزام العساكر الإنجليزيه، و ربما كان هذا الأمر الثانى، سببا لمداخلات أجنبيه فى جميع أقطارنا.

ليس من الصعب على الدوله العثمانيه و لا على الحكومه المصريه أن تظهرها شيئا من الشده و تأخذا بجانب من القوه، و تقفا على قدم الثبات و دوله إنجلترا فى تخبط مع الدول و ارتباط بالسودان، و المسلمون من جميع الأقطار فى هياج شديد، لو قامت بما يسهل عليهما لحفظ لهما الموجود ورد المفقود، و سدت أبواب المطاعم، و أخذت الدوله العثمانيه مكاناً من القوه تخشع له قلوب الجبارين، و لازدادت بذلك ثقه المسلمين و انبعثت آمالهم. سلكت جريدتنا مذهب الصدق فى بيان حال الإنجليز مع الدوله العثمانيه و أثبتت عن بصيره و كمال خبره أن الإنجليز يهابون منافره الدوله و يخشون سوء مغبتها. جريدتنا تنادى بذلك من يوم صدورها بينا أن للدوله سلطه معنويه فى الهند لم تبلغها حكومه الإنجليز بعد إفراغ جهدها. هذه حقيقه الأمر و مع ذلك لا ندرى سر هذه السياسه اللينه التى لا نرى لها أثراً إلا فى الأوراق و تحت أسنه الأقلام و الإنجليز يقاتلون و يملكون و تزداد أقدامهم رسوخاً يوماً بعد يوم و انطلق بهم الغى إلى أن أطلوا أيديهم إلى الأوقاف المصريه يطلبون التصرف فى خزيتها و القيام على إدارتها، نعيد الكلام مره أخرى و نقول إن جميع المسلمين فى الأقطار الهنديه و ما يتاخمها قائمون على قدم و ساق متهيئون لمواثبه أعدائهم و سالى حقوقهم فبثبات ما من الدوله العثمانيه مظهر له أثر عظيم يضطر الحكومه الإنجليزيه الى ترك مصر، و ليس للدوله أن تضيع هذه الفرصه فقلما يأتى الزمان بمثلها، الدول متألبه على الإنجليز و روسيا مشرفه على الهند، و الهنديون فى هياج، و خطب السودان غير يسير، فإن لم تأخذ الدوله حقها من الإنجليز فى هذا الوقت، فمتى؟!

### تعظيم توفيق باشا لنورث بروك!

ورد خبر من القاهره بوصول اللورد نورث بروك إليها و تمت المقابله الرسميه بينه و بين توفيق باشا و قدم إليه رساله من اللورد جرانفيل يخوله فيها (نورث بروك) وكيلا للحكومه الإنجليزيه فى القطر المصرى و يطلب من الحكومه المصريه أن تساعده فى حل المشكلات الحاليه خصوصاً الماليه. فأظهر توفيق باشا غايه المسره من تعيينه بهذه الوظيفه و أكد له خلوص الوداد و كمال الرضا بجميع مطالبه. اهـ

و يظهر أن توفيق سر بقدم اللورد نورث بروك، و إن لم يكن بينه و بينه معرفه شخصيه و لا له سابقه علم بأحواله و لا بما يريد أن يعلمه فى بلاده، هذا يمكن، و ليت شعرى ماذا يجنى هذا الخديو الشاب من مرضاه هذا الخادع؟! و ماذا يصيبه من سهام حيله؟! و لقد بينا فى الأعداد الماضيه بعض صفات هذا اللورد و طرفا من أعماله فى الهند و نذكر الآن عملا آخر منها. طلب و هو

حكمدار الهند أن يمكن السلطه الإنجليزيه فى مملكه (كابورتال) و هى مملكه واسعه تتاخم (لاهور) و (بتياله) فادعى على مهراجها (ملكها) أنه مجنون و هو فى رشاد عقله و اعتدال مزاجه و خلعه بهذه الدعوى و سجنه فى (بكسو) حتى مات حتف أنفه و قيل بالسم و كان هذا الملك المخلوع ابن (راندهير سنك) و نصب بدله ولدا صغيرا من أولاد كاتب من كتاب ذلك الملك ليعد المملكه بذلك للدخول فى حوزة الحكومه الإنجليزيه و كانت الحكومه الإنجليزيه، قد تركت لبعض الرجوات المخلوعين غابات صغيره من بقايا أملاكهم للصيد فكان لأولئك المساكين يسلون أنفسهم على ضياع ممالكهم بصرف بعض الزمان فيها، فلما جاء اللورد نورث بروك حاكما فى الهند رآها كثيرا عليهم فنزعها من أيديهم و حرمهم من هذه المنفعه الزهیده. هذا هو اللورد الذى طلب سميع الله خان الدهرى ليكون معينا له فى مصر على إرضاء المصريين بحكومه الإنجليز و هو الذى أعطى المبالغ الوافره للمعلم (بالمر) ليشرها بين العرب حتى يثوروا فى أراضى الدوله العثمانیه أيام الحرب المصريه كما أخبرنا الثقه الصادق من لندن ولكن العرب قتلوا رسوله هذا و شق به أشخاص من مصر بلا جرم. هذا اللورد هو الذى يبتهج توفيق باشا بقدمه!! صان الله الأراضى المصريه المقدسه من شر هذا المحتال و من شر صاحبه سميع الله خان الدهرى.

## فرنسا و ألمانيا

جزمت جريدة (نوقيل بريس ليدر) أن الباعث على سفر البارون كورسل (سفير فرنسا فى برلين) إلى وارزين هو أهم حدث سياسى، و فى ظننا أن الحديث بينه و بين البرنس بسمارك انتقل إلى موضوع الحرب الصينية و مسألة الكونغو. قالت الجريدة: إن بسمارك قد غير منهجه السياسى الذى سلكه من سنة ١٨٧٠. كان مضطرا لإبعاد فرنسا عن سائر الدول اليوم وجه عزمته لإبعاد إنجلترا. و لما اجتمع الأباطرة الثلاثة فى سنة ١٨٧٢ اضطرت خواطر الفرنسيين و كان كل منهم يحدث نفسه: هل ينتظر اتفاق بين الأباطرة على مناوأة الجمهورية؟ أما إذا اجتمعوا فى هذا العام فلا يخالط الريب قلب فرنساوى بل تكون النفوس ساكنة مطمئنة. و لا يوجد فى دولة أوروبية ما يوجب حدوث قلق فى باريس بأى وجه كان، بل يوجد ما يثبت المطمأنينة، فإن من نية الرنس (بسمارك) فى وارزين أن يقرب فرنسا إلى سائر الدول البرية، و إن زيارة البارون كورسل للبرنس تعد أكبر شاهد على ما نقول. اهـ

## كيد الإنجليز فى مصر

أرسل الإنجليز مراكبهم إلى ثغر الإسكندرية سنة ١٨٨٢ بلا سبب أو لقصد تهيج الخواطر الساكنة، ثم أطلقوا نيران مدافعهم على ذلك الثغر فكان عملهم الأول و الثانى سببا فى خسارات جسيمة نكب بها سكان البلاد ثم كان الضمان عليهم هذا إما سوء حظ المصريين أو لضعف الحكومة أو خرقها، لا ريب أن خزانة الحكومة المصرية فى عجز عن أداء هذه الغرامة الثقيلة التى هى فى الحقيقة قصاص بلا جنائية. ولكن مع ذلك للمصابين حق فى المطالبة بخسائرهم و ليس لهم صبر على الإمهال فيها، فحدثت ربكة و حكومة الإنجليز كالصياد الماهر لا يطلب السمك إلا عند تعكير الماء!! رأت أن تصيد صيدا أو تخطو خطوة أخرى إلى مقصدها فى مصر بعد خطواتها السابقة أو تمكن مخالبتها فى أحشاء مصر، بل يصح أن نقول إن الحكومة الإنجليزية بحيلتها التى أشرفت على تميمها تريد أن تبقض على زمام البلاد المصرية فتكون بأسرها فى تصرفها.

من المعلوم أن عمار المساجد و المدارس الدينية إنما هو بالأوقاف التى أنشأها صلحاء الملة من أزمان مديدة و لا يزال ينشئها المقتنون لآثارهم، و قيام الدين الإسلامى إنما هو بعمار المساجد و المدارس الدينية. فالأوقاف عماد عظيم يقوم عليه عرش الديانة الإسلامية. فقصد رجال الحكومة الإنجليزية بكيدهم أن يجعلوا العلماء الذين يعمرن مساجد الله و معاهد العلوم الشرعية خاضعين لأحكامهم، مرتبطين بعملهم حتى يستعملوهم، (و إن طلبوا محالا) فى جلب قلوب الأهالى إليهم و تأليفها على ولائهم و ربما نالوا بهم حجة عند دول أوروبا، يثبتون بها رغبة المصريين فى بقائهم تحت سلطة الحكومة الإنجليزية و اطمئنانهم إلى ما تقتضى به فيهم.

هكذا رأى اللورد نورث بروك أن يحل مسألة التعويضات بأن تدفع الحكومة الإنجليزية قرضا للخبزينة المصرية تؤدي به تعويضات الخسائر التي حدثت من ضرب الإسكندرية على شرط أن تكون الأوقاف العمومية كافلة للقرض و فوائدُهُ و تكون إدارة الأوقاف في تصرف الإنجليز.

ألا أيها النائمون تيقظوا، ألا أيها الغافلون تنبهوا، يا أهل الشرف و الناموس، و يا أرباب المروءة و النخوة، و يا أولى الغيرة الدينية، و الحمية الإسلامية، ارفعوا رءوسكم، تروا بلاء منصبا على أوطانكم، و ما أنتم ببعيد منه، و لا بمعزل عنه، إن لم يكن أصابكم اليوم، فسيصيبكم غدا، تساهلتم في الذود عن حقوقكم المقدسة، و لهوتم عن ما أضمرت لكم هذه الحكومة من الإهانة و التذليل، و سوم الخسف و تعللتم بالأوهام. فتنتم أنفسكم و تربصتم و ارتبتم و غرتمكم الأمانى، حتى جاء أمر الله و غركم بالله الغرور. أصبحتم على شفا جرف المذلة، و يخشى أن يقذف بكم قليل في جحيم العبودية.

إلا أن وقت التدارك ما فات، فالأرواح في الأجساد، و العقول في الرءوس، و الهمم في النفوس، و إقدام العدو في زلل، و شئونه في خلل، فاثبتوا و لا تهنوا، و لا تحزنوا و أنتم الأعلون، إن كنتم مؤمنين، لا ترضوا بالدينية، خوفاً من المنية، و اعلموا أن ثباتاً قليلاً و إقداماً خفيفاً في هذا الوقت يفعل ما لا يفعله الجيش العرموم، نعم فإن الدول متفقهة على معاكسة الإنجليز، و الإنجليز في شغل شاغل بالمسألة السودانية، و قلوب رعاياهم في الشرق خصوصا المسلمين، منحرفة عنهم، و كوامن الأحقاد متهيئة للوثبة عليهم، فعمل صغير في مناوأتهم من أهل مصر يوجب بعون الله سقوطهم و تنكيس أعلامهم، و رجوعهم بالخبيثة خاسرين، فالثبات الثبات و حذار حذار من التوافى و التقاعد، هذا وقت يقرب فيه المؤمنين الى ربهم بأفضل عمل شرعى، هذا وقت تنال فيه سعادة الدارين، للعامل فيه خير الدنيا و له في الآخرة الحسنى و زيادة، هذا وقت تظهر فيه ثقة المؤمن بوعد ربه، هذا وقت يشكر فيه العامل على بسيط الأرض، و يحمد له عمله فوق سبع سموات، إلا أن الشيطان يخوف اوليائه، فلا تخافوا أعدادكم و لا تكونوا كالذين استحبوا الدنيا على الآخرة، إن الله تعالى قد جعل من علامات الإيمان حب الموت اختيار لرضاه و إعلاه لكلمته، كونوا مع الله في نصره ينصركم و يثبت أقدامكم، ثقوا بوعد الله فلن يخلف الله وعده، إن أخلصتم له في العمل سلوا قلوبكم، و امتحنوا إيمانكم، و لا ترتابوا في وعود ربكم، فلن يرتاب فيها إلا القوم الكافرون.

### الصراع بين إنجلترا و فرنسا

أظهرت جريدة استندارد عند كلامها على السياسة الفرنسية حدة زائدة و قالت إنا و إن كنا لا ننصح حكومتنا (الإنجليزية) بمعاداة دولة فرنسا ولكن علينا أن نهج الطريق الذى يوافقنا بدون أن ننتظر فضلا من الأمة الفرنسية و لا أن نخشى غائلتها فإن كل عمل لا يبنى على هذا الأساس لا تكون غايته إلا الخبيثة و لا عاقبه له إلا الخسارة و أن تباين المصالح بين فرنسا و إنجلترا في درجة لا يمكن معها و فاق بين الدولتين. اهـ

و لم تنفرد جريده استندارد بهذا القول ولكن على شاكلتها جميع الجرائد الإنجليزيه المهمه و ليست جرائد فرنسا بأقل حده من جرائد إنجلترا فى تسوئه السياسه الإنجليزيه، و هذا مما يرشد إلى تمكن النفرة بين الدولتين، و ربما ذهب بهما التباغض الذى يزداد يوما بعد يوم إلى مقارعه أشد من مقارعه الكلام، و السياسيون فى إنجلترا يرون أنهم يخسرون فى ذلك اليوم أكثر مما تخسر حكومه فرنسا، فإن انفرادهم عن الدول وضعفهم فى القوى العسكريه، و جفول أمتهم من الحرب خارج بلادهم، إذا امتد زمنها أو كان المنازل فيها أمة قويه حربيه، كل هذا سيوقعهم فى فشل لا يسهل عليهم النجاه من عواقبه، نسأل الله تحقيق ما يخافون.

### نكايه الإنجليز

حركات العقلاء على حسب المقاصد و مقدره قدره و أولادها بالاعتبار ما يصدر عن كبار الرجال الذين يدبرون شئون الممالك على قواعد العقل و أصول الفكر. و على رعاه الأمم فى كل دوله أن يكونوا بمرصد لكل حركة سياسيه و بمرقب للنظر فى غايتها و البحث عما بعث عليها. رب نهضه من سياسى عظيم تميد لها الراسيات فى كل دوله و تضطرب لها الروابط العامه بين أمة و أمة. فليس لمحنك فى السياسه أن يقصر نظره على ما عنده و يرد كل حادث سياسى إلى ما رسم فى مخيلته و اعتقده موافقا لمصلحته فيضل عن الرشد بالقصور و يغيب عن الصواب بالغرور، بل عليه أن يطالع مقاصد السياسيين فى لوح الإمكان و يتلوها فى صفحات المنافع و المضار التى يحمل على جلبها أن يدعوا إلى دفعها طبائع الأمم و لوازم مليتهم و مواقع بلدانهم و علائقهم مع سواهم حتى يمكنه أن يكون بين هذه الجواذب و الدوافع حافظا لمداره، واقيا لنظام سيره، يكون على غوارب أمواج الحوادث كالملاح الماهر، يضرب بسفينته عروض البحار، فى أمن من الأخطار، يستفيد حتى من العواصف، و ينجو حتى من القواصف.

كانت حكومه فرنسا أشد الدول فى دفع إنجلترا عن مطالبها الماليه و بهذه الشده سقط المؤتمر، بعد هذا بذل البرنس بسمارك جهده فى اجتماع القياصره الثلاثه فاجتمعوا فى (اسكيار نيافيس)، ثلاثه ملوك عظام تلاقوا بعد طول المخابره و معهم وزراءهم، و رجال تميزوا بين السياسيين بعلو الرأى و بعد الغايه. هل كان هذا التلقى لإطفاء لوعه الشوق و إجابة داعى المحبه الشخصيه؟! هل كان كما ذكرته الصحف للتداول فى الوسائل التى يجب استكمالها لقهر الفوضيين؟! كيف يكون هذا و ليس أعوان الفوضى إلا كلصوص تقمعهم السطوه الداخليه و يكفى لسد أبواب الفرار فى وجوههم مخابرات خفيفه بين أولئك الملوك كما هو الشأن فى أمثالها من المسائل الجزئيه. إن ما تقوله الجرائد من هذا القبيل إنما يقصد به التعميه و صرف الأذهان عن النظر فى الحقيقه - أى غرض عظيم دعاهم للاجتماع؟! - لم يجتمعوا لنفع دوله واحده فإن حكم المنافسه محى فضيله الإيثار. قد انضم لهذا الاجتماع تعدد الملاقاه بين البرنس بسمارك بهذا الاتفاق الإمبراطورى أن يجعل

لفرنسا ركنًا شديدًا في معارضة إنجلترا حتى يستحكم الشقاق و يفضى إلى حرب توهى القوة الفرنسية و يصيب منها ما يحب، هذه فائدة خاصة بدولة الألمان لو قدرت على نيلها فماذا ينال الدولتين المنافستين لها من الاتفاق معها. أو يريد البرنس مجرد المجاملة لفرنسا و تقطيب جراحها بتأييدها في رغباتها فتكون المصفاة بينها و بين ألمانيا و تنسى الأحقاد بينهما غاية لا تطلب و الشأن فيها كسابقتها، يقصد البرنس مجرد الانتقام من وزارة بريطانيا تشفيا من غيظ الإهانة التي لحقته في المؤتمر. إن كان هذا، فما بال الدول تتفق معه على انتقام شخصى لا يمس المصلحة المشتركة. هل هذه الحركة الشديدة موجهة إلى ما يقصده بسمارك من التملك و الفتوح فى الشرق و إلى هذا القصد تنتهى؟! أضح أن يكون ذلك الأمر الكبير وسيلة لهذا الغرض الحقير. على أن إنجلترا كانت أقرب إلى ألمانيا فى هذه الوجهة و أجدر بأن يميل إليها البرنس و يتحالف معها لنيل هذه البغية؟!!

هل أراد البرنس روسيا و يلهى فرنسا بالمسألة المصرية لتنام الأعين عن دولة النمسا فتتقدم من طرف هرسك و بوسنة إلى ماشاء الله و وسعت القوة، فى غير موضع وصناعة فى محل القطيعة. هل أحب البرنس أن يمتع نظره بشهود الفتوحات، فبعدهما فتح للنمسا بابا فى الشرق من جهة هرسك رسم لروسيا طريق هراء و قندهار، و مدلفرنسا خطأ فى حدود تونس و هو قرير العين بما يرى و يسمع من توسع هذه الدول فى فتوحاتها و إن لم تعد من ذلك فائدة على الأمة الألمانية.

شئ لا يأتى عليه الفكر و لا يصيبه النظر. هذا و لا يصح لنا أن نقول إن الحلف العظيم بين القياصرة و اهتمامهم بتأكيد الروابط بينهم لمجرد كف يد الإنجليز عن مصر و إبقاء فائدة الدين و مبلغ الاستهلاك على ما كانا عليه، و حفظ قانون المالية المصرية كما ظن مراسل (التان البرلينى) قال إن فى عزم البرنس بسمارك تأييد الحجج الفرنسية بثبات شديد و إرادة صحيحة، و سيكون مع فرنسا يدا واحدة فى إبقاء الحالة المالية فى مصر على ما كانت عليه، و فى زعم المراسل أن هذا كان باعثا لسياسى إنجلترا على بذل الجهد لحل عقدة الاتفاق بين ألمانيا و النمسا و فرنسا. فإن المسألة المصرية بمجرد لها ليست مما يدعو إلى حملة عمومية.

إنى أرى تحت هذا النفع جحافل أهوال، و وراء هذا الغيم و ابلاات أرزاء، أرى تنقلا قريبا فى حدود الجغرافيا فى السياسية، و تغييرا عظيما فى الخطط الدولية، و انقلابا فى هيئة الروابط العمومية، نعم قد يكون من المبادئ الأولية لهذا العمل أن يتفق البرنس بسمارك مع فرنسا فإنه لم يجد خيرا فى مناوأتها زما طويلا. و كلما رام الوضع منها زادت علوا و ارتفاعا فيرد أن يجرب صداقتها، كما جرب عداوتها، و أن يدفع البرنس دولة روسيا إلى آسيا فهو أسلم للدولتين الألمانيةين، ثم يبعث النمسا على التقدم خطوات حيث تولى وجهها و فيما تخلفه ورائها فائدة البرنس المالية، - أرسل البرنس ولده الكونت هيربرت بسمارك سفيرا فى لندن ليكون حفيظا لسره أميناً على عمله، حتى إذا ما فاته ما يرجو من العزيمة الأولى، لم يخجل من الانقلاب عنها إلى الأخرى، و ربما يرى الارتباك



الذى يؤدى به إلى ما يريد إنما يكون بعقد مؤتمر جديد باسم المسألة المصرية، و يقال إنه سيثبت على شدته فى هذه المسألة إلى حد، كما روته الجرائد المهمة - و قضت الحوادث أن تكون الدولة العثمانية و الحكومة المصرية التى هى جزء من أجزاء الدولة فى مهب رياح مختلفة فعليها التيقظ التام، و الاحتراس الشديد كى لا تكون خسارتهما فى استفادة غيرهما. إذا قامت الدولة بعمل كما يليق بها حفظت حقوقها و صانت بقیة ممالكها، الحكيم اليقظ يستفيد من كل حادثه و إلا خرق الغافل عرضه لكل خطر. الدولة تطلب نكاية الإنجليز من كل وجه فما الذى يمنع الدولة العثمانية من مجاراة الدول العظام و هى أقدرهن على الإضرار بهم فإنهم فى بلادها، يعبثون فيها مفسدين و سكان البلاد لا ينتظرون إلا خطوة من دولتهم إليهم فيقيمون القيامة عليهم.

### أسف...

أنبأت الأخبار الأخيرة بحدوث ثورة فى دارسين من بلاد أرمستان قصد الإخلال بالسلطة العثمانية فى تلك الأقطار، و مهب ریح هذه الثورة من جمعية الأرامنة فى تفليس، و الأسلحة و الذخائر تنهال على الثائرين من تلك الجمعية. هذه هى الأمم الخاملة التى لم يكن لها فى الكون مكان، و لا على صفحة الوجود أثر، و لا فى صفوف الأمم العظام قدم، أصبحت يطلب اسما رسميا و شأنًا عليا، تنفق أموالا، و تبذل أرواحًا، و لا تبالي بأغوال المنايا، فما بال المسلمين فى بعض الأقطار و قد كانوا هامة العالم، نراهم اليوم فى قنوط و يأس، تتخطف الدول الأجنبية ممالكهم، و هم فى سكون يكتفون بأسف العجائز، و تحسر الزمنى، مع أن لهم دولا عظاما، و عددهم يتجاوز مائتى مليون من النفوس. إن هذا لشيء عجيب حقا!!

### إسماعيل باشا يحن إلى مصر!

عظم على الخديو السابق أمر ما نزل بمصر، و عز عليه اشتداد الأزمة فى داخليتها، و عسر ماليتها، و اكتنافها بالفتن الخارجية، و ارتباكها فى المشكلات السياسية، فحن إليها (و له أن يحن). و أراد أن لا يدع للإنجليز موضعًا للتعلل (فى تأمين الدين و أطفأ الثورة) فأظهر من سريره ما ذكرته جريدة (الروبيليك فرانسز) و هو أنه يتبرع بالتزام أداء ما يطلبه حاملوا الأوراق المصرية مع استعداده لأن يقود جيشًا لمغالبة محمد أحمد!!

و رأينا فى جريدة الماتان أن مسيو كورسيل سفير فرنسا فى برلين أخبر حكومته بوجه رسمى أن القياصرة الثلاثة استقر عزمهم أن يعثوا إلى الخديو (توفيق باشا) بلانحة مقتضاها أن منصبه سيكون فى خطر إذا استمر زمنا طويلا على الركون لإنجلترا فى الدسائس المالية بالقطر المصرى، و أن السعى فى عودة إسماعيل باشا إلى مصر سيكون مؤيدا من وزارات برلين و ستراسبورج و قيينا و باريس، و أن مسيو هربرت بسمارك يأخذ على نفسه أن يشهر الدوائر السياسية بلندن ما يترتب على

عودة الخديو السابق من الفوائد حيث يعلن رسمياً أن عودة إسماعيل باشا هي أفضل في نظر الدول من الأعمال التي تصدر من إنجلترا متعلقة بمصالح أوروبا و منافعها في البلاد المصرية. اهـ

إنا نعلم أن إسماعيل باشا لو رجع إلى مصر لا يكتفى بتخفيض سلطة الإنجليز في وادي النيل، بل يبذل جهده في محو النفوذ الإنجليزي بالمرّة، و ربما مد حباله إلى سائر البلاد المشرقية الداخلة في سلطة الإنجليز ليحبط أعمالهم فيها، و يهدم أركان سلطتهم عليها، لأنه يعلم أن الدولة الإنجليزية هي السبب في كل مصاب نزل به، و كأن الإنجليز أحسوا بذلك منه على ما روته بعض الجرائد فدفعوه عن نيل مقصده و لا يزالون يدفعونه، لكن لو اتفقت بقية الدول مع الدولة العثمانية على إرجاعه لم يبعد وقوعه، غير أن إحدى الجرائد ذكرت مانعاً قويا و عائقاً شديداً يحول دون نجاح هذا المقصد و هو امتناع الذات الشاهانية عن إصدار الفرمان لإسماعيل باشا بخديوية مصر، أيا كانت الحال. و استعظام هذا المانع مبنى على ما تراءى للسلطان من أن إسماعيل باشا وهو في أوروبا اعزل فاقد السطوة لاحول و لا قوة كان مهتما للتشويش على الخلافات العثمانية و معارضة الذات الشاهانية، و أن الرسائل الكثيرة و المقالات المتعددة المطبوعة بالألسن المختلفة المشحونة بما يمس الخلافة، و قد وصل إلى علم السلطان أن الحامل على تحريرها هو اسماعيل باشا، فهذا الظن هو الذي يمنع السلطان من تسهيل الطريق لعودته لحسابه أنه لو صار له نفوذ و سلطة في مصر فربما صدرت عنه أعمال لا توافق مصلحة الدولة. فعلى رأى صاحب الجريدة إن عود إسماعيل باشا إلى مصر بعد اليأس من إنجلترا لا يكون إلا بإصلاح الصلة مع السلطان و استمالة سائر الدول - هل يمكن هذا؟ ربما يمكن إذا وثق السلطان بما يطمئن به و وضح للدول ما يصح الركون إليه. هذا إذا لم تراخ الدول و لا الدولة العثمانية حركة الأفكار العمومية في مصر فإن جعلت هذا أساس العمل زادت المسألة صعوبة فإن رأى العام في هذه الأيام مختلف بالديار المصرية. فمن الناس من سبقه ميله لتوفيق باشا و منهم من قام يدعو إلى حلیم باشا و يطلب من الناس أن يوقعوا على محضر بطلبه كما جاءنا به خبر الثقة، و منهم من هو ممسك عن رأى صامت عن القول، و سنأتى على بيان هذه المسألة فيما بعد إذا دعت الحوادث حقيقة للكلام فيها.

### الفرصة

إذا تليت سطور الحوادث الأخيرة و أعطيت حقها من الاعتبار و لوحظ ما وصلت إليه هيئة السياسة في أوروبا لهذا العهد القريب و ما يشف عنه اجتماع القياصرة الثلاثة و ما يرشد إليه تداول الزيارات بين البارون دى كورسيل سفير فرنسا في برلين، و بين البرنس بسمارك. و لو تبصر متأمل فيما يتبع ذلك لصح له الحكم بخطر هذه الحالة في مصر على إنجلترا و أنه لم يبق لتخليصها من يديها إلا شيء واحد هو قيام العثمانيين على حقوقهم و اشتدادهم في طلبها و عدم اطمئنانهم لأعمال وكلاء الإنجليز في الأستانة، خصوصا في هذا الوقت الذي همت فيه الدول بتخفيض السلطة

الإنجليزية و نزع مصر من يد إنجلترا. و يرى السياسيون أنه لا شىء أشد تأثيراً و أجمل عائدهً فى تلطيف المسألة المصرية من مداخلة الدولة العثمانية.

و أخير مراسل صحيفة التان فى قيينا بناء على ما وصل إليه من مصدر موثوق به أن دولة ألمانيا و المنسا و روسيا من رأيهم أن تداخل الدولة العثمانية و تجديد سلطة السلطان فى وادى النيل يوجب تعديل الحالة السياسية، و ليس الغرض من هذا إلا كف أيدي الإنجليز عن تلك الاقطار. فليس من ابرأى أن تصغى الدولة العثمانية لنصائح إنجلترا و وكلائها و هى ترى أن جرائد الإنجليز تنادى بلسان الأمة الإنجليزية على حكومة بريطانيا طالبهً منها إعلان الحماية على مصر، بل و التمكين فى الخرطوم بعد رفع الحصار عنها و تنصحها بمد سكة الحديد من سواكن إلى مدينة الخرطوم. فلو تساهلت الدولة فى هذا، فقد فرطت فى جزء عظيم من ممالكها، و أضاعت حقاً ثابتاً، و أى دولة سواها تهتم بإخراج الإنجليز من مصر، فهى صاحبة الحق فيها فلا يكون للدولة نصيب من ملكها إذا أضاعته بالتفريط.

اللورد نورث بروك و زبانيته يسعون لجلب قلوب الأهالى بتزيين الأمانى و تخييل الآمال.  
«يَعِدُهُمْ وَ يُمْنِيهِمْ وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا» [النساء: ١٢٠]، ليتخذوا من ميل المصريين حجة يجادلون بها الدول و يثبتون لأنفسهم حقاً قانونياً فى الإقامة بمصر، ثم من جهة أخرى يحشدون قوة عظيمة إلى مصر استعداداً لتلقى الحوادث المنتظرة لكن تحت اسم إنقاذ چوردون، فلو وجد الإنجليز برهانا من الحيلة و منعه بالقوة و حملهم الغرور و الكبرياء على مشاوره الدول اعتماداً على عدم الاتصال فى البر و تمكّنهم من المراكز الحربية فى البحر كمالطه و قبرص، و أن تحارب الدولة العثمانية، فهم أقدر الناس على محاربتها من جهة العريش و فى عموم السواحل، فماذا تكون العاقبة؟ هل تكظم الدول غيرها و تترك الإنجليز و شأنهم. لا نظن ذلك ولكن إذا حالت الموانع دون نكاية الإنجليز فى مصر عمدت الدول إلى نكايتهم بالحصول على غنيمه تعادل مصر و لا تكون إلا تكون فى بلاد المسلمين، فتساهل أصحاب الحق الشرعى فى وادى النيل يضيع لهم حقوقاً أخرى فى غيره. إن الدولة العثمانية أولى من سائر الدول بالعمل فى المسألة المصرية و أجدرهم بالاهتمام بها، و من الواجب أن تكون أشد حرصاً على الظفر بالإنجليز فيها. إن الدولة فى مقام المدافع عن حياته و هو بحكم الطبع أقوى باعثاً و أدنى للعمل من طلب الفائدة، إن شرا يقع أولى بالتلافى من شر يتوقع، و إن خطراً عاجلاً أخرى بالالتفات من وهم باطل نفوس المصريين فى هياج فإن ما أفسد قلوبهم على الإنجليز من سوء التصرف فى الحكومة و استلام إداراتها و إبطال الحقوق الوطنية و حشد الجيوش إلى البلاد لقصد التمكّن فيها، كل هذه سهام خرقت شغاف القلوب و زاد الجراح نغراً ما اعترفت به جريدة التايمس من اشتداد الارتباك و تعطل أسباب المعيشه و وقوف دولاب التجارة و

إشراف العائلات الكبيرة على الافتضاح خصوصاً الذين كانوا فى خدمه أو طانهم و حرموا منها. فلو أحس المصريون و هم فى هذه الحالة بحركه خفيفه من دولتهم (العثمانية) لكفوها شر الإنجليز و قليل من العمل فيه الكفايه. و اليوم يتوجه الإنجليز إلى السودان، فلو لمحوا ثباتاً من العثمانيين لوقفوا وقفه الحائر بل سقطوا فيما لا منجى لهم منه. إن الخطر كل الخطر فى سكوت العثمانيين. عن طلب حقوقهم، و ليس من الرأى أن يخاطروا بأنفسهم ثقه بمواعيد الإنجليز و فى عملهم أن لا وفاء لها. فهذا هو الوقت الذى يتمكنون فيه من إعادة سلطتهم على القطر المصرى إلى أعالي السودان. و فى ذلك صيانه ممالكهم من العدوان و لا يرضى بفوات هذه الفرصه إلا من أسلم نفسه للموت و ألقى بها إلى التهلكه. هذا ما يشبهه العيان و لا يختلف عليه اثنان، فمن اهتدى فلنفسه و من ضل فإنما يضل عليها و ما أنا عليكم بوكيل.

### جلادستون

قامت الدول الأوربيه كافه على المطالبه بحقوقها و إعانات الإنجليز فى مصر خصوصاً دولتى فرنسا و ألمانيا و جميعهم يطالبون إنجلترا بإنجاز و عودها و يقيمون الحجج عليها فى أعمالها على كيفيات مختلفه و من وجوه متعدده.

و محمد أحمد و أتباعه قد فرغوا من أعمالهم الزراعيه و أحرزوا غلتهم و هيئوا مؤنهم و جندوا الجنود الكثيفه و قصدوا أطراف دو صد و بربر، و فى الأخبار الأخيره أنهم سيروا جيشين على طريقين أحدهما يزحف من الصحراء و الآخر على خط النيل. و القلق و الاضطراب و ضيق الحال و اختلال الأمن يزداد فى مصر كل يوم حتى صار يخشى من فتنه عامه، خصوصاً بعد ما أحس الناس بسوء نيه الإنجليز، و يمد هذه الأفكار ما فشى بين العساكر و العامه من أن السلطان غير راض عن أعمال الإنجليز فى مصر و لا هو مرتاح لزحفهم على السودان، و بوده لو يصادفون مقاومه لا يخطون بها خطوه، و نزول ماء النيل و فقدان وسائل النقل و وعر الطريق و بعد المسافه، كل هذا أطفأ تلك الحراره، التى كانت تطير بالعساكر الإنجليزيه إلى الخرطوم بأسرع من حركه البخار لإنقاذ چوردون كما يزعمون أو تملك الخرطوم كما هو حقيقه القصد. و انقلاب قلوب الهنديين على حكاهم الإنجليز و ظهور تلك الضغائن مع العجز عن سترها خصوصاً من النوابين و الرجوات الذين يتوجسون الشر من و ثبات الحكومه الإنجليزيه عليهم و هم الآن فى ضجر شديد من تضيقها و تشديدها فى مراقبه أعمالهم و هم على صوره الاستقلال، حتى إن بعضها منهم و من أعيان الأهالى الهنديين بعثوا بأناس إلى سرخس و مرو و أشقباد على ما بلغنا ليعرضوا لإخلاصهم و يتبينوا يوم خلاصهم، ذلك كله أحدث قلقاً و اضطراباً فى أفكار سياسى الإنجليز و تخبطاً فى سيرهم. فمن جهه يريدون ستر خجلهم من الأعمال المصريه مع قضاء بعض أو طارهم فيطلبون إلى الدول تشكيل مراقبه عموميه و ترك مصر و شأنها مع بقاء شردمه من عساكرهم فى وادى حلفا لصيانه

الحدود المصرية بعد طرد الجند الوطنى (كما صانوا سائر الممالك الهندية بأمثال هذه الشذمات!) و يتوهمون أنهم يلهون الدول بهذه الأضحوكة، و من جهة أخرى يتبعون إقناع أنفسهم و إقناع الأمة الإنجليزية بأوهام خيالية و ترهات صيبانية يجعلونها أساساً لسياستهم فى الممالك الهندية. من ذلك ما اعتمده اللورد دوفرين (ذلك السياسى المشهور الذى أفسد شئون مصر) قاعدة متينة لصون الممالك الهندية. بعد أن عين حكمداراً عليها، قال فى مقال ألقاه فى (بال فاست): أنه يعد نفسه سعيداً بمعرفته الخصوصية لمسيو چيرس وزير خارجيه روسيا، ثم أثنى عليه بحدته تبنى عن الإخلاص، و قال: إنى أرى لمسيو چيرس رغبة صادقة فى حصول المصافاة بين روسيا و الإنجليز و رفع الشقاق بينهما، و بالغ فى القول حتى قالت جريدة (الميموريال دبلوماسيك) بعد ذكر تهنته روسيا للورد دوفرين على الوظيفة الجديدة: إن اللورد مكلف بعقد وفاق تعين به مهلة لتلاطم الدولتين المتنازعتين فى آسيا الوسطى بعد تحديد تخوم أفغانستان من طرف الشمال. هذا ما اندفع إليه جناب اللورد بقوة الاضطراب و شدة الشغف بتسكين خواطر الشعب الإنجليزى و تغيير العقول فى الهند و إرضاء القلوب عن سياسة الحكومة و ربما إرضاء نفسه أيضاً، و القارىء يعلم من هذه الحالة مقدار العجز الملم بسياسى بريطانيا حيث طفقوا يجعلون من مبانى سياستهم فى الشرق معرفة شخصية بين حاكمهم فى الهند و بين وزير روسيا الذى لم يخط خطوة فى الشرق إلا و غايتها الهند و لم تتقدم قدماً إليه إلا بعد عهد ينكث و ميثاق ينقض. فإن حلف وزير روسيا للورد هذه المرة لا يختلف هذا اليمين عن اليمين السابقة، على أن المحبة الشخصية لا قيمة لها فى السياسات الكلية و ما سرور الإنجليز بها إلا من آثار الذهول و سر سأم العقول.

و أعجب من هذا أن جلاستون يرفع صوته بين شعبه بقوله: إن من ضعف العقل أن يظن الوهن فى إمبراطورية الإنجليز أو يترقب بها الضعف فى المستقبل و إن بسطة الدول مما يوجب بسطة إنجلترا. عجباً!! فإذا انبسطت روسيا إلى الهند فإلى أين تنبسط إنجلترا، أظنها تنقبض، لا تنبسط، و يقول: إن يوماً تشعرون فيه بالخوف لبعيد و ليس بقريب. سبحان الله. روسيا وضعت يدها على باب الهند (سرخس) و شهرتها عمت أنحاءه، و قلوب أهاليه ميالة إليها و هى لا تهاب الإنجليز و لا تتوانى فى سيرها، فأى يوم يشعر فيه بالخوف بعد يومه هذا؟! كأن الوزير لا يحس الخطر حتى تحل روسيا فى بنجاب أو تصل إلى نهر السند.

لا جرم أن الارتباك يضل بالإنسان عن رشده، و من المضحكات ما ذهبت إليه جريدة البال مال جازيت من أن هذا الكلام من جلاستون يدل على ثقة جديدة منه بالدول بعد مفاوضات حل بها المشكلات، و أن من له أدنى إلمام بحال الإنجليز فى ممالك الهند و ضعف عسكريتهم و توزع أساطيلهم لحفظ سائر أملاكهم و نغرة الرعايا الشرقيين منهم مع تألب الدول عليهم و تقدم روسيا إلى

الهند يوماً يوم يحكم بأن قد حل أجلهم و قرب يوم يهدم فيه سلطانهم و يتقلص ظل سلطتهم فى المشرق و يهزأ بما يقول جلادستون: «إن إمبراطورية إنجلترا تزداد قدرتها بتجدد الأيام». و من رأى العقلاء أنه لو تقدم محمد أحمد و ساعده أهل الشهامة من الصعيد و الشرقية و البحيرة فى مصر و خاب أمل الإنجليز فى حملتهم و قامت الفتنة فى الهند و تقدمت روسيا و خلصت النفوس من رق العبودية و قضى الأمر و قيل بعداً للقوم الظالمين.

### عماء بعض الناس فى مصر

#### أو تعاميمهم عن مقاصد الإنجليز فيها

تسعى حكومة بريطانيا بكل ما فى وسعها لوقف دفع الاستهلاك و تنقيص فائدة الدين المصرى و يعترضها فى ذلك سائر الدول الأوروبية العظيمة. هل الدولة الإنجليزية أشد الدول رحمة على العالمين عموماً و على المصريين خصوصاً فدعتها الرحمة للقيام على هذا العمل قصداً لراحة المصريين و تخفيفاً لثقل الدين على الخزينة المصرية و توصلاً لرفاهة الأهالى و توسيع دائرة ثروتهم؟! أو أن الدولة لم تبالغ فى الشفقة و هى على حد الاعتدال فى الحكم، ولكن الدول تجاوزوا القسط فى القسوة خشونة و غشمة أو لعداوة خصوصية بينهم و بين المصريين، لهذا لا يريدون تخفيف شىء من أثقالهم؟! أو أنها اطلعت على أحوال المصريين و كشف حقيقة ما هم عليه و علمت عجزهم عن الوفاء مما عليهم و خفيت هذه الحقيقة على سائر الدول فرأت حكومة بريطانيا أن تخبر الدول بما وقفت عليه قياماً بخدمة الصدق و إنما يعارضها من سواها جهلاً بواقع الأمر؟! لا ... لا ... ليس شىء من ذلك.

من ساح فى المستعمرات الإنجليزية كالبلاد الهندية و نحوها تبين له أن الأهالى فى تلك الممالك حملوا من أثقال الضرائب و أوقار الرسوم الدائمة و المؤقتة ما لا يعرف له غاية و لا يؤخذ فيه بقياس حتى سقطوا فى مهواة من الفقر لا يجدون منها خلاصاً. و يوجد ملايين من أهل الهند يقتاتون بالأعشاب البرية لفقدان أقوات البشر مع خصوبة أراضيهم وجوده منابهم، فهل يصح لعاقل أن يظن بعد هذا أن الإنجليز ضنوا برحمتهم على رعاياهم الهندين و أفاضوا فيضها على المصريين؟! أى رابطة بين المصريين و الجنس البريطانى تدعوا إلى هذا الاختصاص؟! هل يصح أن يقال إن الأمة الفرنسية مع ما لها من سابق الآثار فى مصر تعادى المصريين و تقسوا عليهم و تطلب تنكيلهم حقداً و انتقاماً؟! و هذا هو ما يحملها على المعارضة فى تخفيف الفوائد و توفيق الاستهلاك قصد الإضرار بالمصريين و وافقتها على ذلك الدول الباقية. هذا مما لا يعقل، فإن فى مصر ما يستميل الدول إليها لا ما يبعثها على الانتقام منها كما لا يعقل، أو أن وكلاء السياسة فى مصر و مديرى خزينة الدين من رجال الدول العظام قد خفى عليهم حال المصريين و شئون ماليتهم و تفرد الإنجليز بعلمها من بين سائر الأمم، على أن من يزعم أن أرض مصر فقيرة فى ثروتها قاصرة عن أداء ما أوجبه عليها عهد

الدول، فقد افتري كذبًا، فإن مصر قد قامت بوفاء ما طلب منها أيام وزارة رياض باشا أحسن قيام مع غاية السعة و ارتياح الأهالي إلى تأديّة الضرائب بأنواعها و مسرتهم التامة من تقسيم المطلوبات على حسب المواسم الزراعية، و هكذا استمر الحال بعد رياض باشا على الأساس الذي وضع في عهده إلى أن زحفت إنجلترا بجيش من دسائسها على تلك النفوس المطمئنة فأقلقتها، و تلك الأرواح الساكنة فأثارتها، فما تبتغى إنجلترا الآن من الإلحال على تنقيح قانون التصفية و تنقيص الفوائد، و ماذا بعث الدول على معارضتها؟!

تريد حكومة بريطانيا أن تسود على مصر و تستعبد أهلها و ترى أن بقاء الحالة المالية على أصولها السابقة يرجع بالمنفعة على الدائنين من الأمم المختلفة فلا يكون حظ الخزينة الإنجليزية الخاصة من ثروة مصر وافر، و لهذا بادرت قبل إعلان الحماية أو السيادة أو الاستملاك بالسعى في تخفيض فائدة الدين لتستأثر فيما بعد بما تزعم التفضل به الآن على المصريين، فهي تسعى لفائدتها الخاصة ليس إلا، هذا قصدها لم يخف على الدول فقامت بمعارضتها و أصرت حرصًا على مصالحها لا تهدر فداء لحظوظ الإنجليز و قضاء لشهواتهم. يهيم الدول جلاء الإنجليز عن مصر عاجلا أو آجلا لهذا تهتم بسد أبواب الحيل عليهم و إقامة العقبات الصعبة في كل خطوة يخطونها إلى مآربهم.

و ظهرت مقاصد الإنجليز و انشكفت مضمرااتهم لعموم أوروبا و لم يبق فيها ريبه عند دولة من الدول الأوروبية، و إن كان بعض الغفل في تلك البلاد المنكودة الحظ (لا نريد نوبار باشا فإنه ضارب في طريقه ذاهب إلى مقصده يتزلف للإنجليز بكل يمكنه لينال بوساطتهم ما أشرنا إليه مرارًا)، تسول لهم أنفسهم، إما جهلا و إما طمعًا أن يميلوا مع ريح الحكومة الإنجليزية و يظنوا أنها لا تقصد بالبلاد المصرية إلا خيرا، فإذا فاض الخير في البلاد و شملت الراحة جميع أنحاء انجلت العساكر الإنجليزية عنها كما جاءت إليها و رجعوا إلى بلادهم فرحين بأنهم أدوا فرائض الذمة و حقوق الإنسانية!!

و العجب من هؤلاء المغرورين كيف لم يعتبروا بحركات اللورد نورث بروك؟! يتجول في البلاد المصرية و يستدعى إليه العمدة و المشايخ و يذاكرهم فيما يريد، طورًا سرا و طورًا آخر علانية، و يجاذبهم أطراف الأحاديث فيما يمكن أن يتخذ وسيلة لتمكين حكومته من الولاية على تلك البلاد، أما كان يكفي هذا السير لإدراك الحقيقة؟! فبم يعلل الغافلون أنفسهم و أى أوهام تخيل لهم ما يظنون؟! ألم يكشف الغطاء عن نية سوء اللورد نورث بروك للشيخ العباسي المهدي شيخ الجامع الأزهر و مفتى القاهرة حيث افتتح الكلام معه بقوله: «ماذا تعلم من أفكار الأهالي لو أردنا نحن الإنجليز أن نديم الإقامة في البلاد؟!»، فلو لم يكن لدولة الإنجليز عزم على تملك وادى النيل فكيف كان هذا السياسى الداهية يبتدر شيخًا من أجل المشايخ و أعلاهم مقامًا في القطر المصرى بهذا السؤال مع أن أقل ما فيه إثارة الظنون و إحداث الريب إجابة الشيخ بما يفيد نفرة القلوب

من بقاء الإنجليز في احتلال مصر، فاستدرك اللورد ما فرط منه بقوله إنا لا نريد البقاء ولكن كان استدراكه مناقضا لما دل عليه أول سؤاله و ما الإنكار إلا خديعة لا تخفى على الصبيان فضلا عن الراشدين، يريد اللورد بهذه المحاولات أن يستكن مضمرة القلوب ليتبين له ضروب السير إلى ما يقصد من التسلط على أرض مصر حتى إذا سد في وجهه باب حاول قرع باب آخر.

أما أن لهؤلاء المخدوعين أن يرجعوا لأنفسهم و يمدوا نظر الانتقاد لحركات هذا اللورد، أي إصلاح يقصده اللورد من طرد العساكر المصرية و إلغاء كل ما يسمى جنداً مصرياً و محو هذا الاسم من دفاتر الحكومة المصرية؟! إن اللورد يلح بكل اهتمام على استبدال الجند المصري بأعوان الشرطة و الخفر المسمى بالضابطة، ما هذا الاهتمام؟ إن لم يكن من قصده تمهيد الطرق للتسلط التام على مصر؟! هذا سبيل سلكته الإنجليز في جميع فتوحاتها كما نبهنا مراراً، و إن هذا الداهية الإنجليزى لا يجيد عنه بعدما سلكه أسلافه من قبله و قفاهم عليه عندما كان حكمدار الهند و جنوا ثماره. يجتهد بما فى وسعه لطرده العساكر المصرية و إبدالهم بالضابطة ليقترب بعد أيام تبديل رجال الضابطة المصريين بأقوام من الجيوش الإنجليزى أو الهندية تعلقاً بفساد أخلاق المصريين و عدم أهليتهم للخدم النظامية و عجزهم عن القيام بوظائف الضبط و صيانة الراحة و بذلك يجرد الحكومة من جميع قواها و تكون السلطة الإنجليزى سائدة فى جميع الجهات بلا معارض لها من طرف الحكومة المحلية. كل هذا يجريه قبل إعلان السيادة و الاستملاك كما فعل سابقوه فى الهند مع كل نواب و راجا و لا يزال يفعل خلفهم من بعدهم.

يزعم الإنجليز أن تدخلهم فى مصر إنما كان لتسكين الاضطراب و إزالة العصيان و تقرير الراحة. ارتفع العصيان و سجن عرابى و رؤساء حزبه و تبددت جموعهم و لم يبق أثر لما سموه عصياناً و ألزمت دولة بريطانيا حكومة مصر بالتنازل عن السودان من مدة طويلة. فماذا تريد من إرسال الجيوش إلى مصر الآن، ألمجرد إرسال چوردون كما يدعى رجال الإنجليز؟ إنهم يقولون إن چوردون يسوق مراكبه فى كل وقت لمحاربة الثائرين و تشهد الجرائد الإنجليزى نفسها بأنه يستطيع الخلاص بأى وجه متى شاء، فليس هناك حاجة إلى تجريد الجيوش و سوقها إلى الأراضى المصرية تحت هذه التعللة. هل تريد حكومة بريطانيا بتوقية<sup>(٢٦)</sup> جيوشها أن ترفع الخلل الداخلى و تكف أيدى الناهيين و قطاع الطريق؟! هذا خلل ما حدث إلا بوجود الجيوش الأجنبية و النفرة من السلطة الغربية فكيف يمكن محو الشىء بتوقية علل وجوده؟! هذا الخلل يرتفع و يمحو أثره إذا انجلى جيش



العدو عن الديار و لم يبق لها فيها رءوس و لا أذنان، نعم هذه كلها تعلات يزعمها الإنجليز حجابا لما يسعون إليه من الاستعلاء على عرش السيادة في مصر و حط الرجال في سهولها و حزونها<sup>(٢٧)</sup>. فلم يبق بعد هذا سوى أن يتبته الغافل، و يلتفت صاحب الأمر إلى ما يحف به ليحترس من هذا الكيد العظيم، و لا يعين الإنجليز على مقاصدهم جهلا منه أو اغترارا بما يخيلون له من نفع يعود على شخصه أو بلاده، سبحانه الله، هل كان مثل هذا الأمر يحتاج إلى تنبيه؟! هذا محل العجب من غفلة أمراء الشرق، لا تفيدهم التجارب، و لا تريبهم المحن و لا تعلمهم الحوادث، و لا تدرّبهم النوازل، و تناوب الرزايا و المصائب. من له أدنى خبرة بسير الإنجليز في ماضيهم أو حاضرهم يعلم أنهم يملكون البلاد بأيدي سكانها و يقتلون أمراءها بسيوف أنفهم. يرى هذا الأمير الشرقي في أرض جاره فيظن النازلة خاصة بموقعها فيلها عنها و لا يخشى السقوط فيما سقط فيه غيره فيقع في نفس الشرك الذي صيد به جاره. مثلهم مثل الأغنام سوق القصاب منها واحداً بعد واحد إلى المذبحة و سائر القطيع في غفلة عما يجري على أحاده يرعى و يرتع آمنا مطمئنا حتى يفنى. لا عار على أمّة قليلة العدد ضعيفة القوة إذا تغلبت عليها أمّة أشد منها قوة و أكثر سواداً و قهرتها بقوة السلاح و إنما العار الذي لا يمحوه كر الدهور و لا ينسيه تطاول الأزمان، هو أن تسعى الأمّة أو أحد رجالها أو طائفة منهم لتمكين أيدي العدو من نواصيهم، إما غفلة عن شئونهم، و إما رغبة في نفع وقتي و جزاء نقدي على خيانتهم، فيكونون باحثين عن حتفهم بظلفهم.

علينا أن نرفع أعلام المحبة الوطنية، و نحمل عوامل الشهامة الإسلامية، و نوقد نيران الغيرة الوطنية، لتخيب آمال الإنجليز و نرد كيدهم في نحورهم و نقذف بأولئك المغفلين الذي يميلون إليهم خارج تخوم هذه الديار ليلحقوا بالخائنين ممن سبقهم و يذوقوا عذاب الهوان بما كانوا يكسبون. هذا إذا حصل اليأس من تيقظهم و رجوعهم إلى الحق و الصدق في محبة الأوطان و رعاية مصالحها. فإن تابوا و أصلحوا و أنابوا كان الحق ظهيرهم، و كان الله وليهم و نصيرهم، و هو نعم المولى و نعم النصير.

کاری از مرکز بررسی های اسلامی

[http://iscq.ir/fa\\_default.asp](http://iscq.ir/fa_default.asp)

<http://www.khosroshahi.ir>